



جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب



Faculty of Arts

ردمك ISSN: 1858 - 89 48

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

تصدر عن كلية الآداب - جامعة أم درمان الأهلية بالشراكة مع  
دار آريثريا للنشر والتوزيع - السودان

العدد الرابع



مجلة آداب جامعة أم درمان الأهلية علمية دولية محكمة - العدد الرابع يونيو 2022م - ذو القعدة 1443هـ

ردمك ISSN: 1858 - 89 48



دار آريثريا للنشر والتوزيع  
Arriyria for Publishing and Distribution

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان

مجلة آداب Adab Journal

الناشر: دار آرثيريا للنشر والتوزيع - السوق العربي

الخرطوم - السودان.

ردمك: 1858-8948

للتواصل: جوال : 00249 918109938 - 00249911232253

# جامعة أم درمان الأهلية

## مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

### الهيئة العلمية والإستشارية

- السودان \_ بروفيسور يوسف فضل حسن  
السودان \_ بروفيسور معتصم أحمد الحاج  
السودان \_ بروفيسور عمر حاج الزاكي  
السودان \_ بروفيسور صلاح الدين الفاضل أرسد  
السودان \_ بروفيسور علي صالح كرار  
السودان \_ بروفيسور كرار أحمد بشير العبادي  
السودان \_ بروفيسور جبارة عبدالله محمد الحسن  
الجزائر \_ برفسور أحمد بن بو جمعة  
الجزائر \_ بروفيسور محمد يزيد سام  
العراق \_ بروفيسور محمد يسن الشكري  
السعودية \_ بروفيسور محمد زروق الحسن  
السودان \_ بروفيسور حاتم الصديق محمد أحمد  
السودان \_ دكتور الصديق عمر الصديق

### هيئة التحرير

#### المشرف العام

د. فتح العليم عبد الله

#### رئيس هيئة التحرير

د. هالة أبا يزيد بسطان محمد

#### سكرتير التحرير

د. آدم أحمد آدم عجيل

#### أعضاء هيئة التحرير

د. مصعب أبوبكر أحمد إسماعيل

أ. راوي عمر إسحق محمد

#### التصميم والإخراج الفني

أ. عادل محمد عبد القادر

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة  
تحمل وجهة نظر كاتبها

# جامعة أم درمان الأهلية

## مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

### شروط وضوابط النشر بمجلة آداب

- ترحب مجلة (آداب) بمساهمات الكتاب والمفكرين العلمية المبتكرة وعرض الكتب مع تغطية المؤتمرات العلمية وتلخيص ما جاء فيها من توصيات وذلك بإحدى اللغات العالمية الحية - اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية وذلك وفق القواعد الآتية:
1. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو أُجيز للنشر في مجلة أخرى.
  2. أن يكون عنوان البحث مختصراً ومعبراً عن موضوعه. ومكتوب باللغتين العربية والإنجليزية.
  3. ألا تقل عدد صفحات البحث عن خمس عشرة صفحة ولا تزيد عن الثلاثين وجوباً.
  4. يتصدر البحث مستخلصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، وفي حالة الأبحاث باللغة الفرنسية، يكون المستخلص بذات اللغة والآخر باللغة العربية، يشمل المستخلص أهمية الموضوع ومحاوره أو مباحثه ومنهجه وأهم النتائج والتوصيات إن وجدت (لا تزيد عدد كلمات المستخلص عن مائتين وخمسين كلمة ولا تقل عن المائتين كلمة بعد تضمين الكلمات المفتاحية أسفل المستخلص فيما لا يزيد عن خمس كلمات وجوباً).
  5. أن يتصدر البحث مقدمة منهجية موجزة تتضمن التعريف به، أهدافه، أهميته والمنهج المتبع في الكتابة وتقسيمه إلى محاور أو عناصر أو مقاصد.
  6. تكتب البحوث العربية بخط نوع Simplified Arabic مقاس 14 بمسافة 1.5 بين الأسطر، أما البحوث باللغة الإنجليزية والفرنسية فتكتب بخط نوع Times New Roman مقاس 12 ومسافة 1.5 بين الأسطر، على أن يكون عنوان البحث بخط مقاس 16 عريض والعناوين الجانبية بخط مقاس 14 عريض.
  7. تترك هوامش 3 سم يمين الصفحة في البحوث العربية ويسار الصفحة في البحوث الإنجليزية والفرنسية، ومسافة 2.5 سم لبقية الهوامش، على أن يكون حجم الورقة عادي (A4).

# جامعة أم درمان الأهلية

## مجلة آداب

### مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

8. التزام الموضوعية وأن تكون وجهات النظر والحجج واضحة ومعززة بالتوثيق العلمي كما هو الحال في الدراسات الأكاديمية المنهجية العلمية.
9. يتم توثيق المعلومات حسب منهج هارفرد؛ بالترقيم التسلسلي في المتن. وتكتب أسماء المصادر والمراجع في نهاية البحث تحت عنوان: (الهوامش) بتسلسل الترقيم الوارد في المتن.
10. أن يكون البحث خالياً من أخطاء الصياغة والأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية وجوباً.
11. تورد الملاحق في نهاية البحث، مع وجوب إرفاق الاستبانة المنهجية المعروفة للدراسات التي تتبع هذا الأسلوب.
12. يُرسل البحث لسكرتير تحرير المجلة من نسخة إلكترونية مثبت عليها في صفحة منفصلة اسم صاحب الورقة باللغتين العربية والإنجليزية، درجته العلمية، جهة العمل، بريده الإلكتروني، على البريد الإلكتروني للمجلة [adab.journal2021@gmail.com](mailto:adab.journal2021@gmail.com)
13. تخضع البحوث المستلمة لمراجعة أولية من هيئة التحرير للتأكد من أهليتها العلمية وللهيئة الحق في قبول أو رفض البحث المقدم في هذه المرحلة أو بعد التحكيم العلمي دون إبداء الأسباب.
14. يُعرض البحث بعد إجازته الأولية لمحكم أو أكثر، وفي سرية تامة للوقوف على صلاحيته علمياً ومنهجياً.
15. في حالة قبول البحث يُعاد لصاحبه لتنفيذ تعديلات المحكمين ومن ثم إرساله مرة أخرى عبر البريد الإلكتروني للمجلة في فترة لا تتجاوز الأسبوع.
16. تشجع المجلة البحوث المشتركة من باحث أو أكثر على أن يكون ذلك مبرراً بطريقة البحث وتعدد التخصصات.
17. لا ترد البحوث التي لا تقبل للنشر.
18. تؤول حقوق النشر للمجلة بعد الموافقة على النشر النهائي.
19. المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

# جامعة أم درمان الأهلية

## مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

### المحتويات

- أوقاف السودان الحجازية وإمكانية توظيفها في خدمة الحرمين الشريفين (دراسة تاريخية وإستشرافية).....(9-24)  
د. فتح الرحمن محمد الأمين محمد عثمان العراقي  
الإذاعة وعكسها لقضايا المعاقين دراسة وصفية لعينة من برامج (بوارق الأمل، من واحتنا، منارات رياضية،  
وفضاءات الطموح).....(25-36)  
د. محمد سعيد عمر حاج الطيب بلال  
المباحث العقديّة من خلال آيات الصيام.....(37-52)  
د. أحمد محمد الزبير حسن  
الأبعاد التاريخية والسياسية لخطب الرسول ﷺ في غزواته (دراسة تاريخية).....(53-76)  
د. أمل عبید عواض الثبيتي  
الفروسية عند العرب الجاهليين بين الثبات والفرار.....(77-100)  
د. أحمد يس عبد الرحمن  
اللغة العربية ودورها في بناء الحضارة والثقافة الإنسانية واقع وآفاق.....(101-110)  
أ. قشيوش رشيدة  
تعليمية التّرجمة بين الحضور وتعدد الوسائط.....(111-126)  
أ.د. عبد القادر سلّامي  
وصف الكرم بين مسلم بن الوليد وأبي تمام - [دراسة نقدية مُوازنة].....(127-144)  
د. عبدالله موسى سليمان أيّوب

# جامعة أم درمان الأهلية

## مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

### كلمة الناشر



وبه نبدأ ونستعين

القارئ الكريم:

بعد التحية والتقدير يسعدنا في دار آرثيريا للنشر والتوزيع- السودان أن نذف إلى حضراتكم رابع ثمار تجربة الدار في النشر العلمي الرصين والجاد وذلك بالشراكة مع كلية الآداب- جامعة أم درمان الأهلية السودان.

القارئ الكريم:

إن هذه الشراكة العلمية من الخطوات الجريئة والرائدة في مجال النشر العلمي ونحسبها ناجحة بكل المقاييس بإذن الله تعالى، ونأمل أنها فاتحة خير لعدد من المشروعات النشورية القادمة للدار.

وختاماً نتقدم دار آرثيريا للنشر والتوزيع بخالص الشكر والتقدير لأسرة كلية الآداب بجامعة أم درمان الأهلية السودان ولأسرة التحرير واللجنة العلمية والاستشارية للمجلة ويمد شكرنا لكل العلماء والباحثين والأكاديميين المشاركين بأوراقهم العلمية في العدد الرابع للمجلة، متمنين أن يتواصل هذا التعاون العلمي مستقبلاً.

الناشر

# جامعة أم درمان الأهلية

## مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

### كلمة التحرير



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه  
أجمعين  
وبعد..

تواصل مجلة " آداب " العلمية المحكمة، الصادرة عن كلية الآداب جامعة أم درمان  
الأهلية الصدور، بإخراج العدد الرابع منها؛ خدمة للبحث العلمي الرصين، في تخصصات الآداب  
المختلفة، في إطار سعيها إلى تزكية الفكر المعرفي وترسيخ أهداف وغايات البحث المنهجي  
الجاد، لتضع بصمة فارقة في مجال النشر العلمي المحكم بحول الله.

استقبلت المجلة في عددها الرابع، دراسات من جامعات إقليمية: (المملكة العربية  
السعودية والجزائر والإمارات العربية المتحدة)، ونأمل أن يتسع النطاق في الأعداد القادمة، وأن  
يضيف هذا المنحى قيمة علمية تعضد رسالتها وتفتح أمامها أفق الانتشار والتشاركية العلمية  
المثمرة مع الجامعات الإقليمية - إن شاء الله.

وتجدد الإشارة إلى أننا نستقبل ما يقدمه الباحثين والقراء من ملاحظات، على البريد  
الإلكتروني، خدمة للمجلة وسعيًا لتزقيتها وتحقيق رسالتها العلمية المنشودة.

والله ولي التوفيق

رئيس تحرير المجلة

# أوقاف السودان الحجازية وإمكانية توظيفها في خدمة الحرمين الشريفين (دراسة تاريخية وإستشرافية)

كلية الآداب - جامعة الجزيرة

د. فتح الرحمن محمد الأمين محمد عثمان العراقي

## المستخلص :

لقد كان للسودان على مر العصور التاريخية في الحجاز ( المملكة العربية السعودية) مجموعة من الأراضي الموقوفة لصالح مجموعة من المستفيدين، وذلك بداية من عصر الممالك الإسلامية سلطنة الفونج ومشيخة العبدلاب وسلطنة الفور، حيث قام سلاطين تلك الممالك والمشيخات بوقف العديد من الأراضي في مكة المكرمة والمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام، إضافة لقيام الحكومات المتعاقبة الوطنية باضافة بعض العقارات الأخرى مما شكل ثروة وقفية كبرى اعترها تعدي الدولة والنظار، ووقفت القوانين ولوائح الأوقاف السعودية مؤخراً عقبه امام مستقبل تلك الأوقاف وتطورها بشروطها القديمة، مما دفع القائمين عليها للبحث عن بعض الحلول التي يكتنفها الغموض وتلبسها المغامرة، لذلك يحاول الباحث طرح وجهة نظره وتقديم حل يمكن من حفظ تلك الأوقاف وذلك بتوظيفها نحو خدمة الحرمين الشريفين وذلك عبر حل يتراضى عليه الجميع. يهدف موضوع البحث للحديث عن الاتي: يهدف البحث للحديث عن الوقف الحجازي السوداني وبيان الواقفين وشروطهم. ودور هذه الأوقاف في خدمة الحجيج والمعتمرين. توضيح قلة الوقف السوداني الموقوف للحرمين مقارنة مع بعض الدول العربية. إيجاد مخرج لحل ازمة الوقف السوداني في المملكة العربية السعودية. تتمثل مشكلة البحث في محاولة الإجابة على بعض الأسئلة الهامة التي في مقدمتها الاتي: ماهي أوقاف السودان في الحجاز، وماهو الدور الذي لعبته في السابق عبر شرط واقفيها. وماهى ابرز التحديات التي تواجهها في المملكة العربية السعودية، وكيف يمكن أن تخصص للحرمين الشريفين عبر تغير شرط واقفيها أو عبر الأستبدال أو أي وسيلة أخرى غير ذلك، إستخدم الباحث في كتابه موضوعه المنهج العلمى التاريخي.

**Sudan's Hijazi Endowments and the Possibility of Employing them in the Service of the Two Holy Mosques A historical and Outlooking Study**  
**Fath Elrhman Mohamed Elamin Mohmed Osman Elorage**

**Abstract:**

Throughout the historical ages in the Hijaz (Kingdom of Saudi Arabia) Sudan had a group of endowed lands for the benefit of a group of beneficiaries, starting from the era of the Islamic kingdoms, the Funj Sultanate, the Sheikhdome of Abdallab and the Fur Sultanate, where the sultans of those kingdoms and sheikhdoms allotted many lands in Mecca and Medina. Al-Munawwarah on its inhabitants the best prayers and peace, in addition to the addition of some other real estate by successive national governments which constituted a great endowment wealth that was subjected to the infringement of the state and the overseers, and the Saudi laws and regulations of endowments recently stood as an obstacle to the future of these endowments and their development in their old conditions, which prompted those in charge of them to search for some solutions shrouded in mystery and tainted by adventure, so the researcher tries to present his point of view and provide a solution it's possible to preserve these endowments by employing them towards the service of the Two Holy Mosques, through a solution that everyone agreement on and the role of these endowments in the service of pilgrims and Clarifying the lack of Sudanese endowment endowed for the Two Holy Mosques compared to some Arab countries finding a way out to solve the Sudanese endowment crisis in the Kingdom of Saudi Arabia. The research problem consists in trying to answer some important questions, foremost of which are the following: What are the Sudan endowments in the Hijaz, and what is the role it played in the past through the condition of its endowments and what are the most prominent challenges it faces in the Kingdom of Saudi Arabia, and how can it be allocated to the Two Holy Mosques by changing the condition of its endowers, or through replacement or any other means in his wirtten, the researcher used the historical scientific method.

إن الوقف يمثل علامة فارقة في مسيرة الحضارة الإسلامية وهو الشعيرة التي اثبتت دورها ومكانتها في مجالات الحياة المختلفة مثل التعليم والصحة والثقافة والعمل الإجتماعي والرياضي، وما زالت المساجد والخلاوى والمدارس والمعاهد والمستشفيات والآبار تقف شاهداً على عظمة الوقف والواقفين الذين ادخروا لأخرتهم بما سيجزيهم الله العلى القدير الجزء الأوفى، وإن موضوع الوقف صار يحظى بإهتمام فكري وثقافي متزايد بعد أن انقطع الإهتمام به لفترة طويلة من الزمان، وسوف نتناول في هذا البحث الدور الذى لعبته أوقاف السودان الحجازية في خدمة الحجيج والمعتمرين السودانيين وذلك من خلال ثلاثة مباحث تأتي وفقاً لما يلي:

أولاً / التعريف بالوقف في الإسلام.

ثانياً / التطور التاريخي للأوقاف في السودان.

ثالثاً / دور أوقاف السودان الحجازية في خدمة الحجيج والمعتمرين.

### المبحث الأول: التعريف بالوقف في الإسلام:

إن نظام الوقف في الإسلام وبكل أحكامه الشرعية قد إنطلق من القيم في الكتاب والسنة وفعل الصحابة، وقد ارتكز على بناء هياكل المجتمع وقد غطى جميع جوانب ذلك، ونجح في تحقيق التكافل الإجتماعي، وقد تمكن من تقوية النسيج الإجتماعي، وقد تميز الوقف بأنه يمثل الإستثمار الإنتاجى والتنمية المستدامة، لأنه يقع على التأييد، فهو عطاء مستمر غير محدد بزمن وهذا يضمن للمشروعات الإنتاجية والتنموية الإستمرار والإستقرار، لأن الوقف يمثل روح الحضارة الإسلامية ويبنى العلم وقيم العمران ويغضى الحاجات، ويتيح فرص العمل للشباب وينمى نوازع الخير في المجتمع حتى يصبح مجتمعاً متكافلاً ومتراحماً يعمه السلام الإجتماعي، لهذا نجد أن الدولة السودانية في عصورها ونظمها المختلفة قد إهتمت بالوقف وبإحياء سنته وتعظيم شعيرته وتجديد دوره حتى يساهم في جميع مجالات التنمية الإقتصادية والتنموية الإجتماعية<sup>(1)</sup>

قد عرف الوقف منذ عصر البعثة النبوية المحمدية واقبل عليه الصحابة وضى الله عنهم إمتثالاً لامر الله وتلبية لنداء الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وقد سار على نهجهم خلفهم المسلم، ولاتزال الأوقاف شاهد على سير الواقفين تقف شاهد على عظمة وأهمية الوقف عبر تاريخنا المجيد، فهو أصل ثابت وثمار تنفق وثواب لا ينقطع، وتكلم الفقهاء رحمهم الله عن الوقف وإجتهدوا في وضع حد له وقد تنوعت تعريفاتهم للوقف، وهذا التنوع له أسباب منها إختلاف الزوايا التى نظر منها الفقهاء للوقف سواء من جهة اللزوم أو عدمه، أو من جهة مال العين الموقوفة وغيرها من الإعتبارات.<sup>(2)</sup> وقد ورد في تعريف الوقف لغة بأنه هو الحبس والمنع فيقال وقفت كذا أي حبسته، والوقف شرعاً هو حبس عين والتصدق بمنفعتها، أو حبس عين لمن يستوفي منافعها على التأييد، والوقف يعتبر نوعاً من الصدقات التى يقصد بها التقرب إلى الله تعالى، فهو من القرب المشروعة التى حث الشارع الكريم عليها وندب اليها وهو من طرق إدرار الخير وإجزاء المثوبة للمتصدق إذا إقترن بنية صالحة و رغبة صادقة.<sup>(3)</sup> والأصل في مشروعية الوقف في الإسلام السنة المطهرة والإجماع في الجملة، فيذكر القرطبي في تفسيره إنه لا خلاف بين الأمة في تحبب القناطر

والمساجد وإن إختلفوا في ذلك، ولقد إتفق علماء المسلمين من السلف على جواز الوقف وصحته بناء على مجموعة من الأدلة القرآنية حيث حث الله عز وجل في آيات عدة على فعل الخير والبر والإحسان وهو نفس مقاصد الوقف ومن ذلك قوله في الآية الكريمة 92 من سورة ال عمران ( لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ومن أمثلة ذلك أيضاً الآية الكريمة 272 من سورة البقرة ( وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) كما ورد الوقف في العديد من الآثار القولية والفعلية عن الرسول صلى الله عليه وسلم مما يؤكد مشروعية الوقف في الفقه الإسلامي، ومن ذلك حديث ابن عمر رضى الله عنهما الذى يقول فيه «أصاب عمر بخبير ارضاً، فأتى النبي ص فقل أصبت ارضاً لم اصب مالا قط أنفس منه فكيف تأمرني به فقال إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها.»<sup>(4)</sup>

كذلك من الأدلة العملية فعله عليه الصلاة والسلام في أموال مخبرق وهى سبعة حوائط بالمدينة أوصى إن هو قتل يوم احد فهى للنبي صلى الله عليه وسلم يضعها حيث أراه الله، وبالفعل قتل يوم احد وهو على يهوديته فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( مخبريق خير يهود) وقبض النبي ص تلك الحوائط وجعلها وقفا في المدينة المنورة فكانت تلك أول وقف بالمدينة المنورة، حتى إن الصحابي الجليل جابر رضى الله عنه قال ( لم يكن احد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف)<sup>(5)</sup> وللوقف أركان كسائر الإلتزامات العقدية التى يبرمها الإنسان، فالأركان المادية هي وجود شخص واقف ومال يوقف ووجهة يوقف عليها، والركن الشرعى هو العقد والإيجاب فقط من الواقف باحدى الصيغ الشرعية المعتبرة، و ينقسم الوقف إلى ثلاثة اقسام وهى وفقاً لما يلي:<sup>(6)</sup>

### 1 / وقف أهلي :

وهو ما كان على الأولاد والأحفاد والأسباط والأقارب ومن بعدهم من الفقراء، وهو يسمى بالوقف الأهلي أو الوقف الذري، و يقوم على أساس حبس العين والتصدق بريعتها على الواقف نفسه أو ذريته من بعده، أو غيرهم بشروط يحددها الواقف.

### 2 / الوقف الخيري:

أو الوقف العام، وهو الذى يقصد الواقف منه صرف ريع الوقف إلى جهات البر التى لا تنقطع مثل الفقراء أو المساكين، أو كانت جهات بر عامة مثل المساجد والمستشفيات أو غير ذلك من اوجه النفع العام .

### 3 / الوقف المشترك :

و هو وقف مختلط بين الأمرين، أو قد بداء وقفاً أهلياً ثم ينتهى به الامر ليصير وقفاً خيرياً بعد إنقطاع من يستفيد منه من ذرية الواقف ومرد ذلك كله يعود لشرط الواقف. وتتشارك هذه الانواع وفقاً لاركان محددة تتمثل في الواقف والموقوف والموقوف اليه وشرط الواقف.

### إحترام إرادة الواقف ( شرط الواقف كمنص الشارع).

إحترام إرادة الواقف المقصودة هنا هى التى يقوم بالتعبير عنها في وثيقة وقفه، وهذه الوثيقة تسمى كتاب الوقف أو الإشهاد بالوقف أو حجة الوقف، ويعبر الواقف فيها عن إرادته تلك في شكل مجموعة من الشروط التى يحدد بها كيفية إدارة أعيان الوقف وتقسيم ريعه وصرفه للجهات التى ينص عليها في الوثيقة نفسها، ويطلق على تلك الشروط في جملتها إصطلاح (شروط الواقف).<sup>(7)</sup>

وقد أضاف الفقهاء على تلك الشروط صفة القداسة، ما لم تحرم حلالاً أو تحلل حراماً، وجعلوا لها

حرمة لا يجوز إنتهاكها، في حالات استثنائية، حيث تم رفعها الي منزلة النصوص الشرعية من حيث لزومها ووجوب العمل بها فقالوا إن شرط الواقف كنص الشارع، ونظروا إلى وثيقة الوقف باعتبارها دستور يجب الرجوع إليه في كل صغيرة وكبيرة من شئون الوقف، وقد أعطى الفقهاء لشروط الواقف تلك القوة الإلزامية الكبيرة ولكنهم في الوقت نفسه حددوها بأن تكون محققة لمصلحة شرعية، وتكون موافقة للمقاصد العامة للشرعية، وابطلوا كل شرط يؤدي إلي إهدار مصلحة شرعية، وإقرار الفقهاء تلك القداسة لشروط الواقف توفرت للأوقاف ومؤسساتها حماية قوية أسهمت مع عوامل أخرى في ضمان بقائها وإستمرار عطائها، بل وفشلت كل المحاولات أو معظمها التي بذلها السلاطين والأمراء للسيطرة على الأوقاف وتسخيرها لمصلحتهم أو لخدمة سياساتهم وإخضاعها لحكوماتهم.<sup>(8)</sup> وقرر الفقهاء إن الولاية العامة للأوقاف هي من إختصاص القضاء وحده دون غيره من سلطات الدولة، وتشمل هذه الولاية ولاية النظر الحسبي وتشمل النظر والفصل في المنازعات الخاصة بالأوقاف فيما يسمى بالإختصاص القضائي، وكذلك الإختصاص الولائي وهو الذي يشمل شئون النظارة على الأوقاف وإجراء التصرفات المختلفة عليها، التي من أهمها السماح بإستبدال أعيان الوقف إذا اقتضت الضرورة لذلك بالإضافة لمنح الإذن بتعديل شروط الواقف أو تعديل بعض منها إذا الحقت هذه الشروط ضرراً بالوقف، أو بالجهات المستحقة فيه وكذلك الحكم بإبطال الشروط الخارجة عن مقتضى الشرع ومقاصد العامة، بل نص بعض الفقهاء صراحة على منع السلطان وممثليه من رجال الحكم والإدارة من التدخل في شئون الوقف أو الإعتراض على التصرفات الإدارية للقاضي في الحالات المذكورة ( بأن ليس للسلطان ولا غيره حق الإعتراض عليه أي القاضي ولا نقض توجيه صدر منه).<sup>(9)</sup>

### أهداف الأوقاف:

وخلصت معظم الدراسات التي تناولت آراء الفقهاء والمفكرين ورجال القضاء في حديثهم عن أهداف الوقف الى مجموعة من الأهداف النبيلة المتماشية مع المقاصد الشرعية، ويحقق الوقف بإعتباره عملاً من أعمال البر والخير التي يؤديها المسلم بمحض إرادته وإختياره اهدافاً عدة، ويمتاز الوقف عن غيره من أوجه البر بميزه الإستمرارية التي لا توجد في سائر الصدقات حيث يحفظ لكثير من أوجه الخير العامة ديمومتها مما يضمن لكثير من طبقات الأمة المسلمة قضاء كثير من الحوائج عند إنصراف الزمن، ويمكن الحديث عن أهداف الوقف اجمالاً في هدفين رئيسين، احدهما عام والآخر خاص، والهدف العام يتمثل في إمتثال المسلمين لدعوة الحق عز وجل للتعاون والتكاتف والتراحم التي وردت في الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على الإنفاق في سبيل الله خدمة للجماعة، أما الهدف الخاص فإنه يتمثل في إن الوقف يؤدي دوراً هاماً في تحقيق الرغبات الخاصة المغروسة في نفوس البشر التي تدفعا لفعل الخير وأعمال البر رغبة في الثواب الرباني.<sup>(10)</sup>

### التطور التاريخي للأوقاف في السودان:

إن الأوقاف متجذرة في تاريخ السودان وفي نفوس السودانيين الذين عرفوا (الحبس) الوقف منذ الآف السنين قبل الميلاد وبعده، وبعد خول الإسلام، وخلال العهود الوطنية بداية من العهد السناري والمهدوي مروراً بالعهد التركي المصري ثم فترة الحكم الثنائي وحقبة ما بعد الإستقلال وبعده، اوقفوا داخل السودان وخارجه حتى اصبحت الأوقاف علامة بارزة في تأريخه وعلى ارضه وفي نفوس ساكنيه، ويشير واقع الأوقاف



## د. فتح الرحمن محمد الأمين محمد عثمان العراقي

وزير ومنها الحجج القطعية التي صدرت بإرادة حكام الاقاليم من املاكهم الشخصية ومنها الحجج الفرعية وهى الموثق عليها من قبل حكام الأقاليم دون أن تكون صدرت منهم، وأخرى شرعية صادرة عن القضاة.<sup>(14)</sup> فنجد أن السلطان حسين بن السلطان محمد الفضل ارصد أرضاً للفقية عبد الله بن الفقيه أبي الحسن لتدريسه أولاده، كما اقطع الشيخ عجيب المانجلك زعيم العبدلاب جزيرة مسيكتاب في أراضي الجعلين للفكي حسين، أو كجزيرة الجندية وما إحتوت عليه ارصدها السلطان بادي للشيخ خوجلي، وتكون في أحيان أخرى ساقية كنتك التي تصدق بها السلطان بادي بن نول والمعروفة بمسمى (ساقية الشقائق) للسيد عبد الهادي.<sup>(15)</sup> لعل هذا قليل من كثير أراضى حصل عليها العلماء والفقهاء والمتصوفة في شكل أوقاف وقد أسعفت الوثائق معرفتها ورصدها، أما الغالب الأعم منها فلم يرصد بسبب ضياع حججها وطول الزمن وتغير الأوضاع السياسية وقوانين الأراضي المستحدثة.<sup>(16)</sup>

اثناء فترات الحكم التركي المصرى في السودان 1821م 1885م، تم الإهتمام بالوقف ويستدل على ذلك من جداول المحاكم الشرعية التي تم العثور عليها بعد سقوط المهديّة.<sup>(17)</sup>

أنشئت الأوقاف في السودان خلال العصر الحديث منذ عام 1902م خلال فترة الحكم الثنائي الإستعماري في السودان، واسندت تبعيتها انذاك لإدارة المحاكم الشرعية وضمت في قانونها كنص في المادة رقم (6) من (لائحة ترتيب وتنظيم المحاكم الشرعية) ونصت المادة المذكورة على العمل بالمرجح من آراء فقهاء الحنفية إلا في المسائل التي يصدر فيها قاضي القضاة نصاً قضائياً، فتحولت بذلك أحكام الوقف من إتباع المذهب المالكي إلى إتباع المذهب الحنفي أو إلى ما هو مناسب من آراء فقهاء المذاهب الأخرى حسب ما يحدده قاضي القضاة بإعتباره ناظر عموم أوقاف السودان.<sup>(18)</sup> وأصبح من إختصاصها كل ما يتعلق بالأوقاف الخيرية والأهلية، وكان الإشراف العام عليها من ضمن مسؤوليات قاضي القضاة انذاك بإعتباره الناظر الأعلى للأوقاف وتعاونه لجنة ثلاثية من كبار القضاة وذلك فيما يتعلق بالأوقاف المركزية، اما في عواصم المديرية والمراكز فقد أسندت إدارتها للقاضي الشرعى وتعاونه لجنة مختارة مكونة من كرام المواطنين بالمديرية تسدي له النصح والمشورة في طريقة الحفاظ على الوقف وكيفية التصرف في عوائده وذلك بالصرف وفقاً لشرط الوافق، وفي إطار تنظيم عمل الأوقاف والمحافظة عليها اصدر فضيلة قاضي القضاة منشوره رقم (32) حدد فيه كيفية إدارة الوقف، كما تم بموجبه إنشاء جهاز حسابي لحفظ إيرادات الأوقاف وللقيام باجراءات التحصيل والصرف.<sup>(19)</sup>

### المبحث الثالث / دور أوقاف السودان الحجازية فى خدمة الحجيج والمهتجرين:

إن الأوقاف الإسلامية السودانية في الحجاز فهى مرادفه لمثيلاتها في الداخل، في كثرة عدد أصولها، وقيمتها النقدية المالية، ومواقعها المتميزة قرب الحرمين الشريفين في قلب مواقع التسوق والخدمات، وتواجه بعض الصعوبات فيما يخص الحصول على بعض وثائقها ولكن ليس من الإستحالة، خاصة إن النظم السعودية متقنة جداً في الحفاظ على وثائق الأوقاف وتعويضاتها، وحريصة كل الحرص على إعادة الحقوق لأصحابها، اما التي تملك إدارة الأوقاف وثائقها فهى ( أوقاف السنارية، أوقاف قاضي القضاة، وأوقاف مسعود) حيث بدأ إستثمارها وتطويرها بعد حل بعض العقبات.<sup>(20)</sup> بدأت عملية وقف الأراضي في الحجاز من السودانيين مبكراً، حيث أسهمت الممالك والسلطنات الإسلامية في خدمة الحرمين الشريفين وخدمة حجاج

بيت الله الحرام وزائري المسجد النبوي الشريف والعاملين على خدمة الحرمين كالاغوات وغيرهم، وإمتدت هذه الخدمات لمساعدة المجاورين من طلبة العلم، وتعرف هذه الأوقاف (بالأوقاف السنارية) و(الأوقاف الدارفورية) ويقصد بالسنارية تلك الأوقاف التي أوقفها السلاطين والملوك والشيوخ من دولة الفونج، أما الأوقاف الدارفورية فهي أوقاف سلطنة الفور التي أوقفها سلاطين وأمرأ وبعض الأفراد من سلطنة الفور، وفيما يلي نتناول أوقاف تلك السلطنات وافرادها ودورها في خدمة الحرمين وفي خدمة الحجيج والمعتمرين والمجاورين من طلبة العلم، بالإضافة لأوقاف ما بعد الإستقلال.

### أولاً / الأوقاف السنارية:

إن إستعراض الأوقاف في سلطنة سنار يكشف بوضوح بأن هذه الأوقاف لم تكن قاصرة على الأوقاف الداخلية، وإما تعدت ذلك لتشمل رصد أوقاف خارج البلاد، وخاصة الوقف بالحرمين الشريفين حيث كان سلاطين سنار حريصين على هذا النوع من الوقف ومسارعين إليه، حيث أن الشيخ عجيب المانجلك زعيم العبدلاب قد سافر إلى الحج في العام الذي تولى فيه حكم المشيخة وأوقف في الحجاز رواقين احدهما في مكة المكرمة والثاني بالمدينة المنورة، وكان يصرف عليهما، وكان هذان الرواقان لطلبة العلم والمتفرغين له من طلبة العلم من سنار إلى دنقلا، وعندما رأى الشيخ عجيب قلة الذهب الموجود في رأس القبة الشريفة قام بوقفها لتعظيم ذلك المكان الطاهر وأوقاف اخرى كثيرة.<sup>(21)</sup>

إن الأوقاف السنارية تعنى ما أوقفه سلاطين الفونج أو شيوخ العبدلاب في الحجاز، وتعرف هذه الأوقاف بوقف السنانير، وتذهب الأخبار إلى إن إجمالي عددها يزيد عن مائة دار، وتكثر في المدينة المنورة أكثر من غيرها وإن كانت موزعة على المدن الحجازية الثلاثة مكة المكرمة والمدينة المنورة ومدينة جدة الميناء الإسلامي والعاصمة الإدارية لولاية الحبش العثمانية، ويقول عوض عبد الهادي العطا في دراسة لأوقاف السنارية في المدينة المنورة، إن اغلب ما ذكر حول هذه الأوقاف مبنى على أخبار ومرويات محلية ومشاهدات شخصية للمجاورين ولأفراد زاروا المدينة المنورة والحجاز عموماً من العبدلاب وغيرهم ولا ترتقى هذه الروايات لدرجة الحكم القطعي بصحة الحدث التاريخي، ولكن المعلومات تواترت عن هذه الأوقاف في المصادر السودانية المختلفة.<sup>(22)</sup> ويخالفه فيما ذهب اليه الطيب مختار الطيب أمين ديوان الأوقاف الإسلامية في حديثه عن الأوقاف السنارية وأوقاف مسعود وأوقاف أخرى بأنها مؤكدة وقد بدأت مجهودات إستردادها منذ التسعينات حتى وصلت مرحلة إستلام بعض صكوكها الأصلية بعد عناء ومشقة في 2008م، لتبدأ مرحلة إستلام الأعيان، مما يدمج (احقاد بعض الحاسدين والكائدين) الذين يقولون عن جهل مطبق بوهمية الأوقاف السودانية هناك، بل اورد بعض الشواهد التاريخية التي وردت في مخطوطة كاتب الشونة، كتلك التي تفيد بوصول القاضي احمد عبد الحميد الى الأراضي الحجازية خلال فترة حكم السلطان بادي، بن السلطان رباط فأن التطابق هذا يؤكد دون شك حقيقة أوقاف سلاطين سنار في الحجاز ويكشف أعمال البر التي قاموا بها في الحرمين الشريفين و تدل على رقى فهمهم وعلو فقههم، فهم فاقوا جيلهم وسبقوا زمانهم منذ ذلك العهد الوطني البعيد.<sup>(23)</sup>

فقد أشار نعوم شقير إلى أوقاف الشيخ عجيب المانجلك على ضوء ما التقطه من مرويات محلية لم يذكر مصدرها وقد قال ( قيل وهو الذي بنى بالمدينة المنازل المعروفة برواق السنارين بناها بإذن من

## د. فتح الرحمن محمد الأمين محمد عثمان العراقي

السلطنة العثمانية فجعلها وقفاً للحجاج من أهل سنار وهي لا تزال باقية مأوى لحجاج السودان إلى هذا العهد) ولم يذكر المنازل ولا عددها ولا شيئاً منها، كذلك ذكر محمد صالح محي الدين رواية أوردتها الشيخ عثمان حمد الله قال فيها ( حدثني الحاج حسن خليفة بالحصاحيصا وغيره الشيخ علي الإمام والشيخ ادريس المحسي بأنهم وقفوا على أوقاف الشيخ عقيب المانجلك بالمدينة المنورة ويقولون بحوالي ستين عتبة من القصور العالية وله مزرعة للقمح يقسم محصولها لكل من يجاور المدينة ولجميع سكان السودان من سنار إلى دنقلا) وذكر آخر أنه شاهد الناس يقبضون عطايا من تكية الشيخ عقيب.<sup>(24)</sup>

### ثانياً / الأوقاف الدارفورية:

وضع ملوك وسلاطين الفور ضمن القابهم في حججهم الشرعية لقب (خادم الحرمين الشريفين) وقد دلل هذا على إرتباط هؤلاء السلاطين بالحرمين الشريفين وسعيهم لخدمتهما وخدمة زوارهما وإبراز ما أوقفه سلاطين الفور في الحجاز وقف السلطان شاو بن السلطان رفاة ملك التنجر في المدينة المنورة في عام 890 هجرية، حيث ورد في نص وقفه أنه (وقف وحبس وسبل وحرم وحلل وابد واكد وتصدق بما هو جار في ملكة وييده وحوله وتصرفه من الأماكن والنخيل والبساتين والدور الكائن ذلك بالمدينة الشريفة المنورة) ومن أوقاف الفور المشهورة في الحجاز الوقف الذي أوقفته إحدى أميرات الفور في عهد السلطان تيراب في مدينة جدة وهي الميرم مريم ابكر شرف الدين الذي جعلته للقادمين من أهلها للحج الذين لا يجدون مأوى بالأراضي المقدسة.<sup>(25)</sup>

بالإضافة لوقف علي دينار المعروف (بحوش الفور) في منطقة باب شريف في مدينة جدة ومساحته لا تقل عن عشره الف متر مربع ولا تقل قيمة الأرض عن مائة مليون ريال، وغير ذلك من الأوقاف الأخرى في مكة المكرمة التي يجري البحث عنها لتأكيداتها وتنفيذ شروطها وفاءً لأولئك الواقفين الأخيار، وهي مسئولية تاريخية تقع على عاتق الجهة المعنية بالأوقاف في السودان.<sup>(26)</sup>

وإهتم سلاطين الفور بارسال المحمل الذي ظل يخرج من دارفور وبه نفائسها من عاج وريش وجلود وسن الفيل وذلك فيما عرف بصره الحرمين الشريفين لكسوة الكعبة واعطيات للقائمين بامرهم ومسجدة (ص)، ومن أشهر من حافظ على المحمل السلطان محمد حسين والسلطان ابراهيم قرظ وعلى دينار آخر سلاطين الفور.<sup>(27)</sup>

بالإضافة لإرصاد الأرض بالحجاز كان سلاطين الفور يرسلون (العبيد الخصيان) ليعملوا سدنة لخدمة الحرمين الشريفين إضافة إلى (صرة ومحمل) خاصة في زمن السلطان علي دينار، في عام 1291 هجرية ارسل سلطان الفور ابراهيم قرظ صرة وعدد سته اغوات لخدمة البيت الحرام والحرم النبوي الشريف، وتحتوي الصرة على عشرون الف ريال على أن يصرف منها عشر الف ريال في مكة المكرمة للشريف عبد الله مبلغ ثلاثة الف واثنين الف للغوات كافة وخمسمائة لمأمور جدة وخمسمائة ريال لخدمة بئر زمزم وخمسمائة تصرف لبنو اشيب ومائتان لإمام الحنفى، ومائتان لطلبة العلم والمدرسين، ومئتان للبوابين، واربعمائة للمطوفين، وخمسمائة للعاجزين واربعمائة لاغوات السلطان حسين، واربعمائة لدخول الاغوات الاثنتين، وما زاد يصرف للمستحقين هناك، والعشرة الأخرى تصرف في المدينة المنورة، تسلم الف لكبير الاغوات، والف تسلم لاغوات المفتاح، وخمسمائة لاهل البقيع، واثنين الف بقية الاغوات، وخمسمائة للمطوفين، وخمسمائة

لمأمور المدينة، واربعمائة للاغوات سلف السلطان حسين، وخمسمائة لشيخ الدلائل، وخمسمائة لطلبة العلم والمدرسين، واربعمائة لأهل الطريقة، ومنتان للبوابين، ومنتان للمحافظين بمسجد قباء وسيدنا حمزة، وخمسمائة للعاجزين وخمسمائة للمؤذن وسبعمائة لإمام الراتب، وما زاد يصرف للمستحقين.<sup>(28)</sup>

للباحث عمر عبد الله حميدة بعض الملاحظات حول أوقاف الممالك والسلطنات الإسلامية في الأراضي المقدسة وهي الاتي:<sup>(29)</sup>

أولاً / جل هذه الأوقاف لم يوقفها الملوك والسلاطين والشيخوخ بانفسهم، بمعنى انهم لم يكونوا حضوراً وقت وقفها، بل اوكلوا من يقوم نيابة عنهم بهذه المهمة، ومعظم هؤلاء الموكلين كانوا من الرعايا السابقين لهذه الممالك ثم هاجروا وإستقروا في الحجاز أو من الحجاج والزائرين للحرمين الشريفين، وكان بعضهم ممن شغل مناصب قضائية أو عملوا بالتجارة.

ثانياً / إن الموقوف عليهم المستفيدين من هذه الأوقاف جلهم من رعايا هذه السلطنات القادمين للحج أو العمرة أو لزيارة المسجد النبوي، أو من المجاورين طلباً للعلم أو غيره، و لعل هذا يبين امام هؤلاء الواقفين بالصعوبات التي كانت تعانيها هذه الفئة، وبرزها صعوبة الحصول على سكن في تلك الديار خاصة في اوقات الحج والمواسم الدينية الأخرى، ويقاسمهم في ذلك اغوات الحرمين الشريفين من ذوى الأصول السودانية، ولعل عامل الجنس له دوره في هذا الأمر، إلى جانب الرغبة في الحصول ونبيل البركة بخدمة هذه الفئة.

ثالثاً / رغم إنتشار هذه الأوقاف السودانية في المدن الحجازية الكبرى الثلاث إلا أن المدينة المنورة نالت الحظ الأوفر من هذه الأوقاف، ولعل الأثر الصوفي الغالب على هذه الممالك والسلطنات كان له دوراً في ذلك، حيث كانت مدينة المصطفى ولا زالت قبلة الحجاج والمعتمرين السودانيين خلال مواسم الحج والعمرة والأعياد.

### ثالثاً / أوقاف ما بعد الإستقلال السودانية في الحجاز:

بعد أن نال السودان إستقلاله تم الإتفاق مع الحكومة السعودية على شراء ارض في المملكة العربية السعودية التي لا تجيز قوانينها تملك اي هيئة أو أفراد ما لم تكن تلك الأراضي وقفاً، وبالفعل تم شراء بعض الأراضي بغرض وقفها لخدمة الحجاج والمعتمرين السودانيين ولتستخدمها بعثة الحج السودانية في مواسم الحج، وهي الأرض المقام عليها مباني القنصلية السودانية في جدة بالإضافة للمنازل الخمسة التي يسكن فيها موظفي السفارة ومبنى بعثة الحج السودانية، وينص الإشهاد الشرعى على أن تكون هذه الأراضي وقفاً لصالح الحجاج السودانيين وبعثة الحج السودانية مدى إقامتها في موسم الحج فقط على أن تؤجر بقية الفترة، وقد تم شراء هذه الأراضي بأموال الحجاج السودانيين حيث فرضت عليهم رسوم منذ عام 1957م، ولكن تم إستخدام هذه الأراضي في أغراض وقفها مما جعل الحكومة السعودية تحتج اكثر من مرة بسبب إستخدام هذه الأراضي في غير أغراض وقفها، حاول المجلس الاعلى للشئون الدينية والأوقاف منذ عام 1984م معالجة هذا التعدى الصارخ حيث خاطب رئيس المجلس رئيس الجمهورية واقترح عليه أن تعتبر الحكومة السودانية مستأجرة لهذا العقارات التي استخدمت كمنازل لموظفي البعثة منذ تاريخ بنائها ويقدر لها ايجار ويحول لصالح الحجاج السودانيين، كذلك تعتبر الحكومة السودانية مستأجرة للعقار الذي تحتله السفارة السودانية ويحول الإيجار لصالح مستحقه.<sup>(30)</sup>

## د. فتح الرحمن محمد الأمين محمد عثمان العراقي

كذلك من أشهر أوقاف ما بعد الإستقلال ذلك الوقف الكائن بشارع أبي ذر في المدينة المنورة مقابل فندق القصر الأخضر على القطعة (5011) وقد اشترته حكومة السودان وكتب صكه في 1382 هجرية بموافقة الملك فيصل، أي منذ أكثر من نصف قرن، وكانت أرض الوقف مستقلة كسوق شعبي به مباني من الزنك مؤجرة لصالح الوقف، وهو أصل كافة أوقاف ما بعد الإستقلال ومخصص كما تشير الوثيقة لوجه البروالخير للحجاج والرعايا السودانيين ومستشفى لحجاج المسلمين كافة ولأهالي المدينة المنورة، ولم يكن أبداً مخصصاً فقط للحجاج السودانيين كما يدعى البعض من أصحاب المصلحة الخاصة، حتى ما حدد منه لإدارة بعثات الحج ظل مشروطاً بتوفير المقر لهم اثناء الموسم ويؤجر بقية الفترة، كما هنالك اربعة أوقاف بالمدينة المنورة ووقف بمكة المكرمة أيضاً لم تكن شروطها محصورة على الحجاج السودانيين والمعتمرين، حيث تضمنت حجة ووقف جدة الصرف على الفقراء والمساكين الموجودين بالحرمين الشريفين.<sup>(31)</sup>

### واقع الأوقاف السودانية الحجازية ومحاولات تطويرها:

عانت الأوقاف السودانية الحجازية القديمة والجديد من كثير من المشاكل الإدارية وتهم الفساد التي طالت العاملين عليه، فقد شخص أمين ديوان الأوقاف السابق في دراسة مستفيضة لواقع هذه الأوقاف فيما اسماه ( بقصة الكيد للأوقاف) حيث يعتبر أن أول المشاكل التي واجهت هذه الأعيان وضع الهيئة العامة للحج والعمرة يدها على تلك الأصول الوقفية دون إعتبار لهيئة الأوقاف الإسلامية التي تعتبر معنية فنياً وإدارياً وشرعياً بأدائها، وقد شكل هذا الوضع عائقاً كبيراً أمام تطوير هذه الأوقاف والمحافظة على أصولها، وكان بعض العاملين بهيئة الحج يصرون على حصر شروط هذه الأوقاف على الحج والعمرة والصرف على البعثات فقط ويسنون إستخدامها بصورة دائمة لإقامتهم وإقامة اقربائهم ومن يخشونه من المسئولين الذين يطلبون قربهم طوال العام، وقد امتنعت القنصلية السودانية في جدة التي تستغل الأرض الوقفية في جدة عن سداد الإيجار لسنوات طويلة على الرغم من ضعف هذا الإيجار وأنه كان يشكل غنماً واضحاً على الاوقاف ويجافي أجره المثل، ولسنوات طويلة ظلوا يضعون يدهم على أعيان الوقف ومبانيها حتى اصبحت آيلة للسقوط وغير صالحة للإقامة حسب التقرير الفني ولكن ظلت البعثة في حالة إستيلاء لها حتى قيام الديوان في 2009م، فاجبرت القنصلية على إخلاء الوقف وسداد ما عليها من متراكمات الإيجار، على الرغم من محاولات المقاومة المستميتة من العاملين في هيئة الحج ومقاومتهم إخلاء العقار في مكة و بل امتناعهم عن تسليم الوثائق الخاصة بتلك الأوقاف.<sup>(32)</sup> وبعد توحيد الجهة المسئولة عن الأوقاف في الداخل والخارج إدارياً وفنياً كما حدد قانون ديوان الأوقاف القومية الإسلامية لسنة 2008م وعلى الرغم من المقاومة الشرسة من بعض المنتفعين السودانيين وغيرهم، فأن القانون حدد بوضوح في المادة (5) بأن تكون لديوان الأوقاف القومية (وضع السياسات الكلية لإدارة ونظارة وإستثمار وتطوير الأموال الموقوفة لجهات البر داخل وخارج السودان) بدأ الديوان خطته أولاً على إسترداد الأوقاف وذلك بالحصول على مزيد من صكوك الأوقاف السودانية بالسعودية، وبالفعل اثمرت تلك الجهود عن الحصول على وتأكيد الكثير من الصكوك بواسطة مؤسسة سعودية بذلت جهوداً مقدرة في ذلك وتقدر قيمة الأوقاف التي تم الوصول اليها وتعويضاتها بحوالى 200 مليون ريال سعودي لأوقاف المدينة، كذلك بدأت محاولات التطوير العقاري لهذه الأوقاف حيث بدأ العمل في مشروع وقف شارع ابوذر الغفاري بعد توقيع عقد مع بنك التنمية الإسلامي بجدة مع المنسق

المقيم بقيمة تمويلية تقدر بحوالى ستون مليون ريال، كذلك تم توقيع عقد آخر لتمويل بناء وقفية مدينة جدة بعد إخلاء البعثة إلا أن المقاومة للأوقاف و تطويرها مستمرة.<sup>(33)</sup>  
توظيف أوقاف السودان الحجازية لخدمة الحرمين الشريفين:

إن الواقع المذرى الذى أشار إليه أمين ديوان الأوقاف القومى في توصيفه لصراع المصالح الذى طال الهيئة مما ادى لتسرب الفساد لمواطن يفترض فيها العفة، بالإضافة لعدم مواكبة الكثير من الشروط الوقفية التى تحدثت عن المجاورين وعن الذين لايجدون مأوى زمن الحج والعمرة، كل ذلك دفع الباحث لتبنى دعوة لتتنازل حكومة السودان عن أوقافها لصالح الحرمين الشريفين بشكل مطلق، وخاصة أن السودان من الدول القلائل التى لم تخصص أوقاف في اراضيها أو في اراضى غيرها للمصالح المطلق للحرمين بخلاف غيرها من الدول التى قامت بذلك، وذلك قفلاً لمداخل الفساد الذى استشرى ولم يعد هناك مجالاً لأصلاحه وسعيّاً للمشاركة في فضل رعاية الحرمين الشريفين.

### الذاتمة:

في ختام هذا البحث الذى حمل عنوان (دور أوقاف السودان الحجازية في خدمة الحجيج السوداني، وإمكانية توظيفها لخدمة الحرمين الشريفين ) إستطاع الباحث رصد أهداف بحثه وذلك من خلال الإجابة على اسلة البحث، و توصل إلي مجموعة النتائج والتوصيات وهى كما يلي:

### النتائج:

1. للسودان أوقاف بالأراضي الحجازية المقدسة (السعودية) وذلك من خلال الإطلاع على الكثير من الادلة والشواهد التى وردت في المصادر التاريخية، كما لمح الهمة العالية للسودانيين وتسابقهم حكاماً ومحكومين في تفعيل شعيرة أو سنة الوقف.
2. عانت هذه الأوقاف معاناة شديدة من ظاهرة التعدى المستمر من الهيئة العامة للحج والعمرة ومن كثير من النظار والوكلاء والموظفين، إن خراب الذمم الذى اجتاحت مؤسسات الأوقاف السودانية يجعل من امر تطوير الأوقاف أمراً عسيراً إن لم يكن مستحيلاً.
3. للسلطات السعودية دور كبير في المعاونة غير المحدودة في حفظ و إسترداد أوقاف السودانين وريعتها الذى تعاضمت ارصدته في بيت الغائب السعودى.

### التوصيات:

1. بضرورة إعادة الولاية القضائية على الأوقاف كما كانت في السابق في ظل استشراء الفساد و تعقد نظم الفساد و منظماتها التى اصبحت تستخدم أجهزة الدولة.
2. ضرورة تخصيص أوقاف السودان الحجازية لصالح رعاية الحرمين الشريفين بعد أن اصبحت كثير من الشروط الوقفية غير مواكبة لروح العصر، ولعجز اجهزة الدولة وفقرها عن حفظ و توثيق تلك الأوقاف.
3. نشر ثقافة الوقف وحث القادرين على الوقف.

- (1) عبد الرحيم فضل الله محمد الحسن، حملة إحياء سنة الوقف، ديوان الأوقاف الإسلامية، و لاية الجزيرة مدنى 2012م ص 1
- (2) فؤاد عبد المنعم احمد، حوكمة الأوقاف، رسالة دكتوراه الفلسفة في الشريعة و القانون، جامعة نايف، الرياض 2015، ص 25
- (3) عبد الرحيم فضل الله محمد، المرجع السابق، ص 4
- (4) أبي عبد الله محمد ابن احمد الانصارى القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، المعروف بتفسير القرطبي، تحقيق عبد الحميد هنداوى، المكتبة العصرية بيروت 1425 هجرية، ص 15
- (5) عبد الله بن ناصر بن عبد الله السدحان، الإندثار القسرى للأوقاف، الإدارة العامة للأوقاف قطر الدوحة، 2012م ص 5
- (6) محمد بن احمد الصالح، الوقف الخيرى و تميزه عن الوقف الأهلى، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض 1423 هجرية ص 24
- (7) ابراهيم بيومى غانم، الأوقاف و السياسة فى مصر، دار الشروق، القاهرة 1998م، ص 54
- (8) ابراهيم بيومى غانم، الأوقاف و السياسة فى مصر، دار الشروق، القاهرة 1998م، ص 55
- (9) ابراهيم بيومى غانم، المرجع السابق، ص 57
- (10) محمد عبيد الكبيسى، أحكام الوقف فى الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية الرياض، 2005م، ص 119
- (11) فتح الرحمن الأمين العراقي، الأوقاف فى السودان دراسة بليوغرافية شارحة، ورقة مقدمة لمؤتمر الأوقاف فى السودان جامعة الخرطوم، 2017م ص 1
- (12) احمد الحسب عمر الحسب، الوقف فى الاسلام و تاريخه فى السودان، بدون معلومات، ص 3
- (13) عمر عبد الله حميدة، الأوقاف فى السودان، رسالة دكتوراه فى التاريخ، غير منشورة جامعة الخرطوم 2013م ص 70
- (14) المرجع نفسه ص 57
- (15) محمد ابراهيم ابوسليم، الفونج و الأرض، وثائق تملك، شعبة ابحاث السودان، جامعة الخرطوم، مطبعة التمدن، ص 55
- (16) عمر عبد الله حميدة، المرجع السابق، ص 57
- (17) الطيب صالح بانقا، تجربة الأوقاف فى السودان، الامانة العامة للأوقاف الكويت، ص 3
- (18) جمهورية السودان الديمقراطية، وزارة الشؤون الدينية و الاوقاف، 3/1/3
- (19) جمهورية السودان الديمقراطية، الشؤون الدينية و الاوقاف، 2/1/3
- (20) الطيب مختار الطيب، التجارب الوقفية فى السودان، مؤتمر الوقف الإسلامى، جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية 2017م ص 50
- (21) خليفة باباكر الحسن، الأوقاف فى دولة الفونج الإسلامية، ورقة علمية مقدمة لمؤتمر الأوقاف جامعة الخرطوم، 2017م ص 422

## أوقاف السودان اكلجارية وامكانية توظيفها في خدمة اكلرمين الشريفيين (دراسة تاريخية واستشرافية)

- (22) عوض عبد الهادي العطا، الأوقاف السنارية في المدينة المنورة ، مجلة دراسات افريقية، العدد 25 ص 47
- (23) الطيب مختار الطيب، قصة الكيد للأوقاف، مطابع السودان للعملة، ط 2، ص 59
- (24) عوض عبد الهادي ، المرجع السابق 23
- (25) الأمين محمود محمد عثمان، سلطنة الفور الإسلامية ، الدار الوطنية الخرطوم 2000م ، ص 128
- (26) الطيب مختار الطيب، المرجع السابق ص 72
- (27) المرجع نفسه
- (28) الأمين محمود محمد عثمان، المرجع السابق ، 130
- (29) عمر عبد الله حميدة، المرجع السابق ، ص 97
- (30) عمر عبد الله حميدة، ، الدور التاريخي لقاضي القضاة في تقنين ونظارة الأوقاف في السودان، ورقة مقدمة لمؤتمر الأوقاف جامعة الخرطوم ، 2017م، ص 200
- (31) الطيب مختار الطيب، قصة الكيد للأوقاف، مطبعة السودان للعملة، ط2، ص 82
- (32) المرجع نفسه، ص 82
- (33) الطيب مختار الطيب، قصة الكيد للأوقاف، مطبعة السودان للعملة، ط2، ص 82

أولا / الوثائق:

(1) جمهورية السودان الديمقراطية، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، 3/1/3

(2) جمهورية السودان الديمقراطية، الشؤون الدينية و الأوقاف، 2/1/3

ثانيا / الكتب باللغة العربية:

(1) ابراهيم بيومي غانم، الأوقاف والسياسة في مصر، دار الشروق، القاهرة 1998م .

(2) أبي عبد الله محمد ابن احمد الانصارى القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المعروف بتفسير القرطبي،

تحقيق عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية بيروت 1425 هجرية.

(3) احمد الحسب عمر الحسب، الوقف في الاسلام و تاريخه في السودان، بدون معلومات.

(4) الأمين محمود محمد عثمان، سلطنة الفور الإسلامية، الدار الوطنية الخرطوم 2000م .

(5) الطيب مختار الطيب، قصة الكيد للأوقاف، مطبعة السودان للعملة، ط2 .

(6) الطيب صالح بانقا، تجربة الأوقاف في السودان، الامانة العامة للأوقاف الكويت.

(7) عبد الله بن ناصر بن عبد الله السدحان، الإندثار القسرى للأوقاف، الإدارة العامة للأوقاف قطر

الدوحة، 2012م .

(8) عبد الرحيم فضل الله محمد الحسن، حملة إحياء سنة الوقف، ديوان الأوقاف الإسلامية ، و لاية

الجزيرة مدني 2012م

(9) عوض عبد الهادي عطا، الأوقاف السنارية، في المدينة المنورة، مجلة دراسات إفريقية، العدد 25، 2001م

(10) محمد بن احمد الصالح ، الوقف الخيري و تميزه عن الوقف الأهلي، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض

1423 هجرية.

(11) محمد ابراهيم ابوسليم، الفونج و الأرض، وثائق تمليك، شعبة ابحاث السودان، جامعة الخرطوم ،

مطبعة التمدن.

(12) محمد عبيد الكبيسي، أحكام الوقف في الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية الرياض، 2005م، الخرطوم، 2017م .

ثالثا / الرسائل الجامعية :

(1) فؤاد عبد المنعم احمد، حوكمة الأوقاف، رسالة دكتوراه الفلسفة في الشريعة والقانون، جامعة

نايف، الرياض 5102.

(2) عمر عبد الله حميدة، الأوقاف الإسلامية في السودان (9891/4051م) تاريخها وتقنينها، رسالة

دكتوراه في التاريخ غير منشورة جامعة الخرطوم ، 2013م.

رابعا / أوراق علمية:

(1) الطيب مختار الطيب، التجارب الوقفية في السودان، مؤتمر الوقف الإسلامي، جامعة القرآن الكريم

والعلوم الإسلامية 7102م

## أوقاف السودان الكجازية وإمكانية توظيفها في خدمة الكرمين الشريفين (دراسة تاريخية وإستشرافية)

- (2) خليفة بابكر الحسن، الأوقاف في دولة الفونج الإسلامية، ورقة علمية مقدمة لمؤتمر الأوقاف جامعة الخرطوم، 7102م .
- (3) فتح الرحمن محمد الأمين العراقي، الأوقاف في السودان دراسة ببليوغرافية شارحة، ورقة مقدمة لمؤتمر الأوقاف في السودان جامعة الخرطوم
- (4) عمر عبد الله حميدة، الدور التاريخي لقاضي القضاة في تقنين ونظارة الأوقاف في السودان، ورقة مقدمة لمؤتمر الأوقاف جامعة الخرطوم، 7102م.

# الإذاعة وعكسها لقضايا المعاقين دراسة وصفية لعينة من برامج (بوارق الأمل، من واحتنا، منارات رياضية، وفضاءات الطموح)

أستاذ مساعد، كلية الآداب قسم علوم  
الاتصال، جامعة أم درمان الأهلية

د. محمد سعيد عمر حاج الطيب بلال

## المستخلص:

يهدف هذا البحث للتعرف على القضايا والموضوعات التي تهتم بفئة من فئات المجتمع ألا وهي فئة المعاقين بمختلف إعاقاتهم ومحاولة تسليط الضوء عليها وإبرازها بالصورة المطلوبة، وقد استخدمت الورقة المنهج الوصفي التحليلي كونه أكثر المناهج التي تتناسب مع مثل هذه الدراسة. وقد خلصت الدراسة إلى نتائج أهمها: مقدرة الإذاعة على عكس قضايا المعاقين، فمعظم الإذاعات تفرد مساحات لبرامج الإعاقة ضمن خارطتها البرمجية، مع احتياج هذه البرامج للتخطيط المسبق والمحكم، وبعض البرامج تأخذ الشكل الحوارية من خلال عرض تجارب وقصص نجاح لمعاقين، وبعضها يتناول البرامج في شكل ملفات، والبعض الآخر يهتم بتنوع الأشكال التي يتم من خلالها تناول هذه القضايا، ومعظم هذه البرامج يعمل بها معاقون وهم أعرف من غيرهم بقضاياهم، وتوصي الورقة بضرورة التخطيط المسبق، وتنوع الأشكال البرمجية، وتوفير المعينات والأدوات التي تساعد على إنتاج برامج بدرجة عالية من الاحترافية، وإشراك الخبراء في تصميم هذه البرامج، وإفراد مساحات أكبر لتناول هذه القضايا، والاستفادة من الدراسات التي يتم إجراؤها عن الإعاقة والمعاقين ومواكبة كل ما هو جديد في عالم الإعاقة. الكلمات المفتاحية: الإذاعة، قضايا الإعاقة، برامج المعاقين، الراديو، السودان

**Abstract:**

This research aims to identify the issues and topics that concern a category of society, namely, the disabled with different disabilities, and try to shed light and highlight them in the required way.

The study showed that the ability of the radio to reflect the issues of the disabled, and most radio stations single out spaces for disability programs within their program map, with these programs need for prior and tight planning, and some programs take the form of dialogue by presenting experiences and success stories for the disabled, and some of them deal with programs in the form of files, and others are interested in diversifying the forms through which these issues are addressed, and most of these programs work with people with disabilities and they are more familiar with their issues than others. Involving experts in designing these programs, creating more spaces to address these issues, benefiting from studies that are being conducted on disability and the disabled, and keeping abreast of all that is new in the world of disability.

**Keywords:** Radio, disability issues, disabled programs, radio, Sudan

**المقدمة:**

تعتبر وسائل الإعلام من الأدوات الهامة والقادرة على عكس جل قضايا المجتمع بالصورة الصحيحة، خاصة الإذاعة المسموعة بما لها من إمكانيات على سرعة الانتشار والوصول لأقصى الأماكن وبالذات في بلد مترامي الأطراف ومتعدد الأجناس والثقافات مثل السودان، ومن ألوان القضايا قضية فئة المعاقين الذين يتجاوزون الـ 15% من المجتمع ولهم من القضايا ما لهم.

**المشكلة:**

تتبلور مشكلة البحث في أن الإذاعة لها إسهام ينبغي أن تؤديه في عكس قضية الإعاقة ولكن هنالك ضعف في أسلوب عرض قضية الإعاقة بصورة جلية.

**الأهمية:**

تأتي أهمية هذه البحث كونها تتناول فئة هامة في المجتمع ولها من القضايا التي تهمها الكثير ولا يمكن تسليط الضوء عليها بالصورة المثلى إلا من خلال وسائل الإعلام الجماهيرية وبالذات الإذاعة بما لها من مميزات.

**الهدف:**

يهدف هذه البحث للتعرف على طريقة طرح الإذاعة لقضايا فئة المعاقين وذلك من أجل جعل المجتمع يتفاعل مع قضاياهم المختلفة.

## التساؤلات:

ينطلق هذا البحث من عدة تساؤلات يسعى الباحث لمناقشتها وهي:

- 1- هل يتم التخطيط لقضايا المعاقين في الإذاعة؟
- 2- هل الذين يقومون بعملية التخطيط لهذه البرامج على معرفة ودراية بهذه الفئة؟
- 3- ما هي الكيفية التي يتم بها عكس قضايا المعاقين في الإذاعة؟
- 4- هل تتم تغطية كل الموضوعات التي تتصل بالمعاقين؟
- 5- ما هي المعوقات التي تعوق مثل هذه البرامج؟

## المنهج المستخدم:

منهج وصفي تحليلي لهذه البرامج وعقد مقارنة بينها

## طرق جمع المعلومات:

الملاحظة الشخصية للباحث وذلك كونه يعمل في عدد من المحطات الإذاعية وبالذات في برامج المعاقين، كما أنه ناشط في تنظيماتهم بالإضافة إلى ممارسته الأكاديمية للإعلام، وإجراء المقابلة الشخصية مع العاملين والمسؤولين عن هذه البرامج.

## الإطار المفاهيمي والنظري:

### مفهوم المعوق:

جاء في اللغة لفظ عوق «وعاقه عن الشيء يعوقه عوقاً» صرفه وحبس. ومنه التعويق والاعتياق وذلك إذا أراد أمراً فعرفه. هذا ولم يرد ذكر لكلمة المعوقين أو المعاقين في القرآن بل وردت كلمة معوقين بتشديد الواو وكسرهما في معرض الحديث عن المنافقين في سورة الأحزاب. إذن مصطلح (المعاق) يطلق على من تعوقه قدراته الخاصة، عن النمو السوي، إلا بمساعدة خاصة، وهو لفظياً مشتق من الإعاقة، أي التأخير أو التعويق ومعناه باللغة الانجليزية handicapped (أي تكييل اليدين) أو (deformity).

وقد عُرفَ المعاق في مؤتمر السلام العالمي والتأهيل (بأنه كل فرد يختلف عن يطلق عليه لفظ سوي أو عادي، جسماً أو عقلياً أو نفسياً أو اجتماعياً إلى الحد الذي يستوجب عمليات تأهيلية خاصة، حتى يحقق أقصى تكيف تسمح به قدراته الباقية. كما عرفته منظمة الصحة العالمية، (بأنه كل شخص يعاني من قصور نتيجة الإصابة بمرض عضوي أو حسي أو عقلي، يعجزه عن أداء واجباته الأساسية أو مزاوله أعماله أو الاستمرار فيها بالمعدل الطبيعي)<sup>10</sup>

## وشمل تصنيف المعاقين الفئات:

- أ. معاق جسمي: وهم المقعدون، والمشلولون، ومبتورو الأطراف، والمرضى بأمراض مستعصية أو خطيرة (أي الذين لديهم عجز في الجهازين الحركي والبدني بصفة عامة).
- ب. معاق حسي: (كالمكفوفين والصم باختلاف درجاتهم).
- ج. معاق عقلي: (يمثلون مرضى العقول والنفس باختلاف درجاتهم).

## التعريف القانوني للمعاقين:

تضمن إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق المعاقين الصادر في سنة 1975م أن كلمة معوق تعني كل شخص لا يستطيع أن يكفل لنفسه كلياً أو جزئياً ضرورات الحياة الفردية أو الاجتماعية نتيجة نقص خلقي

أو غير خلقي في قواه الجسمية أو العقلية. وصنفت منظمة الصحة العالمية باعتبارها مرحلة أخيرة تأتي بعد الإصابة بالعجز<sup>11</sup>.

أما قانون رعاية وتأهيل المعوقين لسنة 1984م جمهورية السودان فقد عرّف المعوق في الفصل الأول تحت أحكام تمهيدية «معوق يقصد به كل شخص يكون بسبب عجز مستديم جسماني أو حركي أو عقلي أو بصري أو سمعي غير قادر على أداء الأعمال التي يقوم بها من هم في سنه من الأشخاص الأصحاء»<sup>12</sup>.

**ويمكن إجمال القول في السبب الذي أدى إلى ضرورة وضع قوانين للمعاقين في التالي:**

1. الإقرار بحقوق المعوقين ومساواتهم ببقية أفراد المجتمع
  2. العمل على الحد من الإعاقة وأسبابها
  3. تقبل المعاق كإنسان له كرامته وعزته
  4. توفير العلاج أو الحد من مضاعفة الإصابة
  5. توفير الرعاية الصحية والاجتماعية طوال فترة الإعاقة
  6. توفير التأهيل الاجتماعي والمهني والأكاديمي
  7. إقرار حق التعليم للمعوقين
  8. الاهتمام بالجانب الرياضي
  9. الاهتمام والعناية بمجالات البحوث والدراسات
  10. توفير وسائل التنقل والاتصال
  11. تشجيع قيام تنظيمات المعوقين (اتحادات، مراكز، جمعيات) للمساهمة في رعايتهم وتأهيلهم
  12. حث الدولة على الاهتمام برعاية وتأهيل المعوقين وإصدار التشريعات الخاصة بهم، والعمل على إنفاذها<sup>13</sup> ومما جاء يمكن القول إن أساس الحكم على شخص معاق من شخص غير معاق هو مدى مقدرة الشخص على مزاولة عمله أو القيام بعمل آخر.
- كما أن أنواع القصور التي يتعرض لها المعاق قد تكون بدنية أو عقلية أو حسية، والقصور قد يؤدي إلى حدوث عاهة ما للفرد، وقد لا يؤدي إلى ذلك، فإن أدى إلى حدوثها سمي هذا الفرد معاقاً<sup>14</sup>.
- كما أن الإصابة التي تحدث للفرد قد توقعه عن التكيف مع مجتمعه أو بيئته التي يعيش فيها، مما ينتج عنه عدم استقرار في حياته، وهذا بالتالي يؤدي إلى آثار اجتماعية سيئة، وأسباب هذا القصور إما أن ترجع إلى حادث أو مرض أو لأسباب خلقية منذ الولادة.
- ومن الواضح أن هناك تطوراً في المفاهيم الخاصة بالإعاقة والتأهيل وهذا يرجع إلى تنوع الإعاقة ودرجاتها، والتطور في وسائل مواجهة الإعاقة، وتعدد الخدمات التأهيلية وفقاً لاحتياجات المعوقين فردياً وظهور مبادرات إنسانية جديدة مثل المساواة والمشاركة والاندماج وبروز حركة تجمعات المعوقين أنفسهم في شكل روابط وهيئات ونقابات وتنظيمات.

### **وضع المهوق في القوانين والدساتير السودانية:**

الدستور هو أب القوانين وهو الذي يضع الأطر والأسس الرئيسة التي تنظم حياة الدولة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وكيفية الحكم والضمانات الدستورية والحريات والحقوق الأساسية

واقتراس السلطة وبناء عليه تصدر القوانين المفصلة لتلك الأطر والنظم. فيما يختص بالاهتمام القانوني بالمعوقين في السودان نجده تأثر بدعوة الأمم المتحدة التي خصصت عام 1981م عاماً دولياً للمعوقين. وتكوين اللجان القومية للاحتفال بذلك العام. وقد ساهمت اللجنة القومية السودانية في صدور قانون 1984م والذي سمي قانون رعاية وتأهيل المعوقين لسنة 1984، تناول هذا القانون:

- أ. إنشاء المجلس القومي لرعاية وتأهيل المعوقين مع تحديد اختصاصاته واجتماعاته المختلفة.
- ب. الغرض من المجلس أن يكون مظلة تجمع كل تنظيمات المعاقين على الرعاية ومساعدتها في تحقيق أهدافها.
- ج. إنشاء وتنظيم الأمانة العامة للمجلس بهدف تسيير عمل المجلس بكفاءة واقتدار.
- د. إنشاء صندوق رعاية وتأهيل المعوقين مع تحديد أغراضه وأهدافه واختصاصاته وميزانيته وكيفية إدارة حساباته.
- هـ. إنشاء المجالس الفرعية في الولايات وتحديد اختصاصاتها وأهدافها، وهي تسعى لتنفيذ سياسة المجلس القومي في ولاياتها.
- و. إنشاء الصناديق المالية بالولايات مع تحديد أهدافها وأغراضها.
- ز. إعفاءات وتسهيلات للمعاقين.
- ح. العقوبات وإصدار اللوائح.

نشأ ذلك المجلس وبإشراف مهامه عام 1990م بعد ست سنوات من إصدار هذا القانون، وكوّن المجلس من 88 عضواً بينهم ثلاثة معوقين فقط، ولم يكن أداءه مرضياً لأن كثيراً من أعضائه لم يكن لديهم اهتمام بقضايا المعوقين ومشكلاتهم مما أدى لتوقفه وتعطله إلى أن أعيد تشكيله عام 2003. وقد نشأت بعد ذلك عدة مجالس ولائية لرعاية وتأهيل المعوقين في ولايات السودان المختلفة وما زال سارياً حتى الآن، ولكن تم وضع مشروع جديد لسنة 2006م لكنه ما زال حبيس الأدراج<sup>12</sup>. وقد تناول دستور جمهورية السودان عام 2005م قضية الأشخاص ذوي الإعاقة في مادتين إحداهما المادة (12) الخاصة بالعدالة الاجتماعية، وقد جاء فيها البند الثاني (لا يحرم أي شخص مؤهل من الالتحاق بأي مهنة أو عمل بسبب الإعاقة ولجميع الأشخاص ذوي الإعاقة والمسنين الحق في المشاركة في المناشط الاجتماعية والمهنية والإبداعية، ثم المادة (45) التي تناولت حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة: (تكفل الدولة للأشخاص ذوي الإعاقة كل الحقوق والحريات التي نص عليها الدستور خاصة احترام كرامتهم الإنسانية وإتاحة التعليم والعمل المناسبين وكفالة مشاركتهم الكاملة في المجتمع).

عليه وفقاً لهذه الأسس والأطر يجوز إصدار القوانين الخاصة أو العامة التي يمكن أن تحقق الوقاية والحد من الإعاقة ورعاية وتأهيل المعوقين. أما بالنسبة للتمويل في مجال الرعاية والتأهيل فمازال يتم عن طريق الاعتمادات والمساعدات التي تقدمها الدولة للجمعيات والتنظيمات ثم عن طريق التبرعات والمساعدات التي يوفرها الجهد الشعبي، وبعض المنظمات المحلية والإقليمية والدولية ورجال الخير، ولكنها ظلت بسيطة ولا تفي بالالتزامات الضرورية، مما أثر في تنفيذ سياسة الرعاية والتأهيل بالصورة المطلوبة.

وفي رأي الباحث أن القانون السوداني تناول موضوع الإعاقة وقاية ورعاية وتأهيلاً عن طريق القانونين العام والخاص في آن واحد، ولكن رغم ذلك هناك عدة جوانب أهملتها تلك القوانين رغم أهميتها وما يهمنها موضوع البحث وما يتعلق بتشريعات الإعلام خاصة الإذاعة لما لها من أثر واضح في هذا المجال. باعتبارها وصفاً خاصاً لهموم وقضايا المعوقين بل ظل يتناولها في المناسبات القومية والإقليمية والعالمية من وقت لآخر، فلا بد من تحديد برامج في كل من الإذاعة والتلفزيون والصحف للاهتمام بالرعاية والتأهيل وتبسيط الضوء على قضايا المعاقين المختلفة ووضع الاقتراحات الخاصة بالحلول المناسبة.

تسهم وسائل الإعلام المختلفة من صحافة، وتلفزيون، وإذاعة، وإعلام جديد. وبالتركيز على الإذاعة باعتبارها الأرضية التي يتم عليها البحث نظراً لأن وسائل الإعلام المختلفة يقع على عاتقها الدور الكبير والمرجو منها. وذلك من خلال التعريف بالمعاقين، وبأوضاعهم، ومقدراتهم<sup>12</sup>.

### الحق في الإعلام للمعوقين منهج قائم على النموذج الكلاسيكي:

الحق في الإعلام مفهوم حديث نسبياً تطور ومن ثم ترسخ كثمرة نضال شاق طويل انتزعت به المجتمعات الإنسانية على التوالي الحريات الفكرية والثقافية، حرية التعبير، حرية الصحافة، حرية الإعلام، حرية الاعتقاد والحريات الأخرى في المجالات اللصيقة، المعلومات والتعليم، والفنون، ثم أخيراً المعلوماتية. فالحق في الإعلام هو تجميع العديد من الحريات، فهو يعطي الإنسان المواطن رجلاً كان أم امرأة، معاقاً أم غير معاق - ليس فقط حرية التعبير أو الاستماع أو الاطلاع على المعلومات والآراء الصادرة عن الغير، بل أن يكون له الحق في ذلك بضمنان النظم والقانون. ويمتد هذا الحق ليطال مجمل مهام ومراحل العملية الإعلامية فالمواطن (معاق أم غير معاق) له الحق الذي يكفله ويضمنه القانون في أن يكون منشئاً للرسالة الإعلامية - إذا شاء أو منتجاً لها أو مرسلأ أو متلقيأ. يعني هذا أنه ليس من العدل ولا رشيد السياسة أن تتأثر مجموعة يضمها لواء نوع أو توجه سياسي أو ثقافي دون الآخرين المختلفين باختكار وسائل الإعلام والمعرفة، وهذا لن يكون وليس باستطاعته الاستمرار في مجتمع حر يتمتع أفراده بحقوقهم وهم على استعداد للدفاع عنها<sup>14</sup>. وفي هذه الورقة نود التعرف على الدور الذي تؤديه وسائل الإعلام المختلفة في طرح البرامج الفئوية وبالتحديد فئة المعاقين باعتبارها من الفئات الهامة والمؤثرة في المجتمع ولأنها تشكل نسبة عالية من المجتمعات. يقول دكتور مرتضى الغالي عن الإعلام الذي يتناول قضايا القطاعات المجتمعية المعنية في أي مجتمع من المجتمعات هو في الترتيب من الدرجة الأولى في وسائل الإعلام التي تنقل أخبار المجتمع ولهذا فهو يسمى بإعلام المجتمع وهو يوضح وضع الوسيط الإعلامي إذا كان وسيطاً قطرياً، أو وطنياً، أو إقليمياً، أو هو وسيط عالمي. فبالتالي نجد أن البرمجة لهذه الوسائل تقوم على التغطية، والاهتمام بقضايا، واحتياجات، وتطلعات، ومشكلات، وأوضاع، وأحوال جميع القطاعات السكانية. وهو أحد المستويات التي يركز عليها الإعلام الذي يهتم بالشؤون المحلية<sup>15</sup>. والمستوى الآخر: القضايا المجتمعية المختلفة بمعنى أنك يمكن أن تكون مهتماً بالأحداث، الأطفال، الشباب، العمال، المهنيين، الزراع، والمعاقين، باعتبارهم من فئات المجتمع.

المستوى الثالث: القضايا المتعلقة بالفئات المختلفة في المجتمع أي فئات المجتمع وقطاعات المجتمع مثل جميع الفئات السكانية على مختلف أوضاعها وكذلك القضايا على مختلف أوضاعها. بهذا المعنى ينبغي أن يكون لدى الإعلام اهتمام وبرامج، وعلى أجهزة الإعلام تحديد كيفية تغطية

هذه القضايا سواء كانت برمجة عامة أو برمجة متخصصة هذا إذا تحدثنا عن الإعلام التلفزيوني، أو الصحافة المكتوبة، أو الإعلام الإذاعي. إما أن تدرج قضايا هؤلاء الناس في خط التحرير العام بالنسبة للوسيلة الإعلامية، أو يكون لها ملفات متخصصة، لكن الغرض في التخصص لا يعني عدم الاهتمام أو التمييز السالب بمعنى أن هؤلاء الأفراد فقط لهم ركنهم فحسب ولكن التخصص هو معالجة القضايا بصورة أكثر حرفية لأن أي جهاز إعلامي يكون لديه جملة من الاهتمامات والتخصصات والتغطيات فأى جهاز ليس معنياً إذا لم يعط مساحة معقولة جداً لذوي الإعاقة، لماذا؟ لأنهم فئة من المجتمع، لماذا؟ لأن لهم قضايا خاصة كما قد يكون لغيرهم قضايا خاصة، لماذا؟ لأن لهم حقوق في الوطن والمواطنة وفي التعليم وفي الصحة وفي التربية وفي الإرشاد وفي التوجيه، لماذا؟ لأن لهم مطلوبات أنهم يريدون أن يعملوا ويتنصروا. لماذا؟ لأن الدولة تضع لهم تقديرات معينة. لماذا؟ لأنهم كاملو الأهلية. لماذا؟ لأنه من المفروض أن أي فئة لا تضار بأي سبب من الاختلاف في الطبيعة، الشكل، اللون، العرق، الدين، الجهة، الجغرافيا، الاعتقاد... إلى آخره. والمحصلة أن الإعلام سيستفيد عندما يوجه اهتمامه لهذه الفئة لأن قطاع المعاقين من القطاعات المهمة وله مشكلات مختلفة، وبه أشخاص مبدعون، ويمكن أن يكون من أنشط الفئات التي يمكن أن تساهم في تمويل الأجهزة الإعلامية، فالأشخاص قد تكون لديهم إبداعات تعمل على ربط وإثراء مجمل المجالات الفنية، والثقافية والأدبية الموجودة في المجتمع. وسيكون هنالك نوع من الظلم إذا لم يهتم الإعلام بكل فئات المجتمع بمن فيها ذوي الإعاقة ومن الأفضل للإعلام أن يهتم بما يتعلق بهذه الفئة ويعرف كيف يخاطب قضاياها، ويجب تدريب العاملين في الحقل الإعلامي عليها حتى يساعد ذلك على طرق قضاياهم في الإعلام، وينبغي أن تكون هذه القضايا متاحة في الإعلام لأن الإعلام المتخصص أصبح يحتاج إلى تدريب حتى يساعد المجتمع بعد ذلك في التعامل مع الفئات الشبيهة مثل الفئات التي تهتم بالإبداع والرعاية، والمعاهد المتخصصة، والمستشفيات العلاجية، والجهات التي تبتكر وسائل للمعاقين سواء كان ذلك عالمياً، إقليمياً، محلياً. فهذه الأشياء تفتح آفاقاً كبيرة جداً وكذلك تقوم بمدّ الجهاز الإعلامي بمادة إعلامية لها جمهور خاصة أن البرامج التي تهتم بالإعاقة لها جمهور ليس بالقليل فهو قطاع واسع من الجمهور.

أما فيما يتعلق بالإذاعات وتناولها للبرامج الفئوية فالإذاعة هي من أكثر وسائل الإعلام التي تهتم بكل شرائح المجتمع بكافة قطاعاته المختلفة خصوصاً أن الإذاعة هي من أكثر الوسائل الإعلامية متابعة وبرامجها تلقى القبول، كما أن الإذاعة تهتم بفئات المجتمع المختلفة وتناقش قضاياها وتقوم باستضافة المختصين والمسؤولين من مختلف التخصصات، ومن هذه الفئات فئة المعاقين التي تحرص على تناول قضاياها، خاصة أن هناك نسبة مقدرة من المستمعين تهتم بقضايا المعاقين وذلك لرؤيتهم أن هذه الفئة تستحق الرعاية، والاهتمام سواء كان من الدولة أو المنظمات أو من وسائل الإعلام المختلفة التي ينتظر الناس منها الكثير لخدمة هذه الفئات المجتمعية وذلك لما تستطيع أن تقدمه من خدمات<sup>16</sup>.

تمثل اليوم الإذاعة الناتج لعملية تطويرية شملت في غالب الأمر عدداً كبيراً من الابتكارات التكنولوجية والمنجزات العلمية والأشكال الاقتصادية والاجتماعية الجديدة<sup>1</sup>، والإذاعة شأنها شأن وسائل إعلامية عديدة تأثرت بصراعات عديدة فقد تقاوت شركات ضخمة حول حقوق الامتياز وتنافست شبكات البث الإذاعي على ترددات معينة كما أن الإذاعات قد حاربت الصحف ونازعتها في حق إذاعة الأخبار، كما

حرم المشتغلون بالدعاية الجهات المنظمة حول الادعاءات الكاذبة، وفي الآونة الأخيرة تفجرت المعارك حول عرض مشاهد العنف التلفزيوني، وكلاً من نموذج الصراع ونموذج التطوير يقدمان إطاراً جوهرياً لتفسير الطريقة التي تشكلت بها الإذاعة لتصبح وسيلة الإعلام التي نعرفها اليوم.

أما في السودان فقد اختلفت الروايات حول الميلاد الحقيقي للإذاعة السودانية فقد ذكر كلاً من د. عوض إبراهيم عوض ود. حديد السراج أنها قد بدأت في شهر أبريل 1940<sup>2,3</sup>. بينما أفاد بروفسور علي محمد شمو واتفق معه بروفسور صلاح الدين الفاضل أنها افتتحت رسمياً في 2 مايو 1940م<sup>4</sup>.

جاءت فكرة إنشاء الإذاعة السودانية لأهداف دعائية فقد فكرت بريطانيا في مجارة ألمانيا التي كانت تستخدم أسلوب الدعاية والحرب النفسية عبر الإعلام، فقررت بريطانيا إنشاء إذاعات في مستعمراتها الهامة وقد كان السودان من أهم المستعمرات نظراً لموقعه الإستراتيجي فبدأت الإذاعة إرسالها من غرفة صغيرة بمباني البوسطة بأمر درمان. وطيلة الفترة من إنشاء الإذاعة في العام 1940م حتى عام 2004م كانت المحطات الإذاعية مملوكة للدولة، مما سمح للقطاع الخاص بإنشاء محطات إذاعية وقنوات تلفزيونية خاصة تعمل جنباً إلى جنب مع الإذاعة وتلفزيون السودان، وظهرت العديد من محطات (FM)<sup>5</sup>

برنامج بوارق الأمل هو أحد البرامج الفتوية على الإذاعة السودانية وقال أ. جمال محي الدين عن فكرة البرنامج: بدأ البرنامج في شهر نوفمبر من العام 2006م في الدورة البرمجية الشتوية وبدأ بربع ساعة أسبوعياً ومن بعد ذلك تمت زيادة الزمن إلى نصف ساعة والتي لا يزال مستقراً عليها حتى الآن. وانطلقت الفكرة للبرنامج من أنه كان من طلاب جامعة النيلين قسم الاجتماع وطُلب منهم برنامج تسجيلي فكانوا يجولون على السجون ومراكز المعاقين والتي كان من ضمنها زيارة لمعهد النور ببحري، يقول محي الدين: فوجدنا نماذج متميزة تحتاج عكس نشاطاتهم المختلفة مما دفعنا إلى أن نحمل هم هذه الفئة الهامة من فئات المجتمع وهذا جعلنا نقدم المقترحات بين الفينة والأخرى إلى إدارة الهيئة السودانية للإذاعة والتلفزيون حتى تمت الموافقة على أن يكون هنالك برنامج توعوي تعريفي للمعاقين والذي بحثنا له عن اسم معبر ووقع الاختيار على تسميته بوارق الأمل حتى نغير الصورة النمطية للمعاقين، أي أن فكرة البرنامج عبارة عن عرض تجارب المعاقين الناجحة<sup>6</sup>.

تبلورت فكرة إنشاء إذاعة صوت القوات المسلحة عبر اتفاقية أديس أبابا 1972 استكمالاً لدور الإعلام في وحدة الصف، وتم إنشاء إذاعة الوحدة الوطنية لتقوم بدورها الإعلامي ذي التوجه القومي للاستفادة من كوادر الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون في تجويد الأداء إلا أن المساحة الممنوحة للث لم تكن كافية لإحداث التفاعل بين أفراد القوات المسلحة، هذا الشعور دفع إدارة التوجيه المعنوي العسكري لإنتاج برامج عسكرية وبنها عبر إذاعة الوحدة الوطنية بعدها بدأ فرع الإعلام العسكري إنتاج هذه البرامج وبنها عبر الإذاعات الولائية في كل أنحاء السودان.

لم تستمر عملية بث البرامج فترة طويلة نسبة لشح الإمكانيات وقرار الهيئة القومية بإيقاف الإذاعات المتخصصة عام 2002م هذا التوقف دفع الإدارة للعمل على تأهيل الأستديو الإذاعي لفرع الإعلام وإدخال الأجهزة الرقمية الحديثة والاتفاق مع الهيئة القومية للإذاعة على إطلاق إذاعة تحمل اسم القوات المسلحة

تبت برامجها على مدى ساعتين على الموجة المتوسطة 393 وأحياناً على الموجة 312 بدأ البث الفعلي للإذاعة ولأول مرة في الأول من أغسطس عام 2002 بخارطة برمجية متوازنة واستمر البث حتى 2005 ليتوقف لأسباب تتعلق بالميزانية وجاء انطلاق الإذاعة مجدداً، وفي هذه الفترة وبالتحديد في العام 2006م شهدت إذاعة القوات المسلحة أول برنامج للمعاقين تحت اسم (من واحتنا) وهو برنامج يُعنى بطرح قضايا المعاقين وعكس تجاربهم وذلك في نصف ساعة أسبوعياً مسجلة. نبعت فكرته من أ. قسمة النور جبريل معدة البرامج وتقول إنها أحست بضرورة وجود مثل هذه البرامج في الإذاعات خاصة أن برامج المعاقين أول ما ظهرت في التسعينات في التلفزيون ببرنامج الصلات الطيبة وخطاويناً<sup>7</sup>

تعتبر الرياضية (FM104) الإذاعة المتخصصة الأولى في السودان والثانية في العالم العربي والأفريقي بعد إذاعة الشباب والرياضة بجمهورية مصر العربية.

تقدم الإذاعة برامج رياضية بنسبة 65% وبرامج منوعات بنسبة 35% من خلال خدمة متميزة<sup>8</sup>، وفكرة برنامج منارات رياضية نبعت من أ. عوض مصطفى الصلحابي معد ومقدم البرنامج فقال: (شاءت الصدف قبل عامين كان هنالك عمل وطني قامت به الإذاعة الرياضية 104 وشاركك كمواطن قمت بتهنئة المنتخب الوطني، وأشرت بأننا كمعاقين نقوم بالمشاركة فب العمل الوطني، ومن هنا رد علي الأستاذ يوسف السماي بقوله: نحن في الإذاعة نهتم بالمعاقين، وبرياضة المعاقين ونريد أن نفردهم مساحة وطلب مني أن أحضر للإذاعة حتى نفكر في إعداد برنامج، بعد شهر من هذا الكلام تقريباً كان هنالك سباق دراجات وتم في هذا السباق توزيع تذاكر فيها جوائز، وهذا السباق مرّ بشارع بيتنا في الثورة الحارة الثانية عشرة وأنا التقطت بعض التذاكر ووجدت فيها بعض الجوائز وجئت للإذاعة وكانت برفقتي الأستاذة مشاعر مصطفى وبعد أن استلمت جوائزها طرحت الفكرة سويماً وهي فكرة برنامج يعكس أنشطة وقضايا ومشاركات المعاقين وفي المرحلة الأولى كان اسم البرنامج منارات رياضية وكان برنامجاً تسجيلياً مدته نصف ساعة أسبوعية وبعد ذلك وجدنا أن منارات رياضية تحصرنا في مجال ضيق للغاية وهو المجال الرياضي فقط.

بعد ذلك قمنا بحذف كلمة رياضية وأصبح برنامج منارات وذلك على أساس أن نتوسع في بقية الأنشطة والقضايا بحيث لا نكون محصورين في النطاق الرياضي فقط. بعد ذلك تطور البرنامج حتى أصبح ساعة أسبوعية على الهواء مباشرة وأول بداية للبرنامج كانت في 15 مارس 2007. وما يميز برنامج منارات أننا كمعاقين أنا وزميلتي مشاعر جزء من قضية الإعاقة<sup>9</sup>

إذاعة جامعة الخرطوم أنشئت في العام 2014م لتكون ناطقة باسم الجامعة ومن بدايتها كان برنامج المعاقين حاضراً فقد تواصلنا مع إدارة الإذاعة وطلبنا منهم أن يكون هنالك برنامج خاص بالمعاقين وكان اسمه صوت الإرادة واستمر لفترة تقارب العامين أو تزيد وبعد ذلك توقف لفترة وكانت هنالك محاولات عديدة لعودته وفي العام 2020 م طلبت مني الإدارة إعادة البرنامج وتمت الموافقة على ذلك بحلية جديدة تحت اسم فضاءات الطموح كبرنامج أسبوعي كل خميس في الساعة الحادية عشرة صباحاً وبفقرات متنوعة.

### الدراسة الهيدانية:

في هذا المحور سوف يقوم البحث بمحاولة توصيف لأشكال البرامج التي تقوم بعرض قضايا المعاقين وعقد المقارنات المنطقية بينها، فبرنامج بوارق الأمل ومن واحتنا من البرامج المسجلة التي تركز جل اهتمامها

على عرض تجارب المعاقين في فترة نصف ساعة دون أن يكون هنالك تخطيط مسبق وإنما يصب هذا الاهتمام في عكس التجارب المتميزة والتي في كثير من الأحيان يوجد بينها تشابه كبير لا سيما أن الذين يعدون هذين البرنامجين ليسوا هم الذين يقومون بعملية التقديم مع أن معدة برنامج من واحتنا هي من فئة المعاقين. وأكد أ. جمال محي الدين معد برنامج بوارق الأمل أن أهم المشكلات التي تواجه البرنامج ما يلي:

أ. كون البرنامج مسجل هذه واحدة من أكثر المشكلات لأن تفاعل الجمهور لا يكون بالصورة المثلى ولا تستطيع أن تجعلهم يتفاعلون معك.

ب. المعوقات المالية فيما يتصل بالحركة وعكس الفعاليات والمناشط وتجارب المعاقين بالولايات لكن عموماً هنالك درجة من الرضا من قبل مستمعي البرنامج.

ج. يأخذ البرنامج الشكل الحوارى فقط ومن المفترض أن يكون متنوع الفقرات<sup>6</sup>.  
أما برنامج منارات رياضية الذي تم تغيير اسمه إلى مرافئ فيبث على الهواء مباشرة لمدة ساعة وفي الغالب - من خلال متابعاته - يتناول ملفات مثل التعليم والزواج والتوظيف... الخ، وفي كثير من الأحيان تكون به مصادمات مع المعاقين ومقدمي الخدمات لهم، ويكون العمل على شكل ملفات كما أوضح أ. عوض مصطفى قائلاً: على سبيل المثال نفتح موضوعاً اجتماعياً، مثلاً زواج المعاقين قدمنا فيه ثلاث حلقات متتالية، بعد ذلك ننتقل إلى ملف آخر. وفيما يتعلق باختيار الشخصيات فعند الحديث عن موضوع نفسي يخص الإعاقة نبحث عن طبيب نفسي له علاقة بالإعاقة من خلال عمل مباشر، عمل طوعي، أو كصديق لشخص من المعاقين، دائماً نتحسس هذه النوعية من الشخصيات (هذا غير المادة الأكاديمية) ونبحث عن الذين لديهم علاقة أو شاركوا في أنشطة أو تعاملوا مع المعاقين في أي موقع من المواقع، فهؤلاء تكون تجربتهم كبيرة جداً وهم يتكلمون بشكل واقعي ومعاش<sup>9</sup>

كذلك الحال بالنسبة لبرنامج صوت الإرادة الذي تغير اسمه إلى فضاءات الطموح والذي يركز على تنوع الموضوعات من دون التركيز على التجارب الشخصية في كثير من الأحيان وكذلك على التفاعل، فهو برنامج مباشر تفاعلي يركز على التواصل عن طريق الهاتف وتنوع الفقرات، ولا يوجد في كثير من الحلقات ضيوف داخل الأستوديو<sup>17</sup>. هذان البرنامجان بهما فقرة تهتم بعكس أخبار الإعاقة وما يدور في ساحة الإعاقة والاستماع إلى وجهات النظر وأوضح مثال على ذلك ما يتصل بقضية تسجيل الاتحادات في مفوضية العون الإنساني، حيث استضيف رئيس المفوضية ورئيس الاتحاد وكانت الحلقة تصادمية للاستماع لكلا الاتجاهين وترك المستمعين ليحكموا، وهنالك تخطيط مسبق حسب الفعاليات والمناسبات المختلفة مثل الاحتفال باليوم العالمي للإعاقة والعصا البيضاء ويوم البصر ولغة الإشارة، والاحتفاء بالناجحين في امتحانات الشهادة وغيرها.

### الخاتمة:

تسعى كل هذه البرامج لمراعاة المعايير العلمية لتخطيط البرامج، ومحاولة التنوع في الأشكال الإذاعية وتنوع الفقرات لتكون متجددة ومتماشية مع متطلبات العصر، فالإعاقة بها كل جديد لا سيما في ظل التطورات المتسارعة للوسائل والتقنيات المساعدة التي تساعد المعاقين على الحد والتخفيف من إعاقتهم، وفي تقديري الشخصي أن الإعلام لعب دوراً كبيراً في السنوات العشر الفائتة في التعريف والتوعية المجتمعية بقضايا المعاقين مما وفر لهم جزءاً كبيراً مما كانوا يطمحون ويحملون به من خلال الضغط

الإعلامي على قضاياهم ومشكلاتهم التي لا يمكن حلها من دون الطرق الإعلامي، وبات المسؤولون ومنتخذي القرار يصحبونهم في عملهم بالإضافة إلى القوانين التي حفظت لهم حقوقهم وواجباتهم، ويجب أن يتم العمل بالنتائج والتوصيات التي تخرج بها مثل هذه البحوث وألا توضع فقط على رفوف المكتبات، وأن يتم إعداد ورش دورية لتقويم مثل هذه البرامج عن طريق الأكاديميين والباحثين العلمة الجادة.

### النتائج:

من خلال الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث خلص البحث للعديد من النتائج وهي على النحو الآتي:

1. الإذاعة لها المقدرة على عكس قضايا وموضوعات المعاقين.
2. معظم المحطات الإذاعية بها برامج متخصصة للمعاقين.
3. يتراوح زمن هذه البرامج من نصف ساعة إلى ساعة في الغالب.
4. هذه البرامج تحتاج إلى التخطيط المسبق.
5. برنامج بوارق الأمل ومن واحتنا ركزا على عرض التجارب الشخصية.
6. يهتم برنامج مرافئ بالملفات.
7. يركز برنامج فضاءات الطموح على التنوع في الأشكال.
8. بوارق الأمل ومن واحتنا برامج مسجلة وتخلو من التفاعل بين الإذاعة ومستمعيها بالإضافة إلى خلوهما من التصادم بين المعاقين ومقدمي الخدمات.
9. تمتاز مرافئ وفضاءات الطموح بأنها برامج مباشرة وبها تفاعل ومصادمة بين طالبي الخدمة ومقدميها.
10. معظم هذه البرامج يعمل بها معاقون وهذا دليل على صحة أنهم أعرف من غيرهم بقضاياهم.
11. غياب الشكل الدرامي في تناول كل هذه البرامج والشكل الغالب هو الشكل الحوارية.

### التوصيات:

بعد النتائج التي خرج بها البحث فإنه يوصي بالآتي:

1. التخطيط المسبق لبرامج المعاقين.
2. تغيير الأشكال التي يتم من خلالها تناول هذه الموضوعات فمن الممكن تناولها بالشكل الدرامي لمقدرته على إيصال الأفكار بصورة قوية.
3. توفير المعينات حتى تتم تغطية معظم المناسبات والوصول إلى أكبر القضايا التي تهتم المجتمع.
4. إشراك الخبراء في تصميم هذه البرامج.
5. إفراح مساحات أكبر لهذه القضايا.
6. الاستفادة من الدراسات والبحوث التي يتم إجراؤها على المعاقين.
7. التعريف بكل ما هو جديد في عالم الإعاقة من التقنيات المساندة.

## الهوامش:

- (1) صلاح الدين الفاضل، تخطيط وإنتاج البرامج الإذاعية، رسالة دكتوراه جامعة وادي النيل، 1999م، ص 65.
- (2) عوض إبراهيم عوض، الإذاعة السودانية في نصف قرن، بيت الخرطوم للدعاية والنشر، ط، 2001، ص 35
- (3) حديد الطيب السراج، الإعلام الإذاعي ودوره في الوعي القومي في السودان، وزارة الثقافة، 2011م، ص 74
- (4) علي محمد شمو، الاتصال الأساسيات والمهارات، 2006م، ص 244.
- (5) سارة إبراهيم، نظم وسياسات الاتصال في راديو وتلفزيون السودان في الفترة من (2003م - 2009م أمودجاً) رسالة دكتوراه جامعة الخرطوم غير منشورة ص (118).
- (6) جمال محي الدين، معد ومخرج برنامج بوارق الأمل، مقابلة بالإذاعة، يوم الأحد 2021/10/3 الساعة 11:30 صباحاً.
- (7) قسمة النور جبريل، معدة برنامج من واحتنا، مقابلة في إذاعة القوات المسلحة، يوم الإثنين 2021/9/27 الساعة 1:30 ظهراً.
- (8) يوسف السماني، مدير الإذاعة الرياضية FM104، مقابلة بمكتبه، يوم الإثنين 2018/9/10.
- (9) عوض مصطفى الصلحابي، معد ومقدم برنامج منارات، مقابلة يوم الأحد 2021/9/26م
- (10) أحمد عبد الرحمن النوراني - الإعلام والإعاقة - 2006م
- (11) الصادق عبد الكريم- قضايا ومشكلات في التربية الخاصة- 2004م.
- (12) الطيب السماني الشيخ- رعاية وتأهيل المعوق في القانون السوداني وفي تشريعات بعض الدول العربية والإسلامية والمواثيق الدولية، أبريل 2006م.
- (13) رشيدة عبد المطلب- العمل الطوعي في السودان- 2005م.
- (14) مجلة أصدقاء المعاقين- تصدرها الجمعية الوطنية لحقوق المعاق في لبنان العدد 59/ ص 54
- (15) مرتضى الغالي- رئيس تحرير صحيفة أجراس الحرية، مقابلة الثلاثاء 2008/9/2م الساعة 2:30 ظهراً.
- (16) عبد المطلب الفحل، مقابلة بمكتبه بالإذاعة الرياضية، الإثنين 2018/9/10م الساعة 1:00 ظهراً.
- (17) مصعب عبد الكريم، مقدم برنامج فضاءات الطموح بجامعة الخرطوم، مقابلة، الأحد 2021/10/3 م الساعة 10:00 صباحاً.

# المباحث العقديّة من خلال آيات الصيام

أستاذ العقيدة الإسلامية المشارك بالجامعة القاسمية  
بدولة الإمارات العربية المتحدة والمعار من جامعة  
القرآن الكريم والعلوم الإسلامية السودان

د. أحمد محمد الزبير حسن

## المستخلص:

تهدف هذه الدراسة لمعرفة المباحث العقديّة من خلال آيات الصيام. بأسلوبٍ سهل، وميسرٍ لمعالجة التعقيدات التي اتسمت بها بعض الكُتب العقديّة قد عرضت الموضوعات الأساسية في المباحث العقديّة من خلال آيات الصيام معتمداً على القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومستعيناً بأقوال العلماء متى كان ذلك لازماً، واتبعت المنهج الإستقرائي التحليلي الذي يناسب مثل هذا النوع من الدراسات، وقد اعتنت بجمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذات الصلة بموضوع الدراسة، وقامت بضبطها ضبطاً صحيحاً باعتبارها أساس البحث وروحه. خرجت الدراسة بنتائج مهمة تسهم في بيان المباحث العقديّة من خلال آيات الصيام. وتسهم في إرساء منهج لتطوير البحث العقدي، لاسيما بعد اشتداد الحاجة إلى المعارف، والدراسات الشرعية، كما خلصت الدراسة إلى توصيات علمية.

الكلمات الإفتتاحية: الصيام - العقيدة - الإيمان - التقوى - الدعاء.

## Nodal investigations through the verses of fasting.

### Preparation :

**Dr..Ahmed Muhammad Al-Zubair Hassan.**”Associate Professor of Islamic Faith at Al Qasimia University in the United Arab Emirates, seconded from the University of the Holy Qur’an and Islamic Sciences / Sudan.

### abstract

This study aims to know the creedal investigations through the verses of fasting.

maneasly and easy way to address the complications that characterized some dogmatic books, they presented the basic topics in the doctrinal investigations through the verses of fasting based on the Noble Qur’an and the Prophetic Sunnah, and using the sayings of scholars whenever necessary, and followed the inductive and analytical approach that suits this type of studies She took care of collecting the Qur’anic verses and hadiths related to the subject of the study, and corrected them as the basis and spirit of the research. The study came out with important results that contribute to clarifying the creedal investigations through the verses of fasting. It contributes to establishing a method for developing doctrinal research, especially after the intensification of the need for knowledge and legal studies. The study also concluded with scientific recommendations.

**Keywords:** Fasting - belief - faith - piety - supplication.

### المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. وبعد : لقد خلقَ الله -عزَّ وجلَّ- الإنسانَ، وجعلَ الحكمةَ الأساسيّة من خلقه هي عبادةُ الله -عزَّ وجلَّ- وحده من غير شريك، ودليل ذلك قول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، سورة الذاريات، الآية : 56 ومن العباداتِ الفاضلة التي شرعها الله للمسلمين هي الصيام، والذي سيدور فلُكُ الحديث في هذا البحث المتواضع عن، ( المباحث العقديّة من خلال آيات الصيام) حتى أسهم في فهم المباحث العقديّة في آيات الصيام .

## أولاً : أسباب إختيار الموضوع وأهويته :

1. الرغبة الأكيدة لدى الباحث في معرفة المباحث العقديّة من خلال آيات الصيام والإسهام في فهمها وتوضيحها.
2. التعرف على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية.
3. الرغبة الشديدة لدى الباحث في معرفة المباحث العقديّة من خلال آيات الصيام وأثرها على حياة الفرد في الواقع المعاصر .
4. الحرص لدى الباحث في بيان المباحث العقديّة من خلال آيات الصيام وآيات الصيام.
5. إن الإيمان فعل بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لا تفعله النظم البشرية.

## ثانياً: أسئلة البحث:

- أ. ما المباحث العقديّة من خلال آيات الصيام؟.
- ب. ماهو لإيمان ؟.
- ج. ماهي التقوى وماهو الشكر؟.

## ثالثاً : الدراسات السابقة :

طرق المباحث العقديّة من خلال آيات الصيامن هذه الوجهة \_ احسب انه لم يسبقني اليه أحد فيما أعلم \_بل قد سبقت دراستي المباحث العقديّة من خلال آيات الصيام دراسات من حيث تفسير الآيات التي تتحدث عن شرح كلمات , ومفردات الآيات من منطلق تفسيري عام, ولذلك فإن الباحث يسعى أن تكون هذه الدراسة جامعة في هذا المجال ومتسمة بالحيادية والموضوعية وهما أهم شروط البحث العلمي .

## رابعاً : منهج البحث :

- اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الإستقرائيتحليلي ، وقام بالخطوات التالية:
- أعزو الآيات القرآنية إلى سورها مع الإشارة إلى أرقام الآيات .
  - أخرج الأحاديث النبوية من مظانها الأصلية .
  - أترجم لبعض الأعلام الوارد ذكرهم في البحث .
  - أضع خاتمة تشتمل على النتائج والتوصيات .
  - أضع في نهاية البحث المصادر والمراجع .

## الصّومُ في اللغة:

(مصدر بمعنى: الإمساك مطلقاً، سواء كان إمساكاً عن المشي أو عن الفعل والحركة أو إمساكاً عن الكلام أو عن الأكل والشرب أو غير ذلك، قال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم ومادته: **ص** و **م**، والفعل صام مثل قال، والصوم أو الصيام بمعنى واحد، صام صوماً وصياماً واصطاماً: أمسك عن الطعام والشراب والكلام والنكاح والسير، (صوم) الصاد والواو والميم أصل يدل على إمساك وركود في مكان، من ذلك صوم الصائم هو إمساكه عن مطعمه ومشربه وسائر ما منعه، ويكون الإمساك عن الكلام صوماً ومنه قول الله تعالى: ﴿فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَّ

رَتِّلِ الرَّحْمَنُ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ نِسِيًّا. ﴿ سورة مريم ، الآية : 26 قال ابن عباس<sup>(1)</sup>: رضي الله عنهما، أي: إمساكا عن الكلام، ويقويه قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ نِسِيًّا﴾ والامتناع عن الكلام بهذه الصفة المذكورة في قصة مريم إنما هو إخبار عن حكم في شرع سابق، أما في شريعة الإسلام؛ فالامتناع عن الكلام مع الناس لا يعد عبادة، بل هو من التنطع المنهي عنه، فيأخذ الحكم في الشرع الإسلامي منحى وسطا بين الإفراط والتفريط<sup>(2)</sup>.

قال ابن منظور<sup>(3)</sup>: الصوم: (ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام، صام يصوم صوما وصياما واصطام، ورجل صائم وصوم من قوم صوام وصيام وصوم بالتشديد، فالصَوْمُ: إمساك عن أيّ فعلٍ أو قولٍ كان.؛ فالسكوت عن الكلام يسمى في اللغة صوما. قال الخليل: الصوم قيام بلا عمل، والصوم أيضا الإمساك عن الطعام وقد صام الرجل من باب قال، وصياما أيضا، وصام الفرس قام على غير اعتلاف، وصام النهار قام قائم الظهيرة واعتدل، والصوم أيضا ركود الرياح، وقال ابن فارس: والصوم: استواء الشمس انتصاف النهار، كأنها ركبت عند تدويرها، وكذا يقال: صام النهار، قال امرؤ القيس: إذا صام النهار وهجرنا، ومصام الفرس: موقفه، وكذلك مصامته، قال الشماخ: إذا ما استاف منها مصامة. ، وصام منيته: ذاقها، والنعام: رمى بذرقه وهو صومه، والرجل: تظلل بالصوم لشجرة كريهة المنظر، والنهار: قام قائم الظهيرة، والصوم: الصمت وركود الريح ورمضان والبيعة، والصائم: للواحد والجميع، وأرض صوام كسحاب: يابسة لا ماء بها، ومصام الفرس ومصامته: موقفه؛ ويقال: صام الفرس صوما أي: قام على غير اعتلاف، وقال في المحكم: وصام الفرس على آريه صوما وصياما إذا لم يعتلف، وقيل: الصائم من الخيل القائم الساكن<sup>(4)</sup>

### تعريف الصيام اصطلاحاً:

قال ابن جرير<sup>(5)</sup> : (الصَوْمُ هو الإمساك عن المفطرات، على وجه مخصوص بنية، والصوم والصيام كلاهما بمعنى واحد في اللغة والشرع:، والصيام مصدر، من قول القائل: «صُمت عن كذا وكذا» يعني: كففت عنه، أصوم عنه صَوْماً وصياماً، ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً سَورة مريم ، :، يعني: صمتاً عن الكلام. والصَوْمُ بالمعنى الشرعي هو الإمساك عن المفطرات، على وجه مخصوص، في زمن مخصوص بنية»، أو: «الإمساكُ عن المُفْطِرَاتِ من طلوع الفَجْرِ إلى غروب الشمس مع النَّيَّةِ». والنية في الصوم لا زمة عند جمهور الفقهاء، بصرف النظر عن كونها ركناً من أركان الصوم أو شرطاً من شروطه.<sup>(6)</sup> قال ابن حجر<sup>(7)</sup> : (والصوم والصيام في اللغة: الإمساك، وفي الشرع: إمساك مخصوص في زمن مخصوص عن شيء مخصوص بشرائط مخصوصة)<sup>(8)</sup>.

قال ابن قدامة<sup>(9)</sup> :والصوم في الشرع: عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة، في وقت مخصوص الإمساك عن شهوتي الفم والفرج وما يقوم مقامهما مخالفة للهوى في طاعة المولى في جميع أجزاء النهار وبنية قبل الفجر أو معه إن أمكن فيما عدا زمن الحيض والنفاس وأيام الأعياد وإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية أو هو: إمساك مخصوص عن المفطرات يوماً كاملاً، من شخص مخصوص بنية، وفق شروط مخصوصة عند الفقهاء؛ لأن الصوم عمل، والنية لازمة شرعاً لصحة الأعمال، ونية الصوم لازمة باتفاق أئمة المذاهب الفقهية فلا يصح الصوم إلا بالنية<sup>(10)</sup>

## التعريف بمفهوم العقيدة:

العقيدة في اللغة: من العقد وهو الربط ، والإبرام ، والإحكام ، والتوثق ، والشدة بقوة ، والتماسك ، والمراصة ، والإثبات ، واليقين ، والجزم ، والعقد نقيض الحل ، ويقال عقده عقداً ، ومنه عقدة اليمين ، والنكاح قال تعالى ( لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ<sup>(11)</sup> ) ، والعقيدة : الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده ، والعقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل ، كعقيدة وجود الله تعالى ، وبعث الرسل والجمع عقائد<sup>(12)</sup> . ومما سبق يتضح أن العقيدة في اللغة بمعنى الربط والشدة والإحكام

## تعريف العقيدة في الاصطلاح :

العقيدة هي الأمور التي يجب أن يُصَدَّقَ بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك. أي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقاً للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظناً؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يُسمى عقيدة. وسمى عقيدة؛ لأنَّ الإنسان يعقد عليه قلبه<sup>(13)</sup> والعقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما تَبَيَّنَ من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم<sup>(14)</sup> . ومما سبق ذكره يتبين أن للعقيدة تعريف اصطلاحى راجح هو الاعتقاد الجازم بربوبية الله والتصديق بجميع اركان الايمان وأمور الغيب وكل ما جاء في كتاب الله سنة رسوله.

## دلالات للإيمان من خلال آيات الصيام:

قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) سورة البقرة ، الآية : 183 . يقول ابن كثير<sup>(15)</sup> رحمه الله في هذه الآية: ( يقول تعالى مخاطباً للمؤمنين من هذه الأمة وأمرهم بالصيام ، وهو : الإمساك عن الطعام والشراب والوقوع بنية خالصة لله عز وجل ، لما فيه من زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة . وذكر أنه كما أوجب عليهم فقد أوجب على من كان قبلهم ، فلهم فيه أسوة ، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك<sup>(16)</sup> )

## تعريف الإيمان لغة :

(( هو من باب آمن ، الأمان والامانة بمعنى وقد امنت ، فانا امن ، وآمنت غيري من الامن والامان . والأمن : ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ، ضده التكذيب . يقال آمنه قوم ، وكذب به قوم ، فأما آمنته المتعدي فهو ضد أخفته ، وفي التنزيل العزيز الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوفٍ )<sup>(17)</sup> .

يقال : ما آمنْتُ أن أجد صحابة إيمان ، أي ما وثقت ، والإيمان عنده الثقة ، ورجل آمنته بالفتح للذي يصدق بكل ما يسمع ولا يكذب بشئ وآمن بالشئ : صدق ، وآمن كذب من أخبره . وحث الزجاج في الإيمان

فقال : الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أوتي به النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاده وتصديقه بالقلب وفي التنزيل {قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} (2)18. اي بمصدق ، والإيمان هو التصديق ، واما الإيمان فهو مصدر آمن يؤمن ايمانا فهو مؤمن، واتفق اهل العلم من اللغويين وغيرهم ان الإيمان معناه التصديق قال تعالى : {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (3)19 (4)20 .

### تعريف الإيمان اصطلاحاً:

ويعرف الإمام احمد ابن حنبل (4)21 رحمه الله الإيمان فيقول: (الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص) (5)22 ويعبر الإمام ابن بطه (6)23 رحمه الله عن معنى الإيمان فيقول : (معناه التصديق بما قاله ، وأمر به وافترضه ، ونهى عنه ، من كل ما جاءت به الرسل من عنده ، ونزلت فيه الكتب ، وبذلك أرسل المرسلين ، فقال عز وجل {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (1)24 والتصديق بذلك قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان) (2)25. وبين القاضي أبو يعلى (3)26 رحمه الله معنى الإيمان فيقول (وأما حد الإيمان في الشرع فهو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة ، والباطنة أعمال القلوب ، وهو تصديق القلب، والظاهرة هي أفعال البدن ، الواجبات والمندوبات ) (4)27

- ويوضح أبو زيد القيرواني<sup>5</sup> معنى الإيمان فيقول : « وإن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها ، فيكون فيها النقص وبها الزيادة ، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل ، ولا قول وعمل إلا بنية ، ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة» (28).

- وبين الأشعري (29) معنى الإيمان فيقول: الإيمان هو التصديق بالجنان، وأما القول باللسان ، والعمل بالأركان ففروعه ، فمن صدق بالقلب ، أي أقر بوحداية الله تعالى واعترف بالرسول تصديقاً لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى - بالقلب - صح إيمانه حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمناً ناجياً ، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك « (30).

### دلائل التقويين خلال آيات الصيام:

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) سورة البقرة، الآية : 183 يقول السعدي (31) في تفسيره لهذه الآية ( لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ): (يخبر تعالى بما من به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان. وفيه تنشيط لهذه الأمة، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمساورة إلى صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة، التي إختصتكم بها. ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه. فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقرباً بذلك إلى الله، راجياً بتركها، ثوابه، فهذا من التقوى. ومنها: أن الصائم يدرّب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيتزك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها:



## التعريف بمفهوم الشكر:

(عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب، وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فالعبد يشكر الله، أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة، والله يشكر العبد، أي يثني عليه بقبوله إحسانه الذي هو طاعته. والشكر العرفي: هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله، فبين الشكر اللغوي والشكر العرفي عموم وخصوص مطلق، كما أن بين الحمد العرفي والشكر العرفي أيضاً كذلك، وبين الحمد اللغوي والحمد العرفي عموم وخصوص من وجه، كما أن بين الحمد اللغوي والشكر اللغوي أيضاً كذلك، وبين الحمد العرفي والشكر العرفي عموم وخصوص مطلق، كما أن بين الشكر العرفي والحمد اللغوي عموماً وخصوصاً من وجه، ولا فرق بين الشكر اللغوي والحمد العرفي. والشكر اللغوي: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجنان والأركان.)<sup>(45)</sup>

ويعرفه ابن تيمية<sup>(46)</sup> فيقول: [الشكر] فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه؛ لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، كما قيل: أفادتكم النعماء مني ثلاثة\*\*بيدي، ولساني، والضمير المحجبا ولهذا قال تعالى: *ارْغَمُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا* (سورة سبأ، الآية: 13).<sup>(47)</sup>

## فوائد الشكر: للشكر فوائد كثيرة منها:

1. الجزاء الوافر من الله سبحانه وتعالى للشاكرين ، قال عز وجل ( *وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ*). سورة آل عمران، الآية : 145
2. وعد الله تعالى عباده الشاكرين بالمزيد من النعم ، قال تعالى ( *وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ*).سورة، إبراهيم ، الآية: 7.
3. الشكر مانع لوقوع العذاب على العباد ، يقول الله عز وجل ( *مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ* ) *وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا*) سورة النساء ، الآية: 147.

دلائل الدعاء من خلال آيات الصيام:

قال تعالى : ( *وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ*) سورة البقرة، الآية : 186

## قال القرطبي<sup>(E1)</sup> في تفسير هذه الآية: ( فيه أربع مسائل:

الأولى : قوله تعالى : وإذا سألك المعنى وإذا سألك عن المعبود فأخبرهم أنه قريب يثيب على الطاعة ويجب الداعي ، ويعلم ما يفعله العبد من صوم وصلاة وغير ذلك ، وقال الحسن : سبها أن قوما قالوا للنبي ﷺ : أقریب ربنا فنناجیه ، أم بعيد فننادیه ؟ فنزلت ، وقال عطاء وقتادة : لما نزلت: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم قال قوم : في أي ساعة ندعوه ؟ فنزلت .

الثانية : قوله تعالى : فإني قريب أي بالإجابة ، وقيل بالعلم ، وقيل : قريب من أوليائي بالإفضال والإنعام .  
الثالثة : قوله تعالى : أجب دعوة الداع إذا دعان أي أقبل عبادة من عبدي ، فالدعاء بمعنى العبادة ، وقيل: إنما مقصود هذا الإخبار تعريف جميع المؤمنين أن هذا وصف ربهم سبحانه أن يجب دعاء الداعين في الجملة ، وأنه قريب من العبد يسمع دعاءه ويعلم اضطرابه فيجيبه بما شاء وكيف شاء .

الرابعة : قوله تعالى : فليستجيبوا لي قال أبو رجاء الخراساني : فليدعوا لي . وقال ابن عطية : المعنى فليطلبوا أن أجيبهم ، وهذا هو باب استفعل أي طلب الشيء إلا ما شذ مثل استغنى الله ، وقال مجاهد وغيره : المعنى فليجيبوا إلي فيما دعوتهم إليه من الإيمان<sup>(49)</sup>.

### التعريف بمفهوم الدعاء:

كلمة الدعاء في الأصل مصدر: (دعوتُ الشيء أدعوه دعاءً، وهو أن تُميل الشيءَ إليك بصوت وكلام يكون منك ، دعا الرجلُ دعواً ودعاءً: ناداه. والاسم: الدعوة. ودعوت فلاناً: أي صحت به واستدعيته - لسان العرب مادة (د ع و). وأصله دعاؤه لأنه من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت متطرقة بعد الألف هُمزت - لسان العرب مادة (د ع و). ثم أُقيم هذا المصدر مقام الاسم - أي: أُطلق على واحد الأدعية - كما أُقيم مصدر العدل مقام الاسم في قولهم: رجلٌ عدلٌ، ونظير هذا كثير<sup>(50)</sup>.

فقال الخطابي<sup>(51)</sup>: «معنى الدعاء استدعاء العبدِ ربِّه عزَّ وجلَّ العنايةً، واستمداده منه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرُّؤ من الحول والقوَّة، وهو سمةُ العبودية، واستشعارُ الذلَّة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عزَّ وجلَّ، وإضافة الجود والكرم إليه<sup>(52)</sup>» .

وللدعاء في القرآن الكريم أسماء كثيرة نذكر منها مايلي:

1. العبادة، كما قال تعالى: {وَأَصِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} سورة الكهف، الآية:28.
2. الطلب والإبتهاالسؤال من الله تعالى، كما في قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} سورة البقرة ، الآية:186.
3. النداء، كما في قوله تعالى: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ} سورة الإسراء الآية:52، وقوله تعالى: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} سورة القصص، الآية:25.
4. التمجيد والثناء على الله تعالى، كما قال تعالى: {قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ} سورة الإسراء الآية:110.
5. الحث على الأمر، كما في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} سورة يوسف، الآية:33، وقوله تعالى: {وَأَللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ} سورة يونس، الآية:25.
6. رفعة القدر، كما في قوله تعالى: {لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِإلذُنِيَا وَلَا فِإلْآخِرَةِ} سورة غافر، الآية:43.
7. القول، كما في قوله تعالى: {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} سورة الأعراف، الآية:5.
8. التسمية، قال تعالى: {قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} سورة الإسراء، الآية:110.

### شروط الدعاء:

ذكر القرطبي في تفسيره شروط الدعاء فقال:  
(شروط الدعاء سبعة: أولها التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال ، وقال ابن عطاء : إن للدعاء أركاناً وأجنحة وأسباباً وأوقاتها، فإن وافق أركانه قوي ، وإن وافق أجنحته طار في

## المباحث العقديّة من خلال آيات الصيام

السما، وإن وافق موافقته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح. فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنته الصدق، وموافقته الأسحار، وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ، وقيل: شرائطه أربع: أولها حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يحل، وحفظ البطن من الحرام، وقد قيل: إن من شرط الدعاء أن يكون سليماً من اللحن، كما أنشد بعضهم: ينادي ربه باللحن ليث كذاك إذا دعاه فلا يجيب<sup>(53)</sup>.

### هوانع الدعاء:

وقيل لإبراهيم بن أدهم<sup>(54)</sup>: (ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس. قال علي رضي الله عنه لنوف البكالي: يا نوف، إن الله أوحى إلى داود أن مر بني إسرائيل ألا يدخلوا بيتاً من بيوتى إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقية، فإني لا أستجيب لأحد منهم، ولا لأحد من خلقي له عنده مظلمة، ما لم يدع بائث أو قطيعة رحم، وما لم يستعجل. يمنع من إجابة الدعاء أيضاً أكل الحرام وما كان في معناه<sup>(55)</sup>).

### الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على إعانته وتوفيقه وأسبح من بنعمته تتم الصالحات، الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، ووفقني إلى إنجاز هذا البحث والذي من خلاله استطعت تسليط الضوء على المباحث العقدية من خلال آيات الصيام، واستقيت منها نتائج عديدة:

### أولاً: أهم النتائج:

1. التأكيد على أهمية دراسة المباحث العقدية من خلال آيات الصيام، وتحضير مسائل المباحث العقدية من خلال آيات الصيام بعلم وعدل.
2. الغاية من الصيام تحقيق عبادة الله تعالى المتمثلة في تحقيق التقوى.
3. الشكر نصف الدين وبه ينال الإنسان السعادة في الدنيا والآخرة.
4. إن من أهم آثار المباحث العقدية من خلال آيات الصيام على حياة الفرد الإستجابة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.
5. الدعاء أعظم العبادات التي تعبد بها الأنبياء عليهم السلام.

### ثانياً: أهم التوصيات:

1. أوصى بتعميق الدراسات وتركيزها حول المباحث العقدية من خلال آيات الصيام.
2. أوصى بدراسة مفهوم المباحث العقدية من خلال آيات الصيام بتعمق وتأن، حتى يكون الفرد في الواقع المعاصر على دراية وعلم بذلك.
3. أوصى بجمع المباحث العقدية من خلال آيات الصيام في كتاب تصحبه الجدة والموضوعية حتى يسهل على طالب العلم معرفة هذه الآثار والعمل بها.

## الهوامش:

- (1) أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، حبر هذه الأمة ، وترجمان القرآن ، صاحب مدرسة فالتفسير بمكة ، من أكابر علماء الصحابة ، روي أحاديث جمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحد العبادة ، ناظر الخوارج فخلافة علي بن أبي طالب ، ورعاً ، زاهداً ، أديباً ، عمي فأخر حياته، اشتهر بالتفسير ، مات عام 68هـ / 688م، انظر : الإصابة فتميز الصحابة، لإبن حجر العسقلاني، المجلد الثامن ، ص 331 ، والبداية والنهاية، لإبن كثير، المجلد الثامن ، صفحة 265، وسير أعلام النبلاء، للذهبي ، المجلد الثالث ، صفحة 331.
- (2) القاموس المحيط ، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، صفحة 324
- (3) ابن منطور مُحَمَّد بن مُكْرَم بن عَلِي بن أَحْمَد بن حَبَقَةَ الْأَنْصَارِيِّ الْإِفْرِيقِيِّ كَانَ يُنْسَبُ إِلَى رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ، مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ صَاحِبُ «لِسَانِ الْعَرَبِ» فِي اللُّغَةِ، وُلِدَ ابْنُ مَنْطُورٍ فِي الْقَاهِرَةِ، وَقِيلَ فِي طَرَابَلُسَ، فِي شَهْرِ الْمُحْرَمِ سَنَةَ 630 هـ سَنَةَ 1232 م، تَوَفِّيَ فِي مِصْرَ سَنَةَ 711 هـ / 1311 م. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لإبن حجر العسقلاني ، المجلد الخامس ، صفحة 322
- (4) لسان العرب، لإبن منظور، المجلد السابع، دار صادر - بيروت، صفحة 432.
- (5) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن كثير الطبري، إمام، حافظ، مجتهد، مفسر، مؤرخ، صاحب تصانيف كثيرة منها جامع البيان فتاوى القرآن ، التاريخ الكبير ، والتاريخ الصغير ، والتاريخ الأوسط ، التبصير في معالم الدين ، مات ببغداد عام 310هـ/923م، انظر: طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي، المجلد الثالث ، صفحة 115، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، المجلد الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، صفحة 162.
- (6) تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل آيات القرآن، المجلد الثاني، المطبعة الميمنية - مصر، صفحة 432.
- (7) هو أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكنايني العسقلاني، عاش بمصر ، محدث ، إمام ، حافظ ، مؤرخ ، أديب ، شاعر ، له مؤلفات عديدة منها الإصابة فتميز الصحابة ، تهذيب التهذيب ، الدرر الكامنة فأعيان المائة الثامنة، فتح البارشرح صحيح البخاري ، وغيرها من الكتب المفيدة، توفي عام 852هـ/1448م ، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني، المجلد الأول ، دار المعرفة ، بيروت، صفحة 87، وانظر: شذرات الذهبى أخبار من ذهب ، لإبن العماد الحنبلي ، المجلد السابع ، صفحة 270.
- (8) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لإبن حجر العسقلاني، المجلد السادس ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، صفحة 261 .
- (9) هو عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الدمشقي، إمام، زاهد، حافظ، ورع، له رحلات عديدة فطلب العلم ، ومن أهمها سفره إلى بغداد ، من أكابر أئمة المذهب الحنبلي، له تصانيف كثيرة من أهمها وأشهرها كتاب المغنى ، مات سنة 620هـ/1225م ، انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لإبنزنجب المجلد الثاني، تحقيق: محمد حامد الفقي 1372هـ مطبعة السنة المحمدية القاهرة، صفحة 130 وسير أعلام النبلاء للذهبي، المجلد 22، صفحة 195.
- (10) المغنى، لإبن قدامة المجلد العاشر ، مكتبة الرياض الحديثة ، صفحة 113.

- (11) سورة المائدة، الآية: 89
- (12) لسان العرب، لابن منظور، المجلد السابع دار صادر، بيروت، صفحة 454
- (13) المواقف: عبد الرحمن بن احمد بن عبد القفار، تحقيق: عبد الرحمن عميره، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط1، 1997م، 2/1.
- (14) الوجيز في عقيدة السلف الصالح، واهل السنه والجماعه: عبد الله بن عبد الحميد، مراجعه وتقديم: صالح بن عبد العزيز، دار الشئون الاسلاميه والاقواق والدعوه والارشاد، المملكه العربيه السعوديه، ط1، (1/24).
- (15) هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي الشافعي، حافظ، محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه، ولد عام 700هـ/1301م، له عدة مؤلفات منها تفسيره المشهور، كتاب البداية والنهاية، وكتاب السيرة النبوية، والباحث فعلوم الحديث، وغيرها من الكتب المفيدة، توفي بدمشق عام 774هـ/1372م، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، المجلد الأول، صفحة 399، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، المجلد الأول، دار المعرفة بيروت، صفحة 153.
- (16) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، المجلد الأول، الطبعة الأولى 1420هـ، مؤسسة الريان، صفحة 321.
- (17) سورة قريش، الآية: 4. سورة يوسف، الآية: 17.
- (18) سورة الحجرات، الآية: 14.
- (19) لسان العرب، لابن منظور، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، صفحة 140 - 142.
- (20) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، الامام حقاً، ولد عام 164هـ/781م، مرو، كان آية في العلم، والحفظ والعبادة، دافع عن السنة ونصرها ورد على المبتدعة وصبر في محنته خلق القرآن له عدة مصنفات منها المسند، والمسائل المروية، وكتاب الصلاة، وكتاب الزهد، توفي عام 241هـ/855م، وصلى عليه مئات الالوف، انظر: طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى، المجلد الأول، صفحة 4، و سير أعلام النبلاء للذهبي، المجلد الحادي عشر، صفحة 177.
- (21) السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، المجلد الأول، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، الطبعة الأولى 1406هـ دار ابن القيم، الدمام، صفحة 307.
- (22) هو عبيد الله بن محمد العكبري، من فقهاء المذهب الحنبلي، إمام، حافظ، محدث، صدوق، كان عابداً، وأمراً بالمعروف ونهاياً عن المنكر، صالحاً، صاحب دعوة مستجابة، له مؤلفات كثيرة منها، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، وكتابه شرح الإبانة عن أصول السنة والديانة، مات بعكبرا بالقرب من بغداد عام 387هـ/997م، انظر: طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى، المجلد الثاني، صفحة 144، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام احمد، للعليمي، المجلد الثاني، تحقيق: محي الدين عبد الحميد الطبعة الأولى 1403هـ، عالم الكتب ببيروت، صفحة 81.
- (23) سورة الأنبياء، الآية: 25.
- (24) الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة، لابن بطة، تحقيق: محمد رضا نعيان معطي، المكتبة الفيصة، مكة المكرمة، صفحة 176.
- (25) هو محمد بن الحسين بن محمد البغدادي القاضي بن الفراء، أفتي ودرس، وبرع فعلوم كثيرة، ذو

- ورع وتقوي ، سافر كثيراً لطلب العلم ، حنبلي المذهب ، له مصنفات كثيرة ، منها كتابه المعتمد فأصول الدين ، وكتابه مسائل الإيمان ، مات عام 458هـ/1066م ، انظر : شذرات الذهب فأخبار من ذهب لإبنالعماد الحنبلي، المجلد الثالث، الطبعة الأولى 1399هـ ، دار الفكر بيروت ، صفحة 306 ، انظر: طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى ، المجلد الثاني ، صفحة 193.
- (26) مسائل الإيمان ، للقاضي أبي يعلى ، تحقيق: مسعود بن عبد العزيز الخلف ، الطبعة الأولى ، 1410هـ دار العاصمة ، الرياض ، صفحة 151 .
- (27) الثمر الداني في تقريب المعاني في تقريب المعاني ، رسالة أبي زيد القيرواني جمع الاستاذ صالح عبد السميع الابن الازهري ، تحقيق الشيخ طه عبد الرؤوف سعد من علماء الازهر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ص30 .
- (28) هو ابو الحسن على بن اسماعيل بن ابي بشر ، ينتسب إلى أبي موسى الأشعري ، كان معتزلياً ثم تاب الله واعتقد عقيدة أهل السنة والجماعة ، إمام ، فقيه ، ناصر السنة ، لهردود على المبتدعة له مؤلفات كثيرة منها مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، الإبانة في تأصيل الديانة ، ولد عام 260هـ وتوفي عام 330هـ ، انظر الملل والنحل ، الجزء الثاني ، ص206 ، الفصل في الملل والأهواء لإبن حزم ، المجلد الثالث ، ص322.
- (29) مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، الطبعة 2 ، 1389هـ ، مكتبة النهضة المصرية ، المجلد الثاني ، ص134 .
- (30) عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي ، من كبار علماء نجد ، ولد بعنيزة عام 1307هـ/1889م ، له مؤلفات كثيرة منها، الإرشاد إلي معرفة الأحكام ، وتوضيح الشافية الكافية ، القواعد الحسان ، وتفسيره المشهور بتفسير السعدي ، توفي ببلده عام 1376هـ/1956م ، انظر : علماء نجد خلال ستة قرون، لعبد الله بن عبد الرحمن السام، المجلد الثاني، الطبعة الأولى 1398هـ ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة، صفحة 422 ، والأعلام، لخير الدين الزركلي ، المجلد الثالث ، الطبعة السادسة ، 1984م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، صفحة 340.
- (31) تفسير الكريم الرحمن فتفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، ص 884.
- (32) لسان العرب، لإبنمنظور، المجلد الخامس عشر، صفحة 402. التعريفات ، للجرجاني، صفحة 48.
- (33) شؤم المعصية وبركة التقوى، لأحمد عز الدين البيانوني، الطبعة الثانية 1406هـ دار السلام القاهرة، صفحة 71.
- (34) رشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لإبلسعود ، المجلد الأول، صفحة 133.
- (35) سورة الأحزاب، الآية: 70 .
- (36) سورة الحشر، الآية: 18.
- (37) سورة يونس، الآية: 62، 63.
- (38) سورة آل عمران، الآية: 76.
- (39) سورة الأعراف، الآية: 156.
- (40) سورة النحل، الآية: 128.

- (41) سورة آل عمران، الآية: 120.
- (42) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، المجلد الأول، صفحة 322
- (43) التعريفات، للجرجاني، الطبعة الأولى 1403هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، صفحة 234.
- (44) هو أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، إمام، فقيه، مجتهد، محدث، حافظ، مفسر، أصولي، زاهد، شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، أفني ودرس وهو دون العشرين له مصنفات عديدة منها كتاب الإيمان، العقيدة الواسطية، اقتضاء الصراط المستقيم ومخالفة أصحاب الجحيم، مجموع الفتاوى، الصارم المسلول، وغيرها من الكتب المفيدة، مات عام 728هـ / 1328م، انظر: الذيل على طبقات الحنابلة، لإبّزجب الحنبلي، المجلد الثاني، تحقيق: عبد الرحمن المعللي، مطبوعات الرياض، 1404هـ، صفحة 387، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأحمد بن حجر.
- (45) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن القاسم، المجلد السابع، الطبعة الأولى، 1398هـ، صفحة 287.
- (46) محمد بن أحمد بن أبي بكر الخرزجبالأندلسي، مالكي المذهب، فقيه مفسر، سافر كثيراً فطلب العلم، له مؤلفات منها، الجامع لأحكام القرآن، مات بمصر سنة 671هـ / 1272م، انظر: شذرات الذهب فأخبار من ذهب لإبنالعماد الحنبلي، المجلد الثالث، الطبعة الأولى 1399هـ، دار الفكر بيروت، صفحة 335، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي، المجلد الثاني، صفحة 308.
- (47) تفسير الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، عام 1357، دار الكتب المصرية، القاهرة، صفحة 324.
- (48) لسان العرب، لابن منظور، المجلد الخامس، صفحة 432 / مقاييس اللغة، لابن فارس، المجلد الثاني، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر صفحة 279.
- (49) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي، من أكابر أئمة المذهب الشافعي، حافظ، فقيه، لغوي، سافر كثيراً فطلب العلم، ورع، زاهد، ذو عبادة، وصاحب تصانيف من أشهرها كتابه شأن الدعاء، وتوفي سنة 388هـ / 998م. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، المجلد الثالث، تحقيق: عبد الفتاح الحلو 1964م القاهرة، صفحة 282، وسير أعلام النبلاء للذهبي، المجلد السابع عشر، صفحة 23.
- (50) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد الدقاق، الطبعة الأولى 1400هـ، دار المأمون - دمشق، صفحة 4
- (51) تفسير الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، عام 1357، دار الكتب المصرية، القاهرة، صفحة 326.
- (52) هو إبراهيم بن أدهم ابن منصور بن يزيد بن جابر القدوة الإمام العارف سيد الزهاد أبو إسحاق العجلي وقيل التميمي الخراساني البلخي نزيل الشام مولده في حدود المائة ومات سنة 153 هـ. أنظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، المجلد الخامس، الطبعة الأولى 1409هـ مؤسسة الرسالة - بيروت، صفحة 423.
- (53) فسير الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، عام 1357، دار الكتب المصرية، القاهرة، صفحة 328.

## المصادر والمراجع: أولاً: القرآن الكريم.

- (1) الإصابة في تمييز الصحابة، لإبن حجر العسقلاني، تحقيق: على محمد البجاوي، دار نهضة مصر.
- (2) الأعلام، لخير الدين الزركلي، الطبعة السادسة، 1982م، دار العلم للملايين - بيروت.
- (3) البدر الطالع ومحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، دار المعرفة - بيروت.
- (4) بدائع الفوائد، لإبن القيم، الطبعة الأولى 1392هـ مكتبة القاهرة - القاهرة.
- (5) البداية والنهاية، لإبن كثير، تحقيق: يوسف الشيخ العبقاعي، الطبعة الثالثة 1419هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- (6) تاريخ بغداد، للخطيب، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (7) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة - للطاهر أحمد الزاوي، الطبعة الثانية، مكتبة عيسى الحلبي، مصر.
- (8) التعريفات، للجرجاني، الطبعة الأولى 1403هـ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (9) تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الطبعة الأولى 1420هـ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- (10) تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، المطبعة الميمنة - مصر.
- (11) تفسير القرآن العظيم، لإبن كثير، الطبعة الخامسة 1408هـ دار الريان - القاهرة.
- (12) تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، الطبعة الأولى 1357هـ دار الكتب المصرية - القاهرة.
- (13) الثمر الداني في تقريب المعاني، شرح رسالة بن أبي زيد القيرواني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية 1423هـ.
- (14) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لإبن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر.
- (15) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبن فرحون المالكي، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث - القاهرة.
- (16) ذم التأويل، للموفق ابن قدامة، تحقيق بدر البدر، الطبعة الثانية 1406هـ الدار السلفية، الكويت.
- (17) الذيل على طبقات الحنابلة، لإبن رجب، تصحيح: محمد حامد الفقي، 1372هـ مطبعة السنة المحمدية - مصر.
- (18) سير أعلام النبلاء، للذهبي، الطبعة الأولى 1409هـ مؤسسة الرسالة - بيروت.
- (19) السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق محمد بن سعيد الفحطاني، الطبعة الأولى 1404هـ دار ابن القيم الدمام.
- (20) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد الدقاق، الطبعة الأولى 1400هـ دار المأمون - دمشق.
- (21) شؤم المعصية وبركة التقوى، لأحمد عز الدين، الطبعة الثانية 1406هـ دار السلام، القاهرة.
- (22) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لإبن العماد الحنبلي، الطبعة الأولى 1398هـ دار الفكر - بيروت.

## المباحث العقريّة من خلال آيات الصيام

- (23) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لإبن بطة، تحقيق: رضا بن نعيان معطى، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- (24) صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت.
- (25) صحيح مسلم، بشرح النووي، المطبعة المصرية، القاهرة.
- (26) طبقات الحنابلة، لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- (27) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو محمود الطناحي 1968م - القاهرة.
- (28) علماء نجد خلال ست قرون، لعبد الله بن عبد الرحمن البسام، الطبعة الأولى 1398هـ مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.
- (29) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لإبن حجر العسقلاني، تحقيق: محي الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت.
- (30) فتاوى ابن تيمية، مطبعة كردستان، مصر 1329هـ.
- (31) فتاوى السبكي، دار المعرفة - بيروت.
- (32) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لإبن حزم، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى 1402هـ شركة عكاظ - جدة.
- (33) القواعد الحسان لتفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف، الرياض 1400هـ.
- (34) لسان العرب، لإبن منظور، دار صادر - بيروت.
- (35) مسائل الإيمان، للفاضل أبي يعلى، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة الأولى 1410هـ دار العاصمة - الرياض
- (36) المغني، لإبن قدامة، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
- (37) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية 1389هـ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.
- (38) الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، شركة مصطفى الحلبي - القاهرة.
- (39) الموافقات، لإبراهيم بن موسى النجدي، تحقيق: عبد الله درار، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- (40) لقاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
- (41) لوجيز في عقيدة السلف الصالح، واهل السنه والجماعه: عبد الله بن عبد الحميد، مراجعه وتقديم: صالح بن عبد العزيز، دار الشؤون الاسلاميه والوقف والدعوه والارشاد، المملكة العربية السعودية، ط.1.
- (24) المنهج الأحمدى تراجم أصحاب الإمام احمد، للعلمي، المجلد الثاني، تحقيق: محي الدين عبد الحميد الطبعة الأولى 1403هـ، عالم الكتب بيروت.
- (43) مقاييس اللغة، لإبن فارس، المجلد الثاني، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.
- (44) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو 1964م القاهرة.

# الأبعاد التاريخية والسياسية لخطب الرسول في غزواته (دراسة تاريخية)

قسم التاريخ - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -  
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

د. أمل عبيد عواض الشببتي

## مستخلص :

إتخذ المصطفى عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم من الخطابة أسلوب من أساليب عرض الدعوة الإسلامية على قومه، ثم انتقل للمدينة المنورة و توسعت جوانب خطبه عليه الصلاة و السلام و من ضمن تلك الجوانب خطب الجهاد التي كان لها أثر في توجيه الجيوش الإسلامية، وتهيئة الجيوش بشد سواعدهم بكلماته ليحيي قلوبهم وهم مقبلون على الجهاد في سبيل الله، فكانت الخطبة الوسيلة الأولى التي حرك بها عليه الصلاة و السلام هممهم وقوى بها روح الإيمان و الإخلاص و البذل في سبيل الله عزوجل فكانت خطب غزواته عليه الصلاة و السلام تأتي قبل لقاء العدو بلحظات لتحقيق الغرض منها، فتميزت كل خطبة من خطبه عليه الصلاة و السلام في غزواتها بحد سياسي و تاريخي يطبع خطبته عليه الصلاة و السلام في مقامها بميزة خاصة تتوافق مع البعد التاريخي و السياسي للغزوة، من هنا ارتأت الدراسة البحث في تلك الأبعاد لإيضاح مابها من تأثير و ما لرسول الله عليه الصلاة و السلام من علم وتأثير صلوات ربي و سلامة عليه، ولذلك أستخدمه الدراسة الأسلوب التاريخي البحثي المعتمد على التحليل من خلال استقراء خطبة عليه الصلاة و السلام، فوصلت الدراسة الى نتائج من أهمها ان كل خطبة من خطب غزواته عليه الصلاة و السلام لها خصائص ارتبطت بالبعد التاريخي و السياسي للغزوة فأولى غزواته عليه الصلاة و السلام اتسمت بتذكير بطاعة الله و الصبر و الثبات والوعد بالأجر و المثوبة، فيما اتسمت خطبة ﷺ في غزوة الخندق بالتبشير بالنصر و العزة و الشرف وهكذا كل خطبة غزوة اختلفت بأبعاد تاريخية و سياسية خاصة .

كلمات مفتاحية: خطب الرسول ﷺ، ابعاد سياسية ، ابعاد تاريخية، محمد عليه الصلاة و السلام ، غزوات الرسول ﷺ.

**The historical and political dimensions of the sermons of the Prophet, peace be upon him, in his conquests (historical study)**  
**Dr.Amal Obaid Awad Al thubiti**

**Abstract:**

Al-Mustafa, upon him, adopted the best prayer and the most complete delivery of rhetoric as one of the methods of presenting the Islamic call to his people. Then he moved to Medina, and the aspects of his sermons, peace and blessings be upon him, expanded. Among those aspects were the sermons of jihad that had an impact in directing the Islamic armies. And preparing the armies by tightening their sleeves with his words to revive their hearts as they are on the verge of jihad for the sake of God. The sermon was the first means by which prayer and peace be upon him stirred their determination and strengthened the spirit of faith, sincerity and sacrifice in the cause of God the Mighty and Sublime, So were the sermons of his conquests, may prayers and peace be upon him, It comes moments before meeting the enemy to achieve its purpose, so each of his sermons, peace and blessings be upon him, was distinguished in his conquests with a political and historical dimension. Dimensions to clarify what effect it has and what the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, has knowledge and the effect of my Lord's prayers and peace be upon him, Therefore, the study used the historical research method based on analysis by extrapolating the sermon, peace and blessings be upon him, and the study link to results, the most important of which is that each sermon of his conquests, may God's prayers and peace be upon him, has characteristics that are related to the historical and political dimension of the conquest. Obedience to God, patience, steadfastness, and the promise of reward and reward, while the sermon of the Prophet in the Battle of the Trench was marked by the herald of victory, glory and honor, and so on, each sermon of the battle had special historical and political dimensions.

**Keywords:** The sermons of the Messenger ﷺ, political dimensions, historical dimensions, Muhammad peace and blessings be upon him, the conquests of the Messenger

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا وحبينا محمد ﷺ عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد: فلقد أتم المولى عز وجل رسالاته خاتماً لها برسالة المصطفى محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبذل عليه الصلاة والسلام جهده في إنشاء وتكوين كيان إسلامي مستقل في دار الهجرة التي اصطفاه لها المولى عز وجل، فوضع الركائز الأولية لبناء المجتمع الإسلامي بالمدينة، من بناء للمسجد النبوي الشريف ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، ووضع ميثاق المدينة المنورة الذي وضع فيه نظم الإسلام التي ارتقت بالمجتمع الإسلامي.

فتنوعت أساليبه عليه الصلاة والسلام في قيادته لأمتة فزاه خطيباً بليغاً ونراه قدوة مبادرة في الامتثال لأوامر المولى عز وجل فكانت خطبه عليه الصلاة والسلام وسيلة الدعوة في العهد المكي فكان يعرض على قومه بمكة وعلى زعماء وفود مواسم الحج.

كما اتخذ عليه الصلاة والسلام من الخطابة أداة للدعوة في العهد المكي فكان يعرض على قريش نفسه من خلال خطبه فيهم موضحاً لهم فحوى دعوته عليه الصلاة والسلام، من تبشير وترهيب وتعريف بالمولى عز وجل، ثم انتقل للمدينة واتسعت جوانب خطبه عليه الصلاة والسلام فشملت توضيح لشرائع الإسلام وتنظيم لسلوكيات المسلمين فيما بينهم، ولتوضح السياسات الخارجية مع الآخر. ومن هذا المنطلق ارتأيت أن أضع توضيحاً وتأطيراً عاملاً لهذه الخطب النبوية وتطورها التاريخي وأهمية هذه الخطب بالرجوع إليها كمصدر لدراسة تاريخ سيرته عليه الصلاة والسلام في غزواته واستنباط العبر من خلالها.

## أسباب اختيار الموضوع:

- التعرف على الأبعاد التاريخية والجوانب الثقافية والاجتماعية والنفسية المستنبطة من خطب الرسول ﷺ في غزواته واستنباط الدروس والعبر والعظات منها، وهي جديرة بالعناية والتناول دوماً بما تحققه من خير ونصح وإرشاد للبشرية جمعاء.
- عدم وجود دراسة في حدود ما وقفت عليه الباحثة تعنى بالملاح التاريخية لخطب الرسول في غزواته على وجه التحديد، ومن ثم تعاضمت الحاجة أمام وضع الاستقراء والاستنباط المناسب لهذه الأبعاد التاريخية في ضوء خطب الرسول ﷺ في غزواته.

## منهج البحث:

### المنهج التحليلي:

حيث سيقوم هذا المنهج بتحليل مجموعة الروايات الصحيحة المتواترة عن خطب الرسول ﷺ في غزواته ومضامينها وأبعادها التاريخية، وما جاء أيضاً عنها في كتب السيرة النبوية والفقه والأصول والتفسير والسياسية الشرعية والتاريخ والأدب، بغية الاستفادة منها بصورة علمية متكاملة.

### المنهج الاستنباطي:

والذي سنقوم من خلال باستنباط الأبعاد التاريخية في خطب الرسول ﷺ في غزواته، ومن ثم إعادة صياغتها بصورة فكرية وثقافية تحقق التناغم والتكامل الشامل وفق ما استنبطناه منها.

## الدراسات السابقة

وقد أفادة الدراسة بعدد من الدراسات السابقة التي تناولت أمهات المؤمنين ومن أهم تلك الدراسات: رسالة ماجستير بعنوان: حُطَبُ الرُّسُولِ الكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ دراسة توثيقية تحليلية، للباحث مصعب نوري العزاوي، جامعة بغداد، 2004م.

والدراسة تختلف عن الدراسة المقدمة كون الرسالة تركز على توثيق خطب الرسول عليه الصلاة والسلام وتحليلها من الناحية اللغوية، وقد تميزت الدراسة بانها خصت خطب الرسول عليه الصلاة والسلام في غزواته وحللها بالمنهج التاريخي فوضحت الأبعاد التاريخية والسياسية لخطبة عليه الصلاة والسلام.

## إجراءات البحث:

1. تصوير المسألة تصويراً واضحاً قبل استخراج مواطن ورودها في الكتاب محل البحث؛ حتى يتحقق الهدف من بحثها، ثم بيان تكييفها المعنوي، كل في موضعه.
  2. تخريج الآيات يكون بذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث.
  3. جمع الأحاديث النبوية التي اشتملت على الأبعاد التاريخية لخطب الرسول ﷺ في غزواته وتخريجها وذكر موضع الاستشهاد فيها.
  4. عزو نصوص العلماء وآراءهم لكتبهم مباشرة، ولا يلجأ للعزو بالواسطة إلا عند تعذر الوصول إلى الأصل؛ وفي هذه الحالة يذكر أقدم كتاب ذكر به النص، أو الرأي.
  5. يكون ترتيب المراجع في آخر البحث بحسب الترتيب الأبجدي لأسماء المؤلفين.
  6. الاعتناء بصحة المكتوب، وسلامته من الناحية اللغوية والإملائية، والنحوية ومراعاة حسن تناسق الكلام وسلاسة الأسلوب.
  7. العناية بعلامات الترقيم ووضعها في أماكنها الصحيحة.
- المعنى اللغوي لكل من الأبعاد التاريخية و الخطبة وأنواعها:  
أولاً: المعنى اللغوي لكلمة أبعاد تاريخية:

## وأبعاد الشيء:

هو مداه واتساعه وأعماقه وما يتعلق به.  
وبالتالي يكون المعنى اللغوي لكلمة (أبعاد تاريخية) لخطب الرسول ﷺ الواردة في هذا البحث: هو مدى ومظاهر وأهمية خطب الرسول التاريخية وما يتعلق بها في غزواته المرتبطة بالأزمنة والتواريخ التي حدثت بها ودلالاتها وأعماق هذه الخطب وجوانبها المختلفة التي انعكست على مسيرة الدعوة الإسلامية منذ بعثته ﷺ وحتى وفاته.

## ثانياً: المعنى اللغوي للخطبة:

الخطبة: مصدر الخطيب، يقال: خطب الخاطب على المنبر، يخطب، خطابة بالفتح، وخطبة، بالضم، قاله الليث، ونقله عنه أبو منصور، وقال الجوهري: خطبت على المنبر خطبة، بالضم، وخطبت المرأة خطبة، بالكسر، واختطب فيهما، والخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع ونحوه، وإليه ذهب أبو إسحاق، وفي التهذيب: الخطبة: مثل الرسالة التي لها أول وآخر. (1)

الخطبة نمط من أنماط النثر الفني يعتمد مشافهة الجمهور، ويهدف إلى الإقناع والاستمالة والتأثير في نفوس السامعين، وقد اتخذها الأنبياء والمصلحون أداةً مهمّةً في نشر تعاليمهم، وشدّ الناس إليهم<sup>(2)</sup>. وبالنظر إلى تعريف الخطبة في السياق الاصطلاحي فلقد عرفها الجرجاني (ت: 816هـ) بأنها: «هو قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفهون من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعله الخطباء والوعاظ»<sup>(3)</sup>. وعرفت أيضاً الخطبة بأنها: فن من فنون النثر اختص بمخاطبة الجمهور يعتمد على الإقناع والاستمالة، أو هي كلام بليغ يُلقى في جمع من الناس لإقناعهم بما فيه الخير في دنياهم وآخرتهم<sup>(4)</sup>.

كما تعرف الخطبة في الاصطلاح بأنها: القوة الصانعة للأقوال المقنعة. وعلى هذه البابة رسمها أرسطو، فقال: هي قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة. ومعنى هذا: أن الخطابة قوة يطبق صاحبها إقناع المخاطبين في كل شيء يدعي أنه غرض صحيح، والإقناع تقوية الظن، وهو ما تعتمد عليه صناعة الخطابة. وإنما وصف الإقناع بالإمكان، فقال: «تتكلف الإقناع الممكن»؛ لأن شأن هذه الصناعة إعداد النفوس لعمل الإقناع، وإن لم تبلغ غايتها القصوى<sup>(5)</sup>. وعليه فالخطابة علم له قواعد وأصول وأساليب وضوابط، لا بد من تعلمها ثم التمرس عليها والتعود، يؤازر ذلك المقدرة النفسية والموهبة الإلهية. والخطيب البارع المفوه هو الذي يجمع الله له بين العلم والموهبة، وقد أطنب الأدباء في إبراز جانب الموهبة والملكة في الخطيب وعدوه من أسس التمكن الخطابي، وذكروا العناصر الخطابية التي ينبغي للخطيب الوقوف عليها والتدريب عليها مثل قولهم: رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ<sup>(6)</sup>.

### نشأة الخطابة وتطورها التاريخي:

عرفت الشعوب الإنسانية الخطابة منذ القدم كونها أداة الدعوة إلى الرأي والعقيدة في شتى نواحي الحياة والمجتمع، فعرفها المصريين والأشوريين ثم اليونان، وكانوا من أكثر الشعوب عناية بالخطابة فعرفت مجموعة منهم مسمى السفسطائيون عرفوا كخطباء يجولون في اليونان ينشرون أفكارهم فتوجب التصدي لهم فقام فلاسفة اليونان على راسهم أرسطو الذي وضع قواعد وضوابط هذا الفن التي ضمنها كتاب الخطابة الذي بات مصدر لهذا الفن يرجع إليه الخطباء والمؤلفون في الخطابة إليه. وقد نشطت الخطابة لدى العرب بالجاهلية لارتباطها بواقع حياتهم القبلي القائم على المفاخرة القبلية والتعصب القبلي مما فرض عليهم التصدي للنزاعات والخصومات فكانت سلاحهم الذي يصاحبهم في حربهم وسلمهم ووجدوا في الخطابة عوناً لهم على الحز والتخدير والترغيب والتنفير أو المفاخرة أو المناظرة<sup>(7)</sup>. ولقد كان للخطابة بطبيعتها الحال نصيبها الكبير في التطور العام الذي أصاب النثر العربي، ومن المقرر أن الخطابة تزدهر إبان الأحداث، كما تزدهر في ظل النظم السياسية الديمقراطية، وقد توافر لها في عصر صدر الإسلام من دواعي التطور ما لم يتوافر لها مثله من العصر الجاهلي، فاتجهت حينئذ نحو الرقي وبلغت حدّاً كبيراً من الازدهار، فكانت الخطابة خير ما يستعان به في نشر الدين الجديد وفي معارضته، وهي الوسيلة المثلى للاتصال بالجماعات واستمالتها<sup>(8)</sup>. وتعددت الأغراض تبعاً لتعدد الاحتياج حتى أصبح الخطيب أفضل منزلة من الشاعر وفي ذلك

ذكر الجاحظ في كتابه: «كان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب وهم إليه احوج لردة مآثرهم، وتذكيرهم بأيامهم فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر».<sup>(9)</sup>

ثم جاء رسول الله ﷺ فعمل على تخليص العرب من العادات الجاهلية وابداهم عنها بتشريعات وسلوكيات إسلامية عالية تزي النّفوس وتطهر القلوب، محدثاً انقلاب شمل جميع مناحي حياة العرب في الجاهلية من دينية واجتماعية وسياسية، فكان للخطابة دورها مع وجود سيد الخطباء وإمامهم محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم الذي جعل من الخطابة أداة هامة في نشر مبادئ الإسلام وتعاليمه، فكانت حُطْبُهُ مؤثرة ذات دور فعال في تأييد أهدافه وبلوغ مقاصده ومراميه، وكان لها الحظ الأوفر من أمر الدين لأن الخطبة شرط الصلاة التي هي عماد الدين في صلاة الأعياد و الجُمُع و الجماعات، وتشتمل على ذكر المواعظ.<sup>(10)</sup> وكان للقران الكريم أثره الواضح على الخطابة بما كان يتوخاه الخطباء من تقليد أسلوب القران الكريم، واقتباس الآيات القرآنية التي وشحوامصدر الخطيب بها خطبهم، حتى تكاد الخطبة التي تخلوا من آيات القران تعرف بالشوهاء<sup>(11)</sup>، ويتفق الباحثون على أن الخطابة في صدر الإسلام حققت رقي وازدهار عن العصر الجاهلي اذ زادها بلاغة وحكمة وأصبح استخدامها يخدم أمور سامية أنشئت لها أنواع جديدة، فبعد أن كانت الخطب في الجاهلية تستخدم في المنافرات والمفاخرات، أصبح هناك خطب تفيقه وخطب وعظ وخطب إرشاد.

### السّهات والأنّهات العامّة لخطب الرسول ﷺ

لقد كان عليه الصلاة والسلام أفصح قريش قاطبة اجتمعت فيه فصاحة اللفظ وجودة التركيب وحسن الالقاء، فبلغ من البلاغة ذروتها، ووصل من الروعة قمتها، تجد في طيات حديثه جوامع الكلم وروائع الحكم هو القول الفصل، لكلامه جلال لا تجده في سواه، تحس منه بشعاع النبوة، حتى قال له الصديق رضي الله عنه وأرضاه لقد طففت في العرب، وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك، فمن أدبك فقال عليه الصلاة والسلام أدبني ربي فأحسن تأديبي.<sup>(12)</sup> ووصف الجاحظ كلامه عليه الصلاة والسلام بأنه الكلام الذي قل عدده وكثر معانيه، نزه عن التكلف وجانب أصحاب التشدق وهجر الغريب الوحشي وعاب التشديق، فلم ينطق إلا عن ميراث الحكمة ولم يتكلم الا بكلام حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، لم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، ولا يلتمس إسكات الخصم الا بما يعرفه الخصم ولا يحتج إلا بالصدق.<sup>(13)</sup> ولاشك أن اهتمام الرسول الأعظم بالخطابة وممارسته لها يعود إلى أهميتها البالغة ومكانتها التي عرفت لها في المجتمعات البشرية، منذ أقدم العصور، وذلك لإدراكه عليه الصلاة والسلام بأن الخطبة تعتبر من أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس للتأثير في مشاعرهم وإقناعهم بالأفكار الجديدة والعقائد الجديدة. وبقي شأنها كذلك في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام وفي الخلافة الأموية وما تلاها من حكومات، بل بقي شأنها كذلك في كل ثورة على وجه البسيطة وذلك في العصور القديمة والوسطى والحديثة<sup>(14)</sup> والمتأمل في التطور التاريخي الذي واكب خطب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، يجد أنها كانت ترسم لسمات المجتمع المسلم وخصائصه التي تميزه عن غيره من المجتمعات، بوضع القواعد والأصول التي يقوم عليها كيانه سواء في تنظيم العلاقات المختلفة بين أفرادها أو بين الأفراد ومن يتولون إدارة شؤونهم، أو بين المجتمع الإسلامي والمجتمعات المعاصرة له.<sup>(15)</sup> والمتأمل في هذه السمات يجدها سمات حضارية

واضحة قد بلغت القمة السامقة في إقرار الحقوق والواجبات وتحقيق التعاون والانسجام وفي بذل أقصى الجهد مع تحري الإخلاص التام في تأدية الواجبات من غير رقيب أو حسيب سوى رقابة الله تعالى على الضمائر والقلوب واستشعار أفراد المجتمع عظمة الله واستحضار قدرته وقوته عليهم في جميع الأحوال والتصرفات.<sup>(16)</sup> وبالنظر إلى هدي الرسول ﷺ في خطبه نجده عليه الصلاة والسلام لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله، وكان يخطب قائماً، وكان إذا صعد المنبر أقبل بوجهه على الناس، ثم قال: السلام عليكم، ثم يجلس، وبعد أذان بلال، يقوم ويفتتح خطبته بالحمد والثناء على الله سبحانه والتشهد، ثم يذكر الناس بنعم الله عليهم، وكان يختم خطبته بالاستغفار، وكان كثيراً يخطب بالقرآن.<sup>(17)</sup> ويصف جابر رضي الله عنه حال النبي ﷺ أثناء الخطبة قائلاً: «عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَحَكُمْ وَمَسَاكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إصْبَعَيْهِ السَّبَابِيَّةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».<sup>(18)</sup>

وقد خطب الرسول محمد ﷺ على الأرض، وعلى المنبر، وعلى الناقاة وكان منبره ثلاث درجات. وقبل اتخاذ المنبر، كان يخطب إلى جذع يستند إليه ولم يكن المنبر في وسط المسجد، وإنما بجانبه الغربي قريباً من الحائط بينه وبينها قدر ممر الشخص.<sup>(19)</sup>

كما كان من كمال هديه ﷺ أثناء الخطبة، أنه ربما قطع خطبته لحاجة، كإرشاد لأمر معين، أو توجيه أو نصح لمخالف، فقطع خطبته ذات مرة تنبيهاً على ضرورة صلاة ركعتين فعن جابر رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ جاء رجل فقال له النبي ﷺ: (أصليت يا فلان؟) قال: لا، قال: (قم فاركع ركعتين)<sup>(20)</sup> وربما قطع خطبته رعاية لشعور الأطفال كما حصل له ﷺ حينما نزل من المنبر ليحمل الحسن والحسين.<sup>(21)</sup> وقد كان للرسول عليه الصلاة في بداية خطبه مقدمة كثيرة الورد في معظم خطبه عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم، ذكرها الزهري عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ، مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَسَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى، نَسَأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يُطِيعُهُ وَيُطِيعُ رَسُولَهُ، وَيَتَّبِعْ رِضْوَانَهُ، وَيَجْتَنِبْ سَخَطَهُ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَوَلَهُ».<sup>(22)</sup>

كذلك ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول إذا خطب: «كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، لَا بُعْدَ لِمَا هُوَ آتٍ، لَا يُعْجَلُ اللَّهُ لِعَجَلَةٍ أَحَدٍ وَلَا يَخْفُ لَأَمْرِ النَّاسِ، مَا شَاءَ اللَّهُ لَا مَا شَاءَ النَّاسُ، يُرِيدُ اللَّهُ أَمْرًا وَيُرِيدُ النَّاسُ أَمْرًا، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ، وَلَا مُبْعَدَ لِمَا قَرَّبَ اللَّهُ، وَلَا مُقَرَّبَ لِمَا بَعَدَ اللَّهُ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ».<sup>(23)</sup>

يظهر لنا إذاً تربية الرسول عليه الصلاة والسلام لأمته بالبده بالحمد والاستعانة والاستغفار، وذلك لاستشعار فضل الله والتذكير بشكر نعمه تعالى عليهم الذي أخرجهم من الضلال إلى الهدى ومن الجهل للعلم، والحق فبالحمد تدوم النعم، وبالاستغفار تمحى الذنوب وتنقى القلوب، وفي هذا أسلوب لتجديد العلاقة بالله تعالى واستجداء رحمته ومغفرته، ثم يبدأ عليه الصلاة والسلام بما عقد له خطبته عليه أفضل الصلاة والسلام.

كما كان من هديه عليه الصلاة والسلام في خطبه الشريفة أن يتعرض دائماً للأخوة والمسواة بين المسلمين، فلقد أرسى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في خطبه أصول الأخوة بين المسلمين بإلغاء الفوارق بينهم واعتبارهم جسداً واحداً يجب أن يقوم كيانهم ويؤسس بنيانهم على الود، والصفاء، والاحترام، والتقدير.<sup>(24)</sup>

«أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لأمرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم»<sup>(25)</sup> ويعرض الرسول عليه الصلاة والسلام هذا التوجيه النبوي الكريم المستمد من أحكام القرآن في أخوة المؤمنين بأسلوب آخر يمهّد له بالحديث عن حب الله عز وجل. ويقرر القاعدة العظيمة في مكانة المتحابين في الله وأن حبهم يجب أن يكون من حب الله عز وجل وحب رسوله وشرعه.<sup>(26)</sup> ويجدر بنا في هذا المقام الذي نستعرض فيه هدي الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في خطبه أن نسوق ما ذكره ابن قيم الجوزية في وصفه البديع لهذا الهدي النبي إذ يقول رحمه الله: «وكذلك كانت خطبته ﷺ، إنما هي تقرير لأصول الإيمان، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أموراً مشتركة بين الخلائق، وهي النوح على الحياة، والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيماناً بالله، ولا توحيداً له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون، وتقسّم أموالهم، ويبيي التراب أجسامهم. ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلاً ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحبهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره، وذكره ما يحبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم، ثم طال العهد وخفينور النبوة، وصارت الشرائع والأوامر رسوماً تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به، فجعّلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي الإخلال بها وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر، وعلم البديع، فنقص بل عدم حظ القلوب منها، وفات المقصود بها».<sup>(27)</sup> وبناء على هذه السمات العامة وهذا الهدي النبوي الشريف لخطب الرسول عليه الصلاة والسلام، يمكن أن نقسم خطبه الشريفة إلى الأنواع التالية:

1. **الخطب الدينية:** وهي أول ما بدأ به عليه الصلاة والسلام ذلك لأنها تناولت العقيدة والدعوة إلى الإسلام، والتشريع بما فيه من تفصيل لحدود الله سبحانه وتعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والإرشاد، ومن أمثلتها خطبة الرسول عليه الصلاة والسلام همكة بعد نزول قوله تعالى «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» [الحجر: 94]، وخطبته في حجة الوداع.
2. **الخطب السياسية:** وهي الخطب التي ألقاها في مناسبات سياسية مثل خطبة بيعة العقبة الثانية فهي ذات طابع سياسي كتولي خلافة أو مبايعة وغيرها.
3. **خطب الجهاد:** وهي كذلك من أقدم الخطب إذ أنها تتحدث عن الغزوات وتحديد الخطوط العامة للمعركة كخطبة يوم بدر وأحد وحنين وغيرها فكان عليه الصلاة والسلام حين يصف

الصفوف ويهيئ الجيوش يشد سواعدهم بكلماته ويحيي قلوبهم وهم مقبلون على الجهاد في سبيل الله.

4. **الخطب الاجتماعية:** وترتبط بما يقع امامه عليه الصلاة والسلام من مواقف مثل (مثال دعوته الناس للصدقة والتكافل الاجتماعي بإطعام الفقراء والمساكين) وهي التي يعالج فيها عليه الصلاة والسلام قضايا المجتمع فتعالج بعض الأسباب التي أدت الى ظهور بعض المشكلات وكذلك الدعوة للأعمال الخيرية والحث عليها وغيرها من أمور تصب في صلاح المجتمع وتكاتف ابناؤه فيما ب

### **الأبعاد التاريخية لخطب الرسول في غزواته والعبر المستنبطة منها: توطئة:**

حياة رسول الله ﷺ مليئة بالجهاد والكفاح منذ اللحظة الأولى من البعثة المحمدية يعلم أصحابه أصول التوحيد والعبادات، ولم يقصر في خطب غزواته على النصح والإرشاد والتوجيه، بل كانت خطبه ﷺ في غزواته كلها خطب عصماء جمعت أصول الدين وأرست القيم والمبادئ التي يأمر بها الإسلام لترسخ في نفوس المسلمين، ويعملوا على تحقيقها على الأرض وينشروها بين الناس ليخرجوهم من الظلمات إلى النور ويحرروهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد حتى ينعموا بلذة الحياة، ويفوزوا برضا الله.<sup>(28)</sup> وفيما يلي عرض لأهم الأبعاد التاريخية الواردة في خطبه عليه السلام والصلاة في غزواته مستخلصين منها أهم الدروس والعبر المستنبطة منها:

### **أولاً: خطبة غزوة بدر والدروس والعبر المستنبطة منها:**

استحث الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين ليوم بدر بعد أن علم بخروج قريش لقتاله عليه الصلاة والسلام أثناء خروجه لاعتراض عير أبي سفيان المتجه للشام وكان معه من المسلمين ثلاثمائة وثلاث عشر فاستشارهم في أمرهم و أجمعوا على الخروج مع الرسول ﷺ لقاتل قريش والتقى الجمعان في بدر وبعد أن صف عليه الصلاة والسلام صفوف المسلمين ووجههم بتعليمات حربية بقوله عليه الصلاة والسلام م لما عدل الصفوف قال لهم: إن دنا القوم منكم فانضحوهم عنكم بالنبل، واستبقوا نبلكم» أي لا ترموهم على بعد، فإن الرمي مع البعد غالباً يخطئ فيضيع النبل بلا فائدة، وقال لهم «لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم».<sup>(29)</sup> ثم خطب ﷺ فأثنى وحمد الله عزوجل، ثم قال: «أما بعد: فإني أحثكم على ما حثكم الله عز وجل عليه، وأنهاكم عما نهاكم الله عز وجل عنه، فإن الله عز وجل عظيم شأنه، يأمر بالحق ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله، على منازلهم عنده، به يذكرون، وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق، لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه. وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله عز وجل به الهم وينجي به من الغم، وتدركون به النجاة في الآخرة، فيكم نبي الله يحذرکم ويأمرکم، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه، فإن الله عز وجل يقول: {لَمَقْتُ اللّٰهَ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [غافر: 10] أنظروا إلى الذي أمركم به من كتابه، وأراكم من آياته، وأعزكم بعد الذلة، فاستمسكوا به يرضى به ربكم عنكم، وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمراً، تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته، فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد. وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا وعليه توكلنا، وإليه المصير، يغفر الله لي وللمسلمين».<sup>(30)</sup>

كانت غزوة بدر أولى غزوات المصطفى عليه الصلاة والسلام فكانت الدعوة الى الثبات ولقاء العدو والصبر من أبرز ما أشار اليه عليه الصلاة والسلام في خطبته ثم نبه إلى أن الجهاد مشرع من الله سبحانه وتعالى وأنه عليه الصلاة والسلام لا يدعوا إلا لما أمر به المولى عز وجل: (فإني أحثكم على ما حثكم الله عز وجل عليه، وأنهاكم عما نهاكم الله عز وجل عنه، فإن الله عز وجل عظيم شأنه، يأمر بالحق ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله). وفي ذلك تأكيد على ان كل مايقوم به عليه الصلاة و السلام في الدعوة الى الجهاد هو الهي التوجيه استوجب منه طاعة الله عز وجل واتباع ما أمر به فالعز لن يحصل للمسلمين ما لم يتقوا الله ويخلصوا في نواياهم ويمثلوا لأوامره بطاعته والصدق معه عز وجل، فقد وجه عليه الصلاة والسلام في خطبته المجاهدين إلى إطلاع الله عز وجل على أعمال عباده، وحذرهم من أن يرى الله منهم ما يمقته، وتحذير من مقت الله لهم أن يرى منهم حب للدنيا والمغتم وأنها من أسباب الهزيمة، وحثهم على الأخذ بأسباب النجاة ليأخذوا بها ويلتزموا بها، ثم ختم بضرورة التوكل على الله والاستغفار له وللمسلمين. والملاحظ في خطبته عليه الصلاة والسلام تخصيص خطبته على شحن همم المسلمين للجهاد وترغيبهم في الفوز بالأجر مقابل الثبات والتزهيب من التولي من الزحف والفرار<sup>(31)</sup>، فقد اختار عليه الصلاة والسلام التوقيت والموقف فكانت خطبة بدر ذات تأثير معنوي عظيم في نفوس المسلمين تتماشى مع كونها التجربة الأولى لهم الجهاد فزاه عليه الصلاة و السلام يرضع عند دخولهم ساحة الجهاد فكان النصر حليف للمسلمين رغم قلة عددهم وشدة عدوهم. ولعل من أجل الدروس والعبر المستنبطة من خطبة بدر هي التربية المحمدية سواء أكانت في الترتيب العسكري والتنظيم الميداني الذي وضعه بارض القتال من صف الصفوف و التلاحم و التأزر وغيرها، أو في صورة العبادة و تلقين عبادة التوحيد، و إرجاع الأمر إلى الله مع حسن العمل و الإيمان بالمساواة في عمل الدنيا والآخرة، و إثارة الشهادة في سبيل العقيدة على الحياة، وما يتعلق بها من أحوال الأهل والعشيرة وكذلك انطباع نفوسهم بطاعة الرسول وأولي الأمر منهم<sup>(32)</sup>.

هذه التوجيهات المحمدية التي تضمنتها ثانيا هذه الخطبة، كانت مبنية على البعد السياسي للفترة التي وقعت فيها المعركة والتي رسمتها العوامل المؤثرة من قلة عدد المسلمين و كونها أولى غزوة المسلمين مع الرسول عليه الصلاة و السلام، فكانت الخطبة بمثابة الحافز للمسلمين تذكهم بالأجر و الصبر و الالتجاء للخالق البارئ، فأحدثت فيهم قوة جديدة لم يكن العرب يعرفونها من قبل تلك هي قوة النظام التي رجحت بها كتيبة المؤمنين على جيش المشركين، والثانية: القوة المعنوية التي ملأ بها الإسلام نفوسهم، فإنهم دون مشركي العربي كانوا يؤمنون بالبعث، فهم لذلك لا يرون في الموت فناء مطلقاً، بل يرون أن ما وراءه هي الحياة الابقي من هذه الحياة، إذ تأوي فيها أرواحهم إلى قناديل من نور وتسبح حول العرش، وتحيا في حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة، وتشرب من رحيقها المختوم<sup>(33)</sup>.

### ثانياً: خطبة غزوة أحد:

كانت خطبته عليه الصلاة والسلام في غزوة أُحُد ثاني خطب غزواته عليه الصلاة والسلام فجاءت حيثياتها مشابهة لما كانت عليه خطبة بدر الكبرى من حيث التوقيت فجعل جبل أحد خلف ظهره، ونهى أن يقاتل أحد حتى يأمره، ثم قسم الجيش لثلاث كتائب وسوى صفوف المسلمين للقتال ثم خطب فيهم قائلاً: «يا أيها الناس، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنكم

اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كرية، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله رشده، فإن الله مع من أطاعه وإن الشيطان مع من عصاه، فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم في حريص على رشدكم، فإن الاختلاف والتنازع والتشبط من أمر العجز والضعف مما لا يحب الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر»<sup>(34)</sup> وهنا يظهر يتجلى البعد السياسي كمؤثر اول في هذه الخطبة ناتجاً عن انسحاب عبدالله بن ابي بثلث الجيش عائداً الى المدينة مخالفاً رسول الله عليه الصلاة والسلام في خروجه للغزوة خارج المدينة، لذا أتت الخطبة مؤكدة على عدم التأثر بالانسحاب الذي وقع و على ضرورة طاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما يأمر به ويوجهه اليه .

لذا بدأ عليه الصلاة والسلام خطبته بالوصية بطاعة الله سبحانه وتعالى والتناهي عن محارمه، ثم أشار إلى منزلة الجهاد التي أصبحوا فيها، مشدداً على أهميه الثبوت بساحة القتال، وأن أجر الثبات والصبر عليه عظيمه، وهي لا تتأتأ إلا بطاعة الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى مع من أطاعه، والشيطان مع من عصى الله وخرج عن طاعته، وكان هناك تنبيه للمسلمين عن نتائج الانهزام من ساحة القتال وعدم إطاعة أوامر الله و أوامر نبيه عليه الصلاة والسلام، فكان التذكير في خطبة أحد مع انسحاب عبدالله بن أبي بثلث الجيش تغليظ على ميثاق المسلمين مع الله بطاعته وامثال أوامره وتأكيد على مكانة وفضل الجهاد الذي هم في ساحته فمن توانا عن الجهاد و عصى الله فهو متبع للشيطان. وفي الخطبة توجيه رسول الله ﷺ أصحابه إلى عوامل النصر، والغلبة، وأساسها الاول إعداد العدة، والصبر، واللجوء إلى الله بحسن الطاعة والانقياد، وبأداء الواجبات، وصدق التوكل، وإخلاص التقوى، وتقدير محارم الله تعالى، والإيمان التام بقدره سبحانه وتعالى.<sup>(35)</sup>

### خطبة الرسول ﷺ في غزوة الأحزاب (الخدق) سنة 5هـ:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «والذي بعثني بالحق إنهم لحزب الشياطين يحدثونهم فيكذبونهم، ويمنونهم فيغرونهم، ويعدونهم فيخلفونهم، والله ما حدثتكم فكذبتكم، ولا منيتكم فغرتكم، ولا وعدتكم فأخلفتكم، اللهم اضرب وجوههم، وأكلل سلاحهم، ولا تبارك لهم في مقامهم، واللهم مزقهم في الأرض تمزيق الرياح الجراد، والذي بعثني بالحق، لئن أمسيتم قليلا لتكثرن، وإن كنتم أذلة لتعزن، ولئن كنتم ضعفاء لتشرفن، حتى تكونوا نجوماً يقتدى بواحدكم؛ يقال: قال فلان، وقال فلان».<sup>(36)</sup>

### التباعد التاريخية لخطبته ﷺ:

وغزوة الأحزاب هي معركة خاضها جيش المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ في عام 5هـ داخل المدينة المنورة وسميت بهذا الاسم بسبب حفر المسلمين لخدق حول المدينة من جهة قدوم جيش العدو، كما سميت أيضاً بغزوة الأحزاب لتجمع أعداد كبيرة من مشركي الجزيرة العربية واليهود على غزو المسلمين، ومن أهم أسباب الغزوة أنه بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان المجتمع هناك يحتوي على فئات أخرى غير المسلمين وعلى رأس هذه الفئات اليهود، وبين يهود المدينة آنذاك قوم يقال لهم بنى النضير. وعندما دخل عليه الصلاة والسلام المدينة مهاجراً من مكة حرص على دمج تلك الفئات على قلب واحد بالعهود و المواثيق التي ارسى فيها حقوق تلك الفئات ، غير أن يهود بنى النضير لم يحترموا ذلك وهموا

بقتل رسول الله ﷺ، فحاصرهم المسلمون بقيادة الرسول إلى أن استسلموا ليخرجوا بعد ذلك من ديارهم. بعد هذه الواقعة أراد اليهود من بني النضير أن ينتقموا لأنفسهم من المسلمين، فحرضوا عليهم عرب الجزيرة العربية، فقبل العرب بالهجوم على المدينة، واجتمعت لهذه الغزوة قريش ومن حالفها، والقبائل الغطفانية ومن حالفهم، ثم انضم إليهم فيما بعد يهود بني قريضة في المدينة الذين نقضوا العهد هم أيضاً لما نقضه الآخرون من يهود المدينة.<sup>(37)</sup> وتعتبر غزوة الخندق من الغزوات الاستراتيجية لتأثيرها على التاريخ الإسلامي لإجتماع أكبر قوة من كفار شبه الجزيرة العربية لحرب الإسلام والمسلمين. وعندما سمع رسول الله ﷺ والمسلمون بقدوم جيش جرار إليهم مكون من تحالف كبير من أهم قبائل الجزيرة العربية أشار عليه الصحابي الجليل سليمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة يمنع جيش العدو من الوصول إلى المسلمين، فالمدينة محمية طبيعياً إلا من جهة ديار بني قريضة ومن جهة حفر الخندق. وعندما وصل الكفار إلى المدينة فوجئوا بالخندق وحاولوا الاقتحام بشتى الوسائل غير أن محاولاتهم كلها باءت بالفشل، واستمر الحصار لأكثر من عشرين يوماً إلى أن انتهت المعركة بانسحاب جيش الكفار ورجوعهم خائبين مدحورين بعد أن بث الله تعالى بينهم الرعب وبعد أن فرقهم وشتت جمعهم فكان نصراً من الله مؤزراً.<sup>(38)</sup> ومن خلال استقراء الخطبة نلاحظ تأكيده عليه الصلاة والسلام على أمور ناتجة عن الوضع السياسي للغزوة من تحالف العدو وكثرة عدده فخطب عليه الصلاة والسلام في جيشة مبين لهم ان هذا الحلف بني على الكذب والنفاق وقطع الوعود الكاذبة وسوف يهزم لانه حزب الشيطان، وهو فعلاً كما ذكر عليه الصلاة والسلام فانهمام ذلك الحزب نتيجة الكذب والنفاق عندما غدروا ببعضهم فاقفلوا منسحبين خوف غدر بعضهم بعض، ايضاً قارن عليه الصلاة والسلام بين حزب الكفار وحزب المسلمين مشير لكذب حزب الشيطان (الكفار) وصدقه عليه الصلاة والسلام للمسلمين فما سبق ان كذب عليهم عليه الصلاة والسلام، وما وعدهم الا الحق ثم دعا عليه الصلاة والسلام عليهم بالرياح التي تفرقهم وهذا ما كان فعلاً في نهاية الغزوة عندما هزم المشركين لأرسال الله سبحانه وتعالى ريح شديدة على المشركين مزقتهم .

كذلك أتت خطبته عليه الصلاة والسلام شاحنة لقلوب المسلمين بالوعود التي وعدها لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بالعزة والكثرة وهذا ما كان فعلاً من شان المسلمين فبعد غزوة الأحزاب رفع شان المسلمين في شبه الجزيرة العربية وقال عليه الصلاة والسلام الان نغزوهم ولا يغزوننا ونحن نسير اليهم ، وذلك لتبدل القوة بين المسلمين والمشركين فالان المسلمين كثره وقوة عظمى في شبه الجزيرة العربية . مما ميز خطبة الخندق كذلك انها أتت معلنة ومبينة لوعوده عليه الصلاة والسلام للمسلمين بانهم سيصبحون اعلام يشار اليها ويقتدى بها ،و ان المسلمين سيصبحون كثره وهذا استقراء لوضع المسلمين المستقبلي الذي آل اليه المسلمين بعد تلك الغزوة التي امتلته بالبشارات المستقبلية من فتح بلاد الشام وبلاد فارس واليمن ،فاكد ﷺ في الخطبة بالفتوحات الإسلامية السابقة الذكر واعداً للمسلمين بالعزة والنصر والكثرة ورفعة الشأن .

### ثالثاً: خطبة فتح مكة:

بعد سنوات من العدوان على الدعوة الإسلامية فتح الله عز وتبارك على نبيه محمد ﷺ مكة بعد جهاد طويل، وجهد عظيم من البلاغ والإنذار، وقد دخل نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام مكة

مطأطأ رأسه خشوعاً وتواضعاً لله، ثم أخذ يشير للأصنام حول الكعبة قائلاً: «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» [الإسراء: 81] فكانت الأصنام تخر على وجها.

ثم وقف النبي عليه الصلاة والسلام عند باب الكعبة خطيباً في الناس فقال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَرَمَ الْأَحْرَابَ وَحْدَهُ، أَلَا كُلُّ مَأْتِرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى فَهُوَ مَوْضُوعٌ تَحْتِ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ وَسَقَايَةَ الْحَاجِّ، أَلَا وَقَتِيلَ الْخَطَا شِبْهَ الْعَمْدِ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا فِيهِهِ الدِّيَةُ مُعْظَمَةٌ، مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَطَّمَهَا بِالْأَبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمَ مِنْ تُرَابٍ « ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى { [الحجرات: 13]. ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَيُّ فَاعِلٍ فِيكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرًا، أَخْ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخْ كَرِيمٍ. قَالَ: «أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ». ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمِفْتَاحُ الْكَعْبَةِ فِي يَدِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْمَعْ لَنَا الْحِجَابَةَ مَعَ السَّقَايَةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟» فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ: «هَاكَ مِفْتَاحًا يَا عُثْمَانُ، الْيَوْمَ يَوْمٌ بَرٌّ وَوَفَاءٌ».»<sup>(39)</sup> وجاءت رواية أخرى بخطبة ثانية، حيث تشير بعض المراجع إلأن الباعث لها تعدي بنو خزاعة أحلاف الرسول عليه الصلاة والسلام على رجل من هذيل بالقتل لثأر لهم معه في الجاهلية فغضب لذلك رسول الله وقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَن مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهَا لَمْ تَحَلِّ لِأَحَدٍ كَان قَبْلِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لَنْ تَحَلِّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، فَلَا يَنْفَرُ صَيْدُهَا، وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا تَحَلُّ سَاقِطُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ» فَقَالَ الْعَبَّاسُ: إِلَّا الْإِذْحَرَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي قُبُورِنَا وَبَيْوتِنَا، فَقَالَ: «إِلَّا الْإِذْحَرَ»<sup>(40)</sup>، فقام أبو شاه، رجلاً من أهل اليمن، فقال: اكتبوا لي يا رسول الله! فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اكتبوا لأبي شاه». قال الوليد: فقلت للأوزاعي: ما قوله: اكتبوا لي يا رسول الله؟ قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وباستقراء المضامين التاريخية العامة لهذه الخطبة نجد أنها تخاطب الناس جميعاً، سواء أكانوا من أهل مكة، أم من الجيش الإسلامي الذي كان صاحب الرسول عليه الصلاة والسلام في دخول مكة منتصراً ظافراً على قوة الشرك، تخاطبهم فتؤكد على ضرورة تحقيق السلام بين القبائل، ونسيان الماضي بما فيه من ضغائن وأحقاد، وحدد لهم طريقة التصالح في جريمة القتل الخطأ، ودعا إلى إقرار مبدأ المساواة بين الناس ولاسيما وأن القرآن قد ألقى الفوارق الاجتماعية ولم يعد الفخر والتباهي إلا بهدى تقوى المسلم، والتزامه بما أمر الله تعالى، ثم أصدر الرسول العفو العام على جميع من حاربوا وتآمروا ضد المسلمين.<sup>(42)</sup>

وهنا نجد ان الخطبة كانت بعد دخول مكة المكرمة وكانت موجهة لأهل مكة عامة إذ لم يقع القتال بين الطرفين و لم تصف الصفوف كما في بدر و احد بل كان دخول المسلمين دخول آمن بسلام و معلناً للسلام من خلال تامين الرسول عليه الصلاة و السلام لأهلها ، كانت مكة فتح معلن لكل من في الجزيرة العربية بان المسلمين الآن قوة سياسية عظمى قد آلت اليها مكة و أهلها فهي بداية جديدة إعادة رسم القوى على خارطة شبه الجزيرة العربية .

لذا كانت خطبة فتح مكة موضحة لحرمانية البلد الحرام موجهة لأهلها و لمن كان معه من المسلمين لحفظ حرمانية ذاك البيت و ذاك البلد فحطم الاصنام و رفع الاذان بمكة المكرمة بعد خطبته عليه الصلاة

و السلام في ذاك اليوم . وبالنظر إلى الدروس والعبر المستنبطة من هذه الخطبة النبوية الشريفة نجد أن أعظم ما تميزت به هذه الخطبة هو البداية التوحيدية التي بدأ بها النبي ﷺ بيانه، وذلك في صدحه بالكلمة العظيمة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» في ذلك المجتمع المشرك الذي طالما ما عادى تلك الكلمة العظيمة وحاربها، فجاءت هذه البداية القوية لتذكر أهل مكة وتدعوهم إلى عبادة الله وحده، فالألوهية لله وحده، وإليه تصرف جميع أنواع العبادة، فلا مكان لوثن أو صنم، ولا محل لشريك معه سبحانه وتعالى، ولا يعبد سواء جل في علاه.<sup>(43)</sup>

فضلاً على إقرار البيان النبوي الكريم في هذه الخطبة بمبدأ المساواة بين الناس، وأن أساس التفاضل بين الخلق لا يقوم على مبادئ الجاهلة التي كانت تفاخر بالآباء والعشيرة والقبيلة، بل أساس التفاضل بين الناس هو العمل الصالح والتقوى. ولعل أعظم الدرس المستفادة من هذه الخطبة النبوية البديعة، الرحمة بالمخاطبين ودفء العاطفة نحوهم والحرص على سلامتهم ونجاتهم وسعادتهم فمن أهم أساليب الإعلام الإسلامي في الإقناع الرحمة بالمخاطبين، وفتح آفاق الأمل أمام الناس، والبعد عن التيئيس والتبكييت، ومخاطبة السلوك الإنساني على أساس الفرصة المفتوحة، وفتح حساب الاحتمالات، والبعد عن التيئيس والقرارات الحتمية المطلقة؛ لأن هذه الطرق المسدودة اتجاهات لا يقرها الإعلام الإسلامي، كما أرسى دعائم الرسول ﷺ في هذه الخطبة؛ لأن ذلك يحجر ما وسعه الله، ويربط الناس في سجن الواقع، ويخيب الآمال، قال ﷺ «يا معشر قريش: ما ترون أي فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم» هذا التساؤل كان بداية الخير وبداية الرحمة؛ لأن الذي يعزم على العقاب لا يستشير، ولذا استبشر أهل مكة خيراً فقالوا مقولتهم هذه، إن الرحمة بالمخاطبين والتعاطف معهم أسلوب تؤكد الدراسات الإعلامية فاعليته في الإعلام والاتصال الفعال بالجماهير.<sup>(44)</sup>

كما يستفاد من هذه الخطبة أيضاً أساس عظيم وقاعدة عامة في النجاح في الحياة عمومًا، وفي مجال الدعوة إلى الله خصوصًا، وهو قانون العفو الذي طبقه المصطفى عليه الصلاة والسلام عمليًا وقوليًا في فتح مكة بإعلانه العفو العام عنهم؛ فالمتأمل في المدة الزمنية بين إخراج المجتمع المكي المشرك للنبي عليه السلام من مكة وفتحها وعودته إليها منتصرًا لا تتجاوز ثماني سنوات، وهي مدة وجيزة لا يتصور معها أن يكون النبي قد نسي إساءاتهم وأذاهم وعداوتهم، وحرورهم له، ومع ذلك، لما قدر النبي ﷺ عليهم عفى عنهم، إظهارًا لمعدنه الأصيل وخلق القويم.<sup>(45)</sup>

#### رابعًا: خطبة غزوة حنين والدروس والعبر المستنبطة منها:

كانت غزوة حنين في السنة الثامنة للهجرة، عقب فتح مكة مباشرة، وقد وقعت هذه الغزوة بين المسلمين وقبيلتي هوازن وثقيف في واد يسمى حنين بين مدينة مكة والطائف، وقد جرت هذه الغزوة في فترة ازدهار وانتشار الإسلام في داخل الجزيرة العربية وخارجها، حيث كان صلح الحديبية هو السبب في هذا الازدهار والانتشار لهذا الدين، وتعد من أكبر المعارك التي خاضها المسلمون في عصر النبوة، ومن أكثرها خطورة، وقد واجه فيها المسلمون صعوبات شديدة، ومواقف عسيرة، وغنم فيها المسلمون مغنم كثيرة.<sup>(46)</sup> وفي هذه الغزوة خطب رسول الله ﷺ خطبة بليغة بديعة رواها الطبري في تاريخه عن أبي سعيد الخدري وفيها أن رسول الله ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَهُ بَلَّغْتَنِي عَنْكُمْ، وَمَوْجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ

ضَلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَعْتَاكُمْ اللَّهُ، وَأَعْدَاءَ فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ! قَالُوا: بَلَى، لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ! فَقَالَ: أَلَا تُحِبُّونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! قَالُوا: وَمَهَذَا نُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ! قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ، وَلَصَدَقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَدَّبًا فَصَدَقْنَاكَ، وَمَخْدُولًا فَتَصَرَّنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوَيْتَنَاكَ، وَعَائِلًا فَاسْتَيْتَنَاكَ، وَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لِعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا، وَوَكَلْتُمْكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ! أَفَلَا تَرَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبُعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ! [فو الذي نَفَسَ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ! اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ! قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَطًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا].<sup>(47)</sup> ويذكر بن حجر العسقلاني الدروس والعبر المستنبطة من هذه الخطبة النبوية الشريفة إذ يقول: «وفي الحديث من الفوائد إقامة الحجة على الخصم، وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه، وحسن أدب الأنصار في تركهم المماراة والمبالغة في الحياء، وبيان أن الذي نقل عنهم إنما كان عن شبانهم لا عن شيوخهم وكهولهم، وفيه مناقب عظيمة لهم لما اشتمل من ثناء الرسول البالغ عليهم وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق، وفيه المعاتبنة واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه والاعتذار والاعتراف وفيه علم من أعلام النبوة لقوله ستلقون بعدي أثره فكان كما قال. وفيه مشروعية الخطبة عند الأمر الذي يحدث سواء كان خاصًا أم عامًا، وفيه تسليية من فاته شيء من الدنيا مما حصل له من ثواب الآخرة، والحض على طلب الهداية والألفة والغنى وأن المنة لله ورسوله على الإطلاق، وتقديم جانب الآخرة على الدنيا، والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة، والآخرة خير وأبقى».<sup>(48)</sup>

كما نستقرء من هذه الخطبة التاريخية العظيمة أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام قد خص هذا الخطبة الأنصار واقتصرت عليهم وما ذلك إلا لمنزلة الأنصار من الرسول عليه الصلاة والسلام، فعالجت الخطبة مخاوف الأنصار من ميل الرسول عليه الصلاة والسلام لأهل مكة، فوضح لهم عليه الصلاة والسلام ذلك مبتدأ خطبته بتذكيرهم بفضل الله عليهم بإخراجهم من الضلال للهدى وتأليف قلوبهم بالإيمان بالله عز وجل واتباع نبيه عليه الصلاة والسلام، ثم فسر لهم سبب إجزال عطائه لمحدثي الدخول في الإسلام من أهل مكة لاستمالة قلوبهم للإسلام، متوكلاً على صدق إيمان الأنصار الخالي من حب الدنيا لسبق إيمانهم بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وكأنها بيعة جديدة يعاقدون فيها على الجنة وعلى الصحبة كما عاقدتهم عليها سابقاً في بيعة العقبة الثانية بقوله لهم رداً على سؤالهم ان نصرناك فما يكون لنا فقال لهم لكم الجنة وقوله عليه الصلاة والسلام و السلام الدم الدم الهدم الهدم. وكان أسلوبه عليه الصلاة والسلام في خطبته يقوم على طرح السؤال ثم الإجابة محاكاة لما يجول في خواطرهم من أسئلة فيكون هو السائل والمجيب والخصم والحكم وبذلك يسد باب الخلاف والجدل أمامهم فيسأل بلسانهم ويرد بلسانه عليه الصلاة والسلام.

وهذه التربية النبوية العظيمة المستنبطة من هذا الخطاب النبوي التاريخي، وهذا الحوار العاطفي يدلنا من الناحية التربوية على أمور أهمها<sup>(49)</sup>:

أ. أن الاعتماد على العواطف الربانية في المواقف الخطيرة، يجب أن يسبقه تربية صحيحة وعميقة لهذه العواطف، وكان رسول الله كما قلنا قد ربى هذه العواطف في نفوس الأنصار، حتى أصبح

ب. استخدام رسول الله ﷺ أسلوب القرآن الاستفهامي، لإثارة العواطف: وكأنه اقتبس من سورة الضحى ذلك القبس الإلهي حين قال لهم: «ألم أتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأعطاكم الله، وأعداء فألف بين قلوبكم؟»

ت. راعى رسول الله ﷺ أنهم بشر وليسوا ملائكة، وأرادهم أن يدافعوا عن أنفسهم بشيء من القول، فلما استحيوا منه، دافع عنهم بالنيابة عن أنفسهم، لئلا يتك في نفوسهم شيئاً من الواجد، فقال: «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخدولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك...»، وهكذا نجد أن على المرابي في المواقف الحرجة، ألا يصدر حكمه قبل أن يسمع من الذين يريهم، أو يريد أن يحاكمهم، في هفوة ارتكبوها.

### ويظهر لنا باستقراء الخطب السابقة أنها:

تشترك جميعاً في معنى كلي واحد وهو [الحرص على بناء الإنسان المسلم ورعايته] وهو هدف مركزي لا يختلف عليه أحد. ولكنها تتمايز في الأهداف الجزئية، على حسب اهتمام كل خطبة، أما المعنى الكلي ذو الهدف المركزي فهو: أن الرسول ﷺ قصد توضيح أن الناس مطالبون بالدخول في دين الله وهو الإسلام، وتعزيز إيمانهم به بالعمل على طاعة الله وتنفيذ أوامره وتجنب معصيته والامتناع عما نهى عنه، وهم مطالبون كذلك بمساعدة المحتاجين ومعاونتهم، وإنجاز التكليف الإلهية التي كلفهم الله تعالى بها، حتى لا يتعرضوا لعذابه.<sup>(50)</sup>

أيضاً من خلال الاستقراء السابق للخطب السابقة يتضح لنا أن الخطب الثلاث الأولى في بدر واحد و الخندق كانت تتميز بحرصه عليه الصلاة والسلام على رفع الروح المعنوية لجنده من خلال تذكيرهم بطاعة الله و الحرص على طاعة نبيه و توضيح الغاية الأساسية من الجهاد، أما في خطبة عليه الصلاة والسلام في فتح مكة و حنين فكانت تأتي بعد النصر و الفتح لتقويم السلوك الإنساني بالعفو و الرحمة كما كان في فتح مكة، إضافة الى رفع العاطفة الإيمانية لدى المسلمين في حنين .

### الخاتمة:

من خلال البحث في موضوع الأبعاد التاريخية والسياسية لخطب الرسول ﷺ في غزواته نجد أن خطبة عليه الصلاة والسلام في غزواته قد تميزت بأبعاد تاريخية و سياسية لكل خطبة ظهر فيها فصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام وعظم علمته ومعرفته عليه الصلاة والسلام ، كما ظهر فيها حرصه عليه الصلاة والسلام في اختيار الزمان و المكان المناسب لكل خطبة ، إضافة تميز كل خطبة بعناصر خاصة بحيثيات كل غزوة ، فما خلصت اليه الدراسة ان خطبة عليه الصلاة والسلام مع بداية تشريع الجهاد في مرحلته الأولى كانت خطبة عليه الصلاة والسلام تحض على طاعة الله و طاعة الرسول و الصبر و الثبات ، ثم عند الانتقال الى المرحلة الثانية عندما بدأ المسلمون يخرجون للقتال خارج المدينة شملة خطبة عليه الصلاة والسلام على التبشير بالعزة و المنعة والفتح وان هذا الدين سيعز ، فرأيناه عليه الصلاة والسلام يعفو ويصفح ، وعندما بدأت الجيوش الإسلامية تخرج خارج شبه الجزيرة العربية شملة خطبة على ضرورة الالتزام بتشريعات الإسلام في نشر السلام و التحلي بأخلاقيات المسلمين .

- إننا وبصد خاتمة هذا البحث، نجمل أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها وذلك على النحو الآتي:
- كان عليه الصلاة والسلام أفصح قريش قاطبة اجتمعت فيه فصاحة اللفظ وجودة التركيب وحسن الإلقاء، فبلغ من البلاغة ذروتها، ووصل من الروعة قمته، تجد في طيات حديثه جوامع الكلم وروائع الحكم هو القول الفصل.
- خطب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كانت ترسم لسمات المجتمع المسلم وخصائصه التي تميزه عن غيره من المجتمعات، بوضع القواعد والأصول التي يقوم عليها كيانه سواء في تنظيم العلاقات المختلفة بين أفراده أو بين الأفراد ومن يتولون إدارة شؤونهم، أو بين المجتمع الإسلامي والمجتمعات المعاصرة له.
- من أجل الدروس والعبر المستنبطة من خطبة غزو بدر هي التربية المحمدية سواء أكانت في صورة العبادة في تلقين عبادة التوحيد، أم إرجاع الأمر إلى الله مع حسن العمل أم الإيمان بالمساواة في عمل الدنيا والآخرة، أم إثارة الشهادة في سبيل العقيدة على الحياة، وما يتعلق بها من أحوال الأهل والعشيرة وكذلك انطباع نفوسهم بطاعة الرسول وأولي الأمر منهم
- من أجل العبر والعظات والدرس المستفادة من خطبة أهد توجيه رسول الله ﷺ أصحابه إلى عوامل النصر، والغلبة، وأساسها إعداد العدة، والصبر، واللجوء إلى الله وحسن الطاعة والانقياد، وأداء الواجبات، وصدق التوكل، وإخلاص التقوى، وتقدير محارم الله تعالى، والإيمان التام بقدره سبحانه وتعالى.
- ومن اعظم العبر المستفادة في غزوة الخندق او الأحزاب البشارات النبوية للفتح الإسلامي و الوعد بالعزة المسلمين و منعهم و رفع شأنهم حتى ان الواحد منهم سيصبح قدوة يحتذى به .
- أعظم الدرس المستفاد من خطبة فتح مكة، الرحمة بالمخاطبين ودفء العاطفة نحوهم والحرص على سلامتهم ونجاتهم وسعادتهم، وفتح آفاق الأمل أمام الناس، والبعد عن التئيب والتبكي، ومخاطبة السلوك الإنساني على أساس الفرصة المفتوحة، وفتح حساب الاحتمالات، والبعد عن التئيب والقرارات الحتمية المطلقة.
- إن من أعظم الفوائد في خطبة الرسول ﷺ في حنين إقامة الحجة على الخصم، وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه، وحسن أدب الأنصار في تركهم المماراة والمبالغة في الحياء، وفيها المعاتبه واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه والاعتذار والاعتراف، وفيها تسلية من فاته شيء من الدنيا مما حصل له من ثواب الآخرة، والحض على طلب الهداية والألفة والغنى وأن المنة لله ورسوله على الإطلاق، وتقديم جانب الآخرة على الدنيا، والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة.
- وقد أوصت الدراسة بجملة من التوصيات على النحو الآتي:
- ضرورة الاهتمام بجمع خطب الرسول ﷺ في غزواته في حله وترحاله، وترتيبها حسب الأزمان والأمصار التي قيلت فيها، وحسب المناسبات التي ذكرت من أجلها لدراستها وتوضيحها.

## الأبعاد التاريخية والسياسية لخطب الرسول ﷺ في غزواته (دراسة تاريخية)

- الاستزادة من الدراسات والأبحاث التي تتناول الأبعاد التاريخية لخطب الرسول عليه الصلاة والسلام لكي نستلهم منها الدروس والعبر في واقعنا المعاصر.

## المصادر والمراجع:

- (1) ابن حجر العسقلاني (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة: بيروت- لبنان، ط1.
- (2) ابن حجر العسقلاني (2014). بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار القبس للنشر والتوزيع: الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1.
- (3) ابن قيم الجوزية (1994). زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع: بيروت- لبنان، ط27.
- (4) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1997). البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1.
- (5) ابن منظور، محمد بن مكرم (1414هـ). لسان العرب، دار صادر: بيروت- لبنان، ط3.
- (6) أبو بكر البيهقي (2003). السنن الكبرى، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط3.
- (7) أبو زهرة، محمد (1980). الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي: بيروت- لبنان، ط2.
- (8) أبو فارس، محمد عبد القادر (1993). المدرسة النبوية العسكرية، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع: عمان: الأردن، ط1.
- (9) آل نواب، عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين (1425هـ). تدريب الدعاة على الأساليب البيانية، الإسلامية بالمدينة المنورة، ع128، س37.
- (10) البنداري، حسن أحمد (2014). الخطاب الرئاسي في عصر النبوة، فكر وإبداع- رابطة الأدب الحديث.
- (11) ثابت، سعيد بن علي (1417هـ). الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1.
- (12) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (1423هـ). البيان والتبيين، دار ومكتبة هلال للنشر والتوزيع: القاهرة- مصر، ط1.
- (13) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (1983). التعريفات، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1.
- (14) حسين عبد العالي اللهيبي (2008). الخطابة العربية في العصر العباسي الأول، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد3-4.
- (15) حسين، محمد الخضر (2010). موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر: دمشق- سورية، ط1.
- (16) الحسيني، عفاف حسن أحمد (2009). القيم والمبادئ المتضمنة لخطبة الرسول صلى الله عليه في حجة الوداع، مجلة كلية التربية - جامعة المنصورة، ج69.
- (17) الحصين، سلطان بن عمر (2015). دراسة دعوية لبعض الخطب النبوية، مجلة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، ع82.
- (18) حمزة، عبد اللطيف. الأعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي: القاهرة- مصر.
- (19) خضر، حازم عبد الله (1981). معالم الحضارة الإسلامية في خطب الرسول ﷺ، آداب الرفادين، جامعة

- الموصل - كلية الآداب، ع13.
- (20) خفاجي، محمد عبد المنعم (1992). الحياة الأدبية في العصر الجاهلي لمحمد عبد المنعم، دار الجيل: بيروت- لبنان، ط1.
- (21) زيدان، جرجي (1911). تاريخ آداب اللغة العربية، دار ومطبعة هلال للنشر والتوزيع: القاهرة- مصر.
- (22) السباعي، مصطفى بن حسني (1985). السيرة النبوية - دروس وعبر، المكتب الإسلامي للنشر، ط3.
- (23) السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق (1408هـ). المراسيل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ط1.
- (24) سوطري، فهمي محمد (2019). تطور فن الخطابة في صدر الإسلام، هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، م60، ع2.
- (25) الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (1993). سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الواحد والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1.
- (26) شحاتة، عبد الله محمود (1974). غزوة بدر الكبرى، الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س10، ع117.
- (27) شولي، وسيم عبد الجليل مصطفى (2016). خطبة الرسول الكريم بعد غزوة حنين: دراسة بلاغية تحليلية، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، كلية الإمارات للعلوم التربوية، ع10.
- (28) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي (1387هـ). تاريخ الرسل والملوك، دار التراث: بيروت- لبنان، ط3.
- (29) الطيار، عبد الله بن محمد بن أحمد (1425هـ). الصلاة وصف مفصل للصلاة بمقدماتها مقرونة بالدليل من الكتاب والسنة، وبيان لأحكامها وآدابها وشروطها وسننها من التكبير حتى التسليم، مدار الوطن للنشر، ط10.
- (30) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (1419هـ). الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية: بيروت- لبنان، ط1.
- (31) غلوش، أحمد (2004). السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت- لبنان، ط1.
- (32) فياض، نقولا (2015). الخطابة، مؤسسة هندواي للنشر، ط1.
- (33) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (2005). القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت - لبنان، ط8.
- (34) اللهبي، حسين عبد العال (2014). الخطابة العربية في العصر الوسيط (656- 1213 هـ): دراسة في الموضوع والفن، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، م1، ع16.
- (35) المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر (1999). إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1.

## د. أمل عبيد عواض الثبيتي

- (36) النحلاوي، عبد الرحمن (2007). أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق- سورية، ط25.
- (37) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي (1989). المغازي، تحقيق: مارسدن جونس الناشر، دار الأعلمي: بيروت- لبنان، ط3.

## الهوامش:

- (1) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين (1414هـ). لسان العرب، دار صادر: بيروت - لبنان، ط3، ج4، ص-134 135؛ الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (2005). القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت - لبنان، ط8، ص103.
- (2) حسين عبد العالي اللهيبي (2008). الخطابة العربية في العصر العباسي الأول، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد3-4، ص93.
- (3) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (1983). التعريفات، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1، ص99.
- (4) خفاجي، محمد عبد المنعم (1992). الحياة الأدبية في العصر الجاهلي لمحمد عبد المنعم، دار الجيل: بيروت- لبنان، ط1، ص153.
- (5) حسين، محمد الخضر (2010). موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر: دمشق- سورية، ط1، ج7، ص144.
- (6) أل نواب، عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين (1425هـ). تدريب الدعاة على الأساليب البيانية، الاسلامية بالمدينة المنورة، ع128، س37، ص358.
- (7) انظر: اللهيبي، حسين عبد العال (2014). الخطابة العربية في العصر الوسيط (-656 1213 هـ): دراسة في الموضوع والفن، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، م1، ع16، ص-335 356؛ فياض، نقولا (2015). الخطابة، مؤسسة هنداوي للنشر، ط1.
- (8) سوطري، فهمي محمد (2019). تطور فن الخطابة في صدر الإسلام، هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، م60، ع2، ص66.
- (9) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (1423هـ). البيان والتبين، دار ومكتبة هلال للنشر والتوزيع: القاهرة- مصر، ط1، ج3، ص300.
- (10) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (1419هـ). الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية: بيروت- لبنان، ط1، ص135.
- (11) زيدان، جرجي (1911). تاريخ آداب اللغة العربية، دار ومطبعة هلال للنشر والتوزيع: القاهرة- مصر، ج1، ص217.
- (12) أبو زهرة، محمد (1980). الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي: بيروت- لبنان، ط2، ص212.
- (13) المرجع السابق، ص213.
- (14) حمزة، عبد اللطيف. الأعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي للطباعة والنشر: القاهرة- مصر، ص172.
- (15) خضر، حازم عبد الله (1981). معالم الحضارة الإسلامية في خطب الرسول ﷺ، آداب الرافدين، جامعة الموصل - كلية الآداب، ع13، ص316.

- (16) المرجع السابق: ص316.
- (17) ابن قيم الجوزية (1994). زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع: بيروت- لبنان، ط27، ج1، ص179.
- (18) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، 2/ 529، حديث رقم 867.
- (19) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، مرجع سابق، 1/180.
- (20) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب التحية والإمام يخطب، 2/ 596، حديث رقم 875.
- (21) انظر: الطيار، عبد الله بن محمد بن أحمد (1425هـ). الصلاة وصف مفصل للصلاة بمقدماتها مقرونة بالدليل من الكتاب والسنة، وبيان لأحكامها وآدابها وشروطها وسننها من التكبير حتى التسليم، مدار الوطن للنشر، ط10، ص259.
- (22) أبو بكر البيهقي (2003). السنن الكبرى، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط3، ج3، ص305.
- (23) السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق (1408هـ). المراسيل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ط1، ص103.
- (24) حازم خضر، معالم الحضارة الإسلامية في خطب الرسول ﷺ، مرجع سابق، ص319.
- (25) السباعي، مصطفى بن حسني (1985). السيرة النبوية - دروس وعبر، المكتب الإسلامي للنشر، ط3، ص165.
- (26) لحازم خضر، معالم الحضارة الإسلامية في خطب الرسول ﷺ، مرجع سابق، ص319.
- (27) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، مرجع سابق، 1/409.
- (28) الحسيني، عفاف حسن أحمد (2009). القيم والمبادئ المتضمنة لخطبة الرسول صلى الله عليه في حجة الوداع، مجلة كلية التربية - جامعة المنصورة، ج69، ص475.
- (29) المرجع السابق .
- (30) انظر: المقريزي؛ أحمد بن علي بن عبد القادر (1999). إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة المتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1، ج1، ص81؛ الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (1993). سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الواحد والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1، ج4، ص34.
- (31) انظر: أبو فارس، محمد عبد القادر (1993). المدرسة النبوية العسكرية، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع: عمان: الأردن، ط1، ص140؛ غزوات الرسول: غزوات وعبر وفوائد لعلي الصلابي، مرجع سابق، ص42.
- (32) شحاتة، عبدالله محمود (1974). غزوة بدر الكبرى، الوعي الإسلامي - وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، ص10، ع117، ص25.
- (33) عبد الله شحاتة، المرجع السابق، ص25.

- (34)الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي (1989). المغازي، تحقيق: مارسدن جونس الناشر، دار الأعلمي: بيروت- لبنان، ط3، ج1، ص221.
- (35)غلوش، أحمد (2004). السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت- لبنان، ط1، ص336.
- (36)عبدالعزیز السلیمان:مفتاح الأفكار،ج2، ص 59.
- (37)ابن هشام ج3،226،والوافدى ص362، وابن سعد ج2 ق1 ص147، والطبري 2 / 564.
- (38)أنساب الأشراف 1 / 165 والبخارى 5 / 107، وصحيح مسلم بشرح النووي 12 / 145، 12 / 171، وابن سيد الناس 2 / 54، وابن كثير 4 / 92 والنويرى 17 / 666، والسيرة الحلبية 2 / 401.
- (39)ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1997). البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، ج6، ص-567 568.
- (40)ابن حجر العسقلاني (2014). بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار القبس للنشر والتوزيع: الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، ج1، ص287.
- (41)أخرجه الإمام البخاري، صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني، ط1، (الرياض: نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد 1379هـ) ص205، وقال ابن حجر: الزيادة عن الوليد بن مسلم قلت للأوزاعي ما قوله اكتبوا لي؟ قال هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ المرجع نفسه، ص 206.
- (42)البنداري، حسن أحمد (2014). الخطاب الرئاسي في عصر النبوة، فكر وإبداع- رابطة الأدب الحديث، ج87، ص15.
- (43)الحصين، سلطان بن عمر (2015). دراسة دعوية لبعض الخطب النبوية، مجلة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، ع82، ص495.
- (44)ثابت، سعيد بن علي (1417هـ). الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1، ص62.
- (45)دراسة دعوية لبعض الخطب النبوية لسلطان الحصين، مرجع سابق، ص498.
- (46)شولي، وسيم عبدالجليل مصطفى (2016). خطبة الرسول الكريم بعد غزوة حنين: دراسة بلاغية تحليلية، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، كلية الإمارات للعلوم التربوية، ع10، ص75.
- (47)الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (1387هـ). تاريخ الرسل والملوك، دار التراث: بيروت- لبنان، ط3، ج3، ص-93 94.
- (48)ابن حجر العسقلاني (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة: بيروت- لبنان، ط1، ج8، ص52.
- (49)النحلوي، عبد الرحمن (2007). أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق- سورية، ط25، ج8، ص186.
- (50) الخطاب الرئاسي في عصر النبوة لحسن البنداري، مرجع سابق، ص14.

# الفروسية عند العرب الجاهليين بين الثبات والفرار

أستاذ الأدب المساعد بجامعة أم درمان الأهلية

د. أحمد يس عبد الرحمن

## المستخلص:

تهدف الدراسة إلى تتبع حال الحرب عند العرب ثباتهم وفرارهم، وما يصاحب ذلك الثبات من فخر وزهو، وما يتبع ذلك الفرار من مغبة وذم، لذا نجد العرب الجاهليين صاغوا مسوغات لفرارهم وحجج يحتجون بها، يقنعون بها أنفسهم أولاً، ثم المجتمع من بعد، إذ أن الفارس يكتوي بهيب اللوم النفسي، ويعيش ضيقاً مميّناً لفراره. اتبعت الدراسة المنهج التحليلي، والتقصي النقدي لمعظم أبيات وصف الفروسية والثبات عند العرب، والفرار والهرب ومسوغاته التي ذكرها الفرسان لكل حادثة.

## جاءت الدراسة مقسمة إلى محورين:

المحور الأول: تطرق فيه الباحث إلى دراسة الفروسية عند العرب، حين كانت مظهراً من مظاهر المجتمع، وكيف أنها تعدت مفهوم الحرب والقتال لتشمل قيماً خلقية، ومثل رفيعة يتحلى بها الفرسان، ويتسابقون لنيلها. كما تناول الثبات ودوافعه في الحرب، ولهفة المستغيث ونصرة المظلوم. أما المحور الثاني فجاءت فيه مسوغات الفرار عند العرب الجاهليين فهم يحتجون بتلك الحجج التي تهون عليهم مغبة الفرار ومثالبه. ومنهم يرى أن الفرار نوع من أنواع التخطيط الحربي ودراسة الواقع فلا يعتبره جبناً بل كياسة وذكاءً، ومنهم من يحمل مغبة فراره لفرسه الذي نفر أو جمح غير مبالٍ بالجماع على غير عادته. ومع ذلك يرى الباحث أن العرب كانت لهم شجاعة وبسالة لم يعرف التاريخ مثلها. وعليه خلصت الدراسة إلى:

1. أن الفروسية عند العرب تعدت مفهوم الحرب لتشمل قيماً وأخلاقاً فاضلة حصرت على العرب بغير منازع من الشعوب الأخرى، وأصبحت الفروسية مظهراً من مظاهر المجتمع عندهم فضلاً على خبرتهم العميقة بالحرب وصبرهم وجلدهم.
  2. حب السلامة، والخوف من الموت والهرب من الأسر والتنكيل خلق طبعي جُبلت عليه النفس البشرية، فكل فارس تنازعه نفسه بالثبات أو الفرار مهما كانت شجاعته.
  3. كلما كانت الدوافع دينية غير عصبية، زادت صبر الفارس في حتمية الثبات، لبل نجد العرب بعد إسلامهم أكثر ثباتاً وشجاعة في الحرب من جاهليتهم.
  4. مازال موضوع الدراسة بكراً يحتاج الي كثير من الدراسات والبحوث حتى نخوص في مقومات الشخصية العربية. وسر مكنوناتها. وذلك حتماً يحتاج لمتسع في قوالب النشر.
- كلمات مفتاحية: شعر- فارس - ثبات - فرار - مجتمع.

**Abstract:**

The study aims to track the state of standing firm or fleeing Arabs in time of war among the Arabs, and what accompanies that from pride or slander. Therefore, the pre-Islamic Arabs formulating justifications and arguments for their flight. They use these justifications to convince themselves in the first place, then the community, as the knight is blazing with self-blame and lives deadly annoyance for his escape. The study adopted the analytical approach, and critical investigation of most of the verses describing chivalry and stability among Arabs. And fleeing justifications mentioned by the knights for each incident. The study was divided into two chapters: The first chapter: the researcher tackled the topic of knighthood of the Arabs, which it was an aspect that of the society, which transcended the concept of war and fighting to include moral values and high ideals knights are racing to get them. It also addressed the standing firm in war and its motives the eagerness of the distressed and the support of the oppressed. As for the second chapter, the justifications for fleeing were presented to the pre-Islamic Arabs in the way that made it easy for them to escape. Some of them considered fleeing from war as a form of war planning and they didn't consider it as cowardice, instead they see it as smartness. Some of them blame their horses that unnaturally escaped. The researcher claims that Arabs have a unique bravery across all history. Reality does not consider it cowardice, but rather civility and intelligence Indifferent to the bridle as usual. Nevertheless, the researcher believes that the Arabs had courage and valor that history has not known. Accordingly, the study concluded the following: A/ The chivalry among the Arabs went beyond the concept of war to include virtuous values and morals that were restricted to the Arabs unchallenged by other peoples, and chivalry became a manifestation of their society, in addition to their deep experience of war and their patience and perseverance.

b/ The love of safety, the fear of death and the escape from captivity and abuse is a natural trait that the human soul has built upon. Every knight is contested by himself, whether he persists or flees, no matter how brave he is.

c/ The more religious motives are not nervous, the more patience the knight is in the inevitability of steadfastness, so we find the Arabs after their conversion to Islam more steadfast and courageous in war

than their ignorance.

D/ The subject of the study is still a virgin and needs many studies and research in order to delve into the elements of the Arab personality and the secret of its components. And that definitely needs room in publishing templates

**Key word:**Poetry – Knight – Stability – Escape – Society.

## المقدمة:

إن الحرب كانت بالنسبة إلى عرب الجاهلية شراً لا بد منه في عالم ملؤه التنافس، والاعتداء، والغدر. أضف إلى ذلك أن حياة العرب الصحراوية القاسية طبعت نفوسهم بطابع القسوة والقوة والعنف، وجعلتهم يعيشون في خلاف دائم، مع تزايد دافع انتقام البشر بعضهم من بعض، وتعصب كل طرف إلى قبيلته وعشيرته، وهو أمر طبيعي لا تخلو منه أمة من الأمم، ولكن كان أكثر وضوحاً عند الجاهليين. ولما كان الشعر عن العرب في الجاهلية ديوانهم وسجل تاريخهم فقد سجلوا فيه كل مواقفهم، وأيامهم، ومآثرهم، وبطولاتهم. وحروبهم وما يصاحبها من بسالة وثبات، وهروب وفرار، فهم على شجاعتهم وصبرهم، بشر تتوق أنفسهم إلى حب السلامة، والحياة، والمتعة، ولكن كان خوفهم الأكبر من الهجاء، والمخازي والذم، لذا كانوا يصورون ثباتهم واقحامهم أكثر مما يصورون فرارهم وهروبهم من اللقاء. وكانوا يجعلون لفرارهم مسوغات وأسباب تهون مغبته في نفوسهم أولاً وتثلج صدورهم من نيران العار واللوم المشتعلة دواخلهم، وتجد لهم الحجة والعدر عند من لامهم وذمهم من الناس. فمنهم من يحتمل مغبة فراره لفرسه الذي خاض به المعركة، أو أي عذر يخرج به من اللوم والذم.

جاءت هذه الدراسة مكونة من محورين اعتمد فيهما الباحث على التقصي، والتحليل الأدبي، لما دونه العرب عن الحرب والثبات فيها، والفرار منها ولمسوغات فرارهم، وهربهم واختلافها من فارس لفارس. فتناول المحور الأول الفروسية عند العرب الجاهليين، وكيف أنها كانت مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية وأنها لم تقتصر على الحرب والقتال فقط، إنما شملت المثل العليا، والأخلاق الكريمة الفاضلة ونجدة المستغيث وغيرها من نبيل الأخلاق وكرهها.

أما المحور الثاني فتطرق فيه الباحث إلى الفرار عند العرب الجاهليين ودوافعه ومسوغاته التي يتعلل بها الفرسان هرباً من مغبة الذم ومثالبه؛ حيث تتبع هذه المثالب الهارب كل حياته. كما تطرق المحور لحالة الفرسان في الحرب ونزاعهم النفسي بين ثبات يكسب المحمدة والمدح، وفرار يلزم المذمة والهجاء.

## المحور الأول:

### الفروسية عند العرب الجاهليين:

لم تكن الفروسية في العصر الجاهلي، نظاماً معيناً يفرض على أتباعه سلوكاً خاصاً، وإنما مظهراً من مظاهر الحياة، نشأ من عوامل اجتماعية وخلقية. ساعدت على تطوره فطرة عربية سليمة، ووجدت في قيم المجتمع الجاهلي هدفها الذي تسعى إليه. ولقد حفل الشعر الجاهلي بالحديث عن الفروسية بوصفها الطابع المميز للحياة الجاهلية، والسمة الغالبة على طبائع العرب، ولكونها واحدة من مجموعة المثل الرفيعة والقيم والبطولات التي ترددت على ألسنة الشعراء الفرسان.

## الفروسية عند العرب الجاهليين بين الثبات والفرار

أرى أن كلمة (فروسية) اشتقت من كلمة (فرس)، وعُرف الفارس في الزمن الماضي بأنه ذلك الشجاع قوي البنية الذي يمتطي صهوة جواده. وتغير مضمونها بمرور الزمن ليشمل مجموعة من الفضائل والمكارم مجتمعة في الفارس.

الفرس واحد الخيل، والجمع أفراس، الذكر والأنثى في ذلك سواء وراكبه فارس مثل لابنٍ وتامرٍ، وقال السكيت: إذا كان الرجل على حافر، برذونا كانت أو فرساً أو بغلاً أو حماراً قلت: مر بنا فارس على بغل، ومر بنا فارس على حمار قال الشاعر:

وإني أمرؤٌ للخيلِ عندي مزيّةٌ على فارس البرذونِ أو فارس البغلِ

والفارس صاحب الفرس على إرادة النسب، والجمع فرسان، والفِرَاسَة بالفتح، مصدر قولك رجل فارس على الخيل يقال: فارس بين الفروسة والفِرَاسَة والفروسية، وإذا كان فارساً بعينه ونظره فهو بين الفِرَاسَة بكسر الفاء، ويقال: إن فلاناً لفارس بذلك الأمر إذا كان عالماً به ويقال: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.<sup>(1)</sup> ويرى الأستاذ البروفيسور/ عبد الله الطيب -رحمة الله عليه- عند حديثه عن الفروسية أن الفروسية العربية مرتبطة كل الارتباط بالشعر ويقول: (إن الشاعر العربي في قلقه عن مذهب الكلمات أخذ يجنح إلى الفروسية طالباً للحرية والانطلاق من سبيلها).<sup>(2)</sup>

جاء في دائرة المعارف البريطانية عن الفروسية أنها كانت تعني في القرون الوسطى الفرسان المسلحين تسليحاً كاملاً وهم ممتطون صهوات جيادهم، ثم صارت بمرور الزمن تعني الشرف والشهامة والنخوة المتوقعة من الفرسان، وأخيراً صارت في مدلولها العام تعني الأدب.<sup>(3)</sup>

ويمضي قائلاً: (وما يؤيد ذلك أن الشعراء سعوا في طلب المذاهب والقيم، إذ أحسوا في الفروسية طاقة يخرجون بها من قيود التكهن ثم لا يكونون مع ذلك بعيدين عن مكان السيادة، فإنهم إن أقبلوا على تجارتهم فيها يتغنون بها، ويبثون نبأها بين مجتمعهم، ويعظمون من شأنها. ولقد ارتاحوا للفروسية دهرًا طويلاً لما كانوا بها في منزلة وسط بين الدين ذي الرهبوت والرياسة ذات الوقار).<sup>(4)</sup>

إن الحديث عن الفروسية بلا شك يقودنا إلى الحديث عن الفارس وقيمه وأخلاقه، فقد كان المجتمع آنذاك يزن الفارس بموازين دقيقة ليس فيها مجال للمجاملة والغش، فالشجاعة، والصبر، والثبات والمروءة، ونصرة المستغيث الملهوف، والكرم، والأمانة، وغيرها من الصفات الكريمة كانت مدارج الفرسان إلى السمو فوق مراتب الفروسية.

إذن فالفروسية عند الجاهليين لم تكن مقتصرة على الحرب والقتال فقط، وإنما شملت المثل العليا، والأخلاق الفاضلة، وذلك لأن شخصية الفارس تلمي عليه أن يكون إنساناً سامياً بأخلاقه إلى جانب بطولته، ومن ثم فإن أخلاق الفرسان هي الأخلاق التي سعى إليها العرب جميعهم. فنادوا بالكرم وعزة النفس. ودفع الظلم والضييم عن الآخرين، فضلاً عن الأمانة، وكره الغدر ونقض المواثيق، واحترام حرمة الجار وجواره في ماله، وولده، وأهله يقول عنتر بن شداد:

أغشى فتاة الحَيِّ عندَ حليلها  
وأغضُّ طرفي ما بدت لي جارتِي  
وإذا غزا في الجيش لا أغشاهَا  
حتى يوارِي جارتِي مأواها  
أني أمرؤٌ سَمَّحُ الخليقة ماجدٌ  
لا أتبع النفسَ اللّجوجَ هَواها<sup>(5)</sup>

ومن ذلك قول حاتم بن عبد الله الطائي:

وما تَشْتَكِي جَارِي غير أَنَّهَا  
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَا أُزْوَرُهَا  
سَيَبْلُغُهَا حَيْرِي وَيَرْجِعُ بَعْلُهَا  
إِلَيْهَا وَلَمْ يُقْصِرْ عَلَيَّ سُتُورُهَا<sup>(6)</sup>

ما أوردته من شاهدين لشاعرين من شعراء الجاهلية مثلاً لنا دليلاً بيّناً، ورسالة موجزة أوضحت ما في ذلك المجتمع من قيم مثلى، وأخلاق فضلى سادت فيهم على جاهليتهم المعرقة في الضلال الروحي، وأعتبرهما إطناباً لما أوجزه النبي «صلى الله عليه وسلم» في قوله (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)<sup>(7)</sup>. ومما لا يخفى على مطلع، علاقة الفروسية بالشعر، ومن الشعراء من صنّف ووُضع تحت مظلة الفرسان، ولوائها، كعنزة بن شداد، ولبيد بن أبي ربيعة، ودرديد بن الصمة وعروة بن الورد، وعامر بن الطفيل، وغيرهم من الشعراء الفرسان.

ولعبد الله الطيب رأي فيما آلت إليه الفروسية في آخر أمرها حيث يقول: (إن الفروسية آخر أمرها صارت مذهباً محافظاً ذا رسوم وطقوس وقيود، وأصبح غير عسير على الكريم من القوم أن يكون فارساً بطلاً من غير أن يكون شاعراً خالصاً للشعر، بل لعل من لم يكن شاعراً من القوم قد كان حريّاً أن يكون أقوم بواجب الفروسية ورسمها من الشاعر، لما تقتضيه طبيعة الشعر من كراهة المحافظة، ومن جنوح إلى الحرية والانطلاق)<sup>(8)</sup>.

ويشير أيضاً إلى الشعراء الصعاليك أنهم مجموعة من الفرسان أخلصوا لمحض الصلعة ويضيق مذهب الفروسية أو حدود القبيلة بهم، وأنهم عمدوا إلى أن يضيفوا على قيم الصلعة بهاءً أشد من بهاء قيم الفروسية، وكأنما راموا أن يجعلوا منها مذهباً هو فروسية الفروسية.<sup>(9)</sup>

كان المجتمع الجاهلي مسرحاً صادقاً، لما اعتري ذلك العصر من حروب، وغارات، وتنازع بين القبائل إما لأخذ بثأر أو تنافس على مرعى. ليعكس بدوره الجانب الآخر للفروسية من شجاعة وصبر وثبات عند لقاء العدو، وإغاثة لمستغيث في الحرب أو غيرها، وفوق ذلك كله الهمة والنشاط في ذلك يقول طرفة:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى خَلْتُ أَنِّي

عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدْ<sup>(10)</sup>

ومن ذلك أيضاً يقول الشاعر:

وَإِذَا الْأُمُورُ تَعَاظَمَتْ وَتَشَابَهَتْ  
وَهُنَاكَ يَفْتَرُونَ أَيَّنَ الْمَفْرَعُ؟

كُنَا فَوَارِسَهَا الَّذِينَ إِذَا دَعَا دَاعِي  
الصَّبَاحُ بِهِ إِلَيْهِ تَفْرَعُ<sup>(11)</sup>

ومن صور الفروسية عند العرب، الهمة في إغاثة الصريح، والصريح هو الذي يأتي القبائل معلناً حاجة قومه للنصرة، والنجدة من مخالفيهم، فيصبون مشمرين عن ساعد الجد، راين على أفراس كأنها عقبان. يقول سلامة بن جندل:

كُنَا إِذَا مَا أَتَانَا صَارْحُ فَرَعُ

كَانَ الصَّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَابِيْبِ

وَشَدُّ كُورٍ عَلَى وَجْنَاءِ نَاجِيَةِ

وَشَدُّ سَرَجٍ عَلَى جَرْدَاءِ سَرْحُوبٍ<sup>(12)</sup>

وقول (قرع الظنايب) كناية عن الهمة والنشاط لنصرة المغلوب، ويقال: قد قرع ظنوبه لهذا الأمر، أي عزم عليه. فهم عند الفرع يتنافسون لنصرة الصارخ على أفراس قد اكتمل فيها حميد الخصال. ومن ذلك أيضاً ما ذكره عمرو بن معد يكرب رداً على عاذلته مفتخراً بقيم مثلت الفروسية مجتمعة فيه، من كرم، وصبر، وهمة في النجدة وحلم، وصبر في اللقاء، قال:

أعاذلُ شكّتي بزّي ورمحي      وكلُّ مقلّص سلس القياد  
أعاذلُ إنّما أفني شبّابي      ركوبِي في الصريخ إلى المنادي  
مع الأبطال حتى سُلّ جسمي      وأقرح عاتقي حملُ النّجاد  
ويبقى بعد حلم القوم حلمي      ويفنى قبل زاد القوم زادي<sup>(13)</sup>  
(ولعل دريد بم الصمة حين أجاب أخاه، عبد الله كان دافعه أكبر وأقوى، واجتمعت فيه -وقتنّد-  
دوافع الفروسية الواجبة وفطرة حب السلامة لأخيه، فالمستغيث أخوه حين قال:

دعاني أخي والخيّل بيني وبينه      فلمّا دعاني لم يجديني بقعدِ  
فجئت إليه والرماح تنوشه      كوقع الصياعي في النسيج المُمَدِّدِ  
فطاعت عنه الخيل حتى تنهت      وحتى علاني كل أشقر اللون مزبدي<sup>(14)</sup>  
وعنّرة حين نودي لم يتغافل ويتصامم عن داعية، فكانت اجابته له نصرةً وكشفاً سريعاً للكرب الذي  
كان فيه، حيث عطف نحوه جواده فكفاه عدوه. وكان رده أبلغ من أي رد:

ومكروپٍ كسفت الكرب عنه      بضربة فيصلٍ لمّا دعاني  
فلم أمسك بسمعي إذ دعاني      قد أبان له لساني  
فكان اجابتي أيّاه أنّي      عطفت عليه خوار العنان  
بأسمرٍ من رماح الخطّ لذنّ      وأبيض صارم ذكر يمان<sup>(15)</sup>  
من مظاهر الفروسية الافتخار بمقارعة الخصوم، والقدرة على القتال، ومهارتهم حرية، فهم يقاتلون  
العدو راجلين أو راكبين على خيولهم التي اعتادت على التلاحم واقتحام الهيجا يقول قائلهم:

كلّا زعمتم بأنّا لا نقاتلكم      إنّنا لأمثالكم يا قومنا قُتُلُ  
قالوا: الركوبُ فقلنا: تلك عادتنا      أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ<sup>(16)</sup>

أبت نفسي إلا أن أقف عند هذه النقطة تحديداً، وأشير إلى شجاعة الصحابة رضوان الله عليهم، وفروسيّتهم، ومهارتهم في فنون القتال وصبرهم عليه، ولا أظن أن المقارنة تحسن في هذا الموضوع بين الفرسان  
المقاتلين في الإسلام والفرسان في الجاهلية، فالدوافع في الإسلام كانت أسمى وأجل، والغاية التي يدخلون من  
أجلها القتال أعظم. أورد صاحب الأقوال الكافية والفصول الشافية هذه الفقرة: (كان أمير المؤمنين علي بن  
أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه، يقاتل فارساً وراجلاً، وحكي عن بعضهم قال: قلتُ لأمير المؤمنين: من  
أشجع الناس؟ قال: ابن صفيّة، يعني الزبير، قال: فأتيّت الزبير فقلت له: من أشجع الناس؟ قال: الطهر بن  
فاطمة يعني علياً، إلا أنه لا يقاتل إلا راجلاً، فأتيّت علياً فقلت له بما قال الزبير، فقال:

لم يطيقوا أن ينزلوا فنزلنا      وأخو الحرب من أطاق النزول  
قال فرجعت إلى الزبير فأعلمته بما قال أمير المؤمنين، فقال صديق، هو والله أشجع منّي فارساً

وصل بعض الفرسان الجاهليين إلى حقيقة كانت وراء تلك الشجاعة والإقدام، وسبباً مقنعاً للثبات ومانعاً من الفرار، وهي علمهم وإيمانهم بحتمية الموت، وإنه لا مفر منه، وبما أن الموت كذلك فما من داعٍ إلى الحرص على الحياة، فإذا لم يكن تفادي الموت ممكناً فإن الخوف منه عبث لا طائل من ورائه. وإيمانهم هذا على القدر الذي كان الجاهليون يفهمونه من توحيد فطري. يقول الحسين بن حمام.

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد      لنفسي حياة مثل أن أتقدما  
فلمست ممتاع الحياة بسببة      ولا مبتغ من رهبة الموت سُلماً<sup>(18)</sup>  
ومن ذلك أيضاً ما قاله زهير بن أبي سلمى في المعنى حين قال:  
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه

ولو رام أسباب السماء بسُلماً<sup>(19)</sup>

وعمر بن الإطنابة، كان أكثر واقعاً وتصويراً، فلم ينس أن يلوذ بنفسه إلى النفس البشرية التي تحب الحياة، فيدخل في نزاع بينه وبين نفسه المحبة للحياة، ولكن ينهاها عن الفرار ويضعها بين خيارين لا ثالث لهما إما الصبر ونيل الحمد أو الموت حين قال:

أبست لي همتي وإني بلأبي      وأخذني الحمد بالثمن الرِّبيع  
وإقدامي على المكروه نفسي      وضربي هامة البطل المشيح  
وقولي كلما جشأت وجاشت      مكانك تُحمدي أو تستريحي<sup>(20)</sup>

ودريد بن الصمة الذي كانت دوافعه أكبر للثبات فضلاً عن شجاعته وكونه أحد الفرسان، فثباته لنجدة أخيه عبد الله كانت نابعة من فطرة الأخوة، وإيمانه بحتمية الأقدار، وأن الخلد لم يكتب لإنسان قط وذلك قوله:

فطاعنت عنه الخيل حتى تنهت      وحتى علاني كل أشقر اللون مزبد  
طعان أمري آسى أخاه بنفسه      ويعلم أن المرء غير مُخلد<sup>(21)</sup>

إذن فالصبر عند اللقاء والثبات كانت دوافعه في الجاهلية إما حمداً وفخراً تسير به الركبان في مجامعها، أو موتاً بطعم النصر. لذا نجد الفرسان الذين يفرون من اللقاء كانوا يسوغون مبررات لذلك الفرار حتى يخرجوا أنفسهم من ذم لاحق باق يتوارثه الأبناء وهذا ما نتطرق إليه إن شاء الله تعالى في المحور اللاحق.

نصل أخيراً لإثبات حقيقة أن الفروسية مسلمة للعرب، لا ينازعهم فيها إلا جاهل، ولا ينكر ذلك إلا حاسد أو متعصب لباطل، وقد خلب الفرسان العرب بفروسيتهم وأدابها هذه ألباب الشعوب الأوربية التي اتصلت بهم في القرون الوسطى، سواء عن طريق الحروب الصليبية في الشرق، أو عن طريق صقلية والأندلس، فقد أكد الباحثون الغربيون خلال دراساتهم وأبحاثهم أن أساس وأصل الفروسية عند الغربيين كان صدى للفروسية العربية. قال العلامة نيكلسون: (من الممكن أن تتبع فروسية العصور الوسطى، ونرجعها إلى بلاد العرب الجاهلية، لأن شهامة الفرسان، ومغامراتهم لإنقاذ العذارى من السبي، والمساعدة التي كانت تقدم في كل مكان للنساء المحتاجات إلى المساعدة كل هذه الصفات عربية، وقد أطلق عليها في أوروبا كلمة

نبل أو بطولة Chivalry، والصلة وثيقة بين هذه الأعمال المجيدة والفرار، ذلك البطل النبيل الشريف Chivalrous، لذلك اقتزن الشعر بالفروسية في أوروبا كما اقتزن عند العرب، بل أصبح شرطاً من شروطها، وصار لزاماً على الفرسان أن يقرضوه.<sup>(22)</sup>

وقد تحدث الكاتب الفرنسي (غوستاف لوبون) في كتاب (حضارة العرب) عن قواعد الفروسية عندهم فقال: (للفروسية العربية شروطها كما للفروسية الأوربية التي ظهرت بعدها، فلم يكن المرء يعد فارساً إلا إذا تحلى بالصفات التالية: الصلاح، والكرامة، والفصاحة، والقوة والمهارة في ركوب الخيل، والملكمة الشعرية، والمقدرة على استعمال السيف والرمح).<sup>(23)</sup>

### المحور الثاني: مسوغات الفرار عند العرب الجاهليين ودوافعه

الفرّ والفرار، الروغان والهرب<sup>(24)</sup> وفرّ يفرّ فراراً. هرب<sup>(25)</sup>، ورجل، فرور، وفرار غير كرار<sup>(26)</sup>، ويتفق هذا المفهوم مع الهرب، بل هو مرادفه. فالهرب هو الفرار: (وهرب يهرب هرباً وهروباً. فر ويكون ذلك للإنسان والحيوان)<sup>(27)</sup> ومن ذلك قول عنتره بن شداد في وصف الفارس الذي قابله في المعركة، حين أضى الشاعر على الفارس صفات كريمة برهن بها أنه لم يقابل عدواً هيناً سهلاً؛ ليكسب فهره قوة وصدفاً

ومدحج كره الكماة نزاله  
لا ممعن هرباً ولا مستسلم<sup>(28)</sup>

إن أمر الفارس في أي حرب من الحروب بلا شك ينتهي إلى ظفر أو هزيمة، فإذا ظفر ملأ الجو هتافاً وضجيجاً، وإذا كان من الذين لا يبترهم النصر فإنه يكتفي بذلك البشر والطلاقة التي تعلو وجوه المنتصرين، وإذا انتهى أمره إلى هزيمة فإنه يرجع منكس الرأس، منقبض الأسارير؟ ما إذا كان من الذين يؤمنون أن الهزيمة خطوة في طريق النصر فإنه بلا شك يعود وعلى وجهه ترسم علامة الرضا من النفس؛ وكأنه يؤمن بأن كل ما عليه الأخذ بالأسباب والإقدام وليس عليه إدراك النجاح؛ فلكل واقعة ظروفها وأحداثها وتراه راضياً حتى إذا غمت نفسه عليه ودفعته للفرار مؤمناً بأن الفرار من دواعي الحرب والخطط الحربية، فالفرار يعرف متى يكرّم ومتى ينجو ومتى يفر إن دعا داعي الفرار، فهنا يصرّح به علانية في شعره كقول عامر بن الطفيل واصفاً إفلاته يوم الرقم.

نَجوتَ بَنصِلِ السَّيفِ لا غِمَدَ فوقَه

وسرّج على ظهرِ «الحمالة» قاتر<sup>(29)</sup>

فلو أنها تجري، إذن للحقتها

ولكنها تهفو بتمثال طائر

والحمالة فرسه التي نجا عليها وعرفت بالسرعة، والعنق، وهي أم المرتجز فرس النبي «صلى الله عليه وسلم» وإنما سُمي بذلك لحسن صهيله.<sup>(30)</sup>

ومن ذلك قول مالك بن أبي كعب متحدثاً عن قتاله في الحرب، ونجاته منها، لكون النجاة لا مغبةً فهي من دواعي الحرب وظروفها.

معاذ إلهي أن تقول حليلتي  
ألا فرّ عني مالك بن أبي كعب  
أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا  
وأنجو إذا عمّ الجبان من الكرب<sup>(31)</sup>

وقال زيد الخيل:

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً وأُنجو إذا لم ينجُ إلا المكيُّ<sup>(32)</sup>  
النجاة والمحافظة على النفس من الهلاك نمط من أُمط البطولة وضرب من ضروبها كقول الحارث بن وعلة عند فراره يوم الكلاب الثاني:

فدى لكما رجلي أُمي وخالتي غداة الكلاب إذ تحز الدوابر  
نجوت نجاءً لم ير الناس مثله كأني عقاب عند تيمن كاسر  
يقو لي النهدي: إنك مردفي وكيف رادف الفل أمك عابر  
يذكرني بالرحم بيني وبينه وقد كان في نهد وجرم تدابر<sup>(33)</sup>

إذن فالنجاة عندهم فن من فنون اللقاء، لا يدركها إلا كَيْسُ فطن حاذق ماهر بشئون الحرب كرها وفرها. ومنهم من يقرأ أحداث المعركة فإذا رأى الدائرة عليه، وعدم تكافؤ الفريقين فرّ ونجا بنفسه متوعداً عدوه بيوم تآر يكون فيه التكافؤ في العدد والعدة، قال الحارث بن هشام:

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي بأشقر مزبد  
فصدت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد  
وعلمت أني إن أقاتل واحداً أقتل، ولا يضرر عدوي مشهدي<sup>(34)</sup>

إذن رغم شجاعة العرب المفرطة، وأقدامهم في الحروب، إلا أن الحرب تستوجب في بعض الأحيان الفرار، خاصة إذا شعر الفارس بأن الدائرة تدور عليه، وإن بقاءه في المعركة لا يكسبه إلا القتل، أو الأسر، لذا نجد بعض الفرسان يدافعون على فرارهم هذا ويسبغون عليه طابعاً من الشرعية، ويدعمون ذلك بالحجج والبراهين، يسوغون لأنفسهم ذلك دون أن يجدوا في دفاعهم أمراً يدعو إلى الخجل وقولهم «إن السلامة إحدى الغنيمتين» «والفرار في وقته خير من الثبات في غير وقته».<sup>(35)</sup>

يقول العوام بن شُوذب الشيباني:

ففر أبو الصهباء إذ حمس الوغى وألقى بأبدان السلاح وسلما  
وأيقن أن الخيل إن تلتبس به يقظ عانياً أو يملأ البيت مأمها<sup>(36)</sup>

وقد يعترف الفارس بهربه وفراره ولا يرى فيه مثلبة، عذره في ذلك وحجته عدم تكافؤ الفريقين - كما ذكرت سابقاً - فخصمه وعدوه قابله بكامل عدته وعتاده ورجاله، فتفاجأ بذلك وفزعت نفسه من نزاهم، فلاذ بالفرار، فعامر بن الطفيل فارس قومه يفر من وجه أعدائه بني الحرث يوم (فيف الرياح) ويعتذر من ذلك ويعلل لفراره بكثرة جيش أعدائه قوله:

أقول لنفس لإيجاد بمثلها أقلّي المراح إنني غير مُقصر  
فلو كان جمع مثلنا لم نبالهم ولكن أتتنا أسرة ذات مفخر  
فجاءوا بفرسان العريضة كلها وأكُلب طُراً في لباس السُنور<sup>(37)</sup>

تأبط شرّاً، حين ذكر نجاته من قبيلة بجيلة هو وصاحبيه، أراد أن يفخر بهذه الحادثة التي لها وقع كبير في حياته أبانت صبره وقوة تحمله وسرعته وشدة عدوه، فليس فيها ما يعيبه فبقاؤه في الأسر والقيد يعني الموت والتنكيل، ففخر بهذه النجاة لأنها كانت عدواً على الأقدام.

نحوثُ منها نجائي من بجيلة إذ  
ليلة صاحوا وأغروا بي سراهم  
كأنما حثحثوا حُصًا قوادمه  
لا شيء أسرع مني ليس ذا عذر  
ألقيتُ ليلة خَبِتِ الرَّهْطِ أرواقي  
بالعيكنتين لدى معدي ابن براق  
أو أم خشفٍ بذِي شَثٍّ وطُبَّاقٍ  
وذا جناحٍ بجنب الرِّيدِ خفاق<sup>(38)</sup>

كما يرى بعض الفرسان في الفرار شراً لأبد منه، فهم شجعان ولكنهم يرون الاستمرار في الحرب والثبات في غير وقته لا يعني سوى هلاكهم وأسرهم، فيلجأون إلى الهرب لكونه أهون المصائب. ولكن سرعان ما يقعون في هم أكبر، وهو التنازع النفسي، والنقد الذاتي وتأنيب الضمير ولومه، فتجدهم يبحثون عن أسباب مقنعة يقنعون بها أنفسهم أولاً لإخماد نار اللوم التي تأججت دواخلهم، فيسوغون الحجج والبواعث، ولا يفتأون يهددون ويتوعدون بالأخذ بالثأر، والانتقام لاسترجاع ما فاتهم من عز ونصر. فهم يعترفون بأن الفرار خزي وعارٌ، وإن كان سبباً في نجاتهم، يقول عمرو بن معد يكرب معللاً لفراره من لقاء بن عبس، راداً على نفسه التي تحرقه باللوم قائلاً:

أجاعلُهُ أم النوير خزاية  
لقيتُ أبا شأس وشأساً ومالكاً  
فلما دخلنا تحت فيء رماحهم  
وليس يعاب المرء في جبن يومه  
عليّ فراري إذ لقيتُ بني عبس  
وقيساً فجاشت من لقاءهم نفسي  
خبطت بكفي أطلب الأرض باللمس  
إذا عُرِفَت منه الشجاعة بالأمس<sup>(39)</sup>

ومنهم من يرى أن القتل والأسر أهون على نفسه من الفرار والهرب، ففي الهرب والفرار خزي يلازم صاحبه أبد الدهر، لذا لا يجنحون إلى الفرار، وإن دعت دواعيه، فها هو عبد يغوث بن وقاص الحارثي. ليلة أسره بنوه تميم، وأبوا إلا أن يقتلوه بالنعمان بن جساس، وقد عذبه عذاباً شديداً، وشدوا لسانه حتى لا يهجوهم، فلما لم يجد من القتل بداً طلب إليهم أن يطلقوا عنه لسانه؛ ليهجو ويذم أصحابه وقومه الذين تركوه لذل الأسر، وقذفوا به بين أنياب الموت، ولومهم على فرارهم يوم الكلاب، فهو إن أراد فراراً مثلهم لفر، وفرسه قادرة على النجاة به؛ لأنها نهدة كريمة سريعة، ولكنه يرى في الفرار خزياً أعظم من الأسر، فقرر البقاء والثبات ليحمي ذمار قومه وعشيرته. قوله:

فيا راكباً إمّا عَرَضْتُ فَبَلَّغْتُ  
أبا كربٍ والأيمهين كليهما  
جزى الله قومي بالكلاب ملامةً  
ولو شئتُ نَجَّتني من الخيل نهدةً  
ولكنني أحمي ذمار أبيكم  
نداماي من نجران أن لا تلاقيا  
وقيساً بأعلى حضرة اليماني  
صريحهم والآخرين المواليا  
تري خلفها الحُوَّ الجياد تواليا  
وكان الرِّمَاح يخططن المحاميا<sup>(40)</sup>

وقد استفاد بعض الفرسان من معرفتهم بسلوك الخيل، وسياستهم إليه، ومعرفة طبائعه، فكان الواحد منهم إذا ضاق به وغشيته الرماح، لم ير مخرجاً أمامه، ولا مغيثاً إلا الفرار؛ استحث فرسه بضرب «قنبه»<sup>(41)</sup> على الفرار، وهذا ما قام به الأسمر بن أبي حمران عندما حاصر بنو مازن، وكان منقذه من ذلك الخطر خالته التي صاحب به: (أضرب قنبه، ففعل فوثب به، ولم يدرك ونجا).<sup>(42)</sup>

والخيل أيضاً تختلف أحوالها، فمنها الشجاع الشهم عند الحرب، الذي يركب ما قابله ولا ينهزم من

شيء يراه، ومنها الجبان الذي لا يكاد يثبت قوامه إذا دخل المعركة، ويكثر التقلب كالمتوقع للفرار، كما يرى في الرجل الجبان. ومن ذلك وصف مهلهل لشجاعة أفراسه وصبرها وثباتها في الحرب قائلاً:

محرمة أكفال خيلي على القنا  
فخيله تدمي مقبله غير مدبرة.

والحارث بن أوس بن عبد ود، يرى نجاهه من حربه مع بني يربوع سببها فرسه الذي أسرع به لينجيه من قتل محقق. ففرسه الذي يدعى (حومل) كان له حزم وسرعة:

ولولا حزم حومل يوم عُدِر  
لمزقتني وإياها السلاح<sup>(44)</sup>

ومن الفرسان من يسوغ لفراره من المعركة، ويتحجج بسبب نفور فرسه وحرانه أو جماعه، وكل هذه الصفات من طباع الخيل المذمومة، يقول في ذلك صاحب الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل: (الحران أقيح ما يكون، فإنه يحرن بفارسه في حومة الحرب، فيكون سبباً لتلفه، وهذا العيب قد تنفع فيه المعالجة وحسن الرياضة وقد لا تفيد، والجماع هو أن يركب الفرس رأسه ولا يبالي بالجماع، ولا يجذبه ويعض على شكائهم لجامه، والعرب تسميه (الخروط). أما النفور فهو فزع الفرس وخوفه من غبار المعركة وضجيجها ونيرانها وتلاحمها فيفر على عقبيه ولا يبالي بفارسه)<sup>(45)</sup> وأوردنا من هذا القبيل قول قبيصة بن النصراني واصفاً فرسه الذي نفر وعزّه وابتعد به عن المعركة، محملاً أياه مغبة فراره وخزيته بعد أن ترك بسبب نفوره أصحابه في مأزق شديد وضيق. قوله:

ألم تر أن الورد عرّد صدره  
وأخرجني من فتية لم أرد لهم  
وعضّ على فأس اللجام وعزّني  
أحدت من لا قيئت يوماً بلاءه  
وحد عن الدعوى وضوء البوارق  
فراقاً وهم في مأزق متضايق  
على أمره إذ ردّ أهل الحقائق  
وهم يحسبون أنني غير صادق<sup>(46)</sup>

ومنهم من تحدّث نفسه على الفرار، وتغريه بالحياة، فيدخل في نزاع داخلي بينه ونفسه وذلك في لحظات القتال نفسها، فإذا تبع نفسه هرب، وإذا نهته نفسه، والزمها الصبر والثبات، أثبت رجله في مستنقع الموت وفاز بالحمد والرضا كقول عمر بن الاطنابة:

وقولي كلما جشأت وجاشت  
مكانك تُحمدي أو تستريحي<sup>(47)</sup>

ولربما كان هذا البيت سبباً في ثبات غيره من الفرسان من مواطن أخرى وأزمته لاحقة. ومن الفرسان من يحاور فرسه، ويحثه على البقاء والثبات. فعار الفرار إن وقع لاحق بهما الاثنان كليهما قال عامر بن الطفيل:

إذا أزور من وقع الرماح زجرته  
وأنبأته أن الفرار خزاية  
ألسنت ترى أرماعهم في شرعاً  
وأنت حصان ماجد العرق فأصبر<sup>(48)</sup>  
وقلت له أرجع مقبلاً غير مدبر  
على المرء ما لم يبئل جهداً ويعذر

وقد يلتزم الشاعر الحيات والإنصاف في قضية الفرار، فتكون وظيفته في هذه الحالة أشبه بوظيفة المؤرخ الذي يدون الأحداث دون أن ينعت القبيلة المهزومة بالجن والعار، مفتخراً في الوقت ذاته بقومه أو

## الفروسية عند العرب الجاهليين بين الثبات والفرار

بالجهة التي يميل إليها كقول خداش بن زهير يفخر بثبات قومه يوم شمظة على الرغم من قوة خصمهم فيقول:

بأننا يوم شمظة قد أقمنا  
جلينا الخيل ساهمة إليهم  
وقد حتموا القضاء ليجعلونا  
وقالوا: يالعمرو لا تفروا  
عمود المجد إن له عمودا  
عوابس يدرعن النقع قودا  
مع الإصباح جارية وثيدا  
فقلنا: لا فرار ولا صدودا  
عراك النمر واجهت الأسودا  
ولا كذيادنا غبقاً مذودا<sup>(49)</sup>

### الخاتمة:

إن الحرب بالنسبة للعرب كانت شراً لا بد منه، فالنفس البشرية جُبلت على حب الحياة والسلامة والمتعة والحرية، وكره الموت والهلاك والأسر. وأمر الفارس في المعركة بلا محالة ينتهي إما إلى ظفر أو هزيمة، قتل أو فرار. والعرب على شجاعتهم المفرطة، وحبهم للمدح واكتساب صفات الفروسية، إلا أن النفس البشرية أحياناً تغلب على الفارس بأمرها وما خلقت عليه خاصة إذا رأى الفارس أن الدائرة تدور عليه فهو يفكر وهو هارب في تعليل يرضي به نفسه أولاً قبل إرضاء المجتمع. لذا نجده يتوعد بالتأثر، ويعلل لهذا الفرار بأسباب واقعية.

تمنيت أن يتاح متسع أكبر لهذا الموضوع حتى نغطي كل شاردة وواردة فيه، غير أن الالتزام بشروط النشر جعل التوسع فيه ضيقة لكن مع ضيق المساحة آمل أن تكون غطت الدراسة جزءاً كبيراً منه حيث خلصت الدراسة إلى:

أولاً: إن الفروسية عند العرب تجاوزت حداً بعيداً لتشمل قيماً وأخلاقاً أسمى إضافة إلى الحرب والقتال. لذا فهي مقرونة بالعرب ملازمة لهم إن لم تكن مقتصرة عليهم.

ثانياً: إن النفس البشرية تقحم الفرسان في نزاع كبير أثناء الحرب بين ثبات وفرار، ومحمدة ومذمة ومدح وهجاء فهم في جاهليتهم الأولى ليس لهم دوافع للثبات غير التي ذكرت. الأمر الذي اختلف في الاسلام اختلافاً جوهرياً كبيراً يبدأ بسبب الحرب نفسها، وينتهي بأن الفارس ينازع نفسه إما إلى جنة أو نار.

ثالثاً: اشترك الفرس مع فارسه في كل محمدة وشكر، ومذمة ولوم وكثيراً ما تجد الفرسان يخاطبون أفراسهم ويدعونهم للثبات، ويذكرونهم بنجابة العرق والأصل كقول عامر بن الطفيل:  
ألست ترى أرماحهم في شُرعا وأنت حصانٌ ماجد العرق فاصبر<sup>(50)</sup>.

رابعاً: ما زال موضوع الدراسة بكرة يمكن أن تكتب فيه دراسات أخرى بطرق شتى، يسعى الباحث إلى دراسته دراسة أدق وأشمل، يخصص لها كتاباً منفرداً إن شاء الله تعالى.

## الهوامش:

- (1) ابن منظور، لسان العرب، (مادة فرس).
- (2) عبد الله الطيب- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار جامعة الخرطوم للنشر- الطبعة الأولى- الكويت -1990م- ج3- ص854.
- (3) الإنترنت: منتدى الأدباء العرب، محاضرة عن الفروسية [www.alwaei.com](http://www.alwaei.com)
- (4) عبد الله الطيب- المرشد إلى فهم أشعار العرب- ص854.
- (5) عنتره بن شداد- ديوان عنتره بن شداد العبسي- دار بيروت - دار صادر للطباعة والنشر 1377هـ- 1958م، ص51.
- (6) الشمشاطي- الأنواء ومحاسن الأشعار: أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي- تحقيق د. محمد يوسف - مطبعة الكويت 1977م- ص243.
- (7) أبو داود- سنن أبي داود، أخرجه أبو داود والحاكم أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني- ب.د.ت، ص112.
- (8) عبد الله الطيب- المرشد إلى فهم أشعار العرب- ص856.
- (9) المصدر السابق نفسه، ص858.
- (10) التبريزي- القصائد العشر- معلقة طرفة بن العبد - إدارة طباعة المنيرية- دمشق 1352هـ- الطبعة الثانية، ص76.
- (11) الأنوار ومحاسن الأشعار، ص299.
- (12) الضبي المفضل بن محمد بن يعلي- المفضليات : تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد صارون- الطبعة الثالثة- دار المعارف - مصر 1964م، ص235.
- (13) علي بن داود يوسف الغسالي- الأقوال الكافية، والفصول الشافية في الفيل، تحقيق الدكتور/ يحي وهيب، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى، 1987م- ص512.
- (14) التبريزي أبو زكريا - شرح ديوان الحماسة للمؤلف يحي بن علي بن محمد الشيباني - دار الكتب العلمية - بيروت - 2000م - ج2 - ص157.
- (15) ديوان عنتره بن شداد - ص87.
- (16) الشمشاطي- الأنوار ومحاسن الأشعار- ص518.
- (17) الغساني- الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل، ص197.
- (18) الأنوار ومحاسن الأشعار، ص245.
- (19) التبريزي- شرح المعلقات العشر - معلقة زهير، ص125.
- (20) الخالديان - الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين - وزارة الثقافة السورية - 1995م - ج1 - ص18.
- (21) التبريزي - شرح الحماسة - ص158 وما بعدها.
- (22) الإنترنت، منتدى الأدباء العرب، محاضرة عن الفروسية [www.alwapi.com](http://www.alwapi.com)
- (23) نفسه.
- (24) ابن منظور - لسان العرب - مادة فرّ.

- (25)الصحاح مادة فرر.
- (26)اللسان مادة فرر.
- (27)ابن منظور - لسان العرب - مادة هرب.
- (28)التبريزي - شرح معلقة عنتره بن شداد - معلقته المشهورة.
- (29)الشمشاطي الأنوار ومحاسن الأشعار - ص 277.
- (30)ابن الكلبي - أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها - تحقيق المرحوم أحمد زكي - مطبعة دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة - 1424هـ-2003م، ص 19.
- (31)شرح التبريزي - الحماسة - ج 1 - ص 94.
- (32)نفسه ونفسها.
- (33)المفضليات - ص 327.
- (34)التبريزي الحماسة - ص 97.
- (35)الفكي الغرناطي- عبد الله بن محمد - كتاب الخيل - حققه محمد الخطابي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - 1986م - ص 124.
- (36)نفسه ونفسها.
- (37)ابن الكلبي- أنساب الخيل - يوم فيف الريح: بين بني عامر وقائل مرجح قوم الحرث بن كعب فُعُلب بنو عامر، وأصيب ابن الطفيل من عينه فوثب على فرسه ونجا- ص 64
- (38)المعلقات - ص 28.
- (39)الكلبي الغرناطي - كتاب الخيل - ص 158.
- (40)المفضليات - ص 157.
- (41)القنب: هو جراب قضيب الدابة، أو كل ذي حافرٍ، وصف أعضاء الفرس - الأقوال الكافية والفصول الشافية- ص 135.
- (42)الكلبي الغرناطي - كتاب الخيل - ص 108.
- (43)الكلبي الغرناطي - كتاب الخيل - ص 120.
- (44)ابن الكلبي - إنساب الخيل - ص 165.
- (45)النسائي - الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل - ص 416.
- (46)التبريزي- شرح ديوان الحماسة - ج 2 - ص 87.
- (47)نفسه ونفسها.
- (48)المفضليات - ص 363.
- (49)مؤيد البيزكي- البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - الطبعة الأولى - 2008م - ص 242.
- (50)المفضليات - ص 363

# اللغة العربية ودورها في بناء الحضارة والثقافة الإنسانية واقع وآفاق

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية الآداب واللغات

أ. قشيوش رشيدة

## المستخلص:

يتناول هذا المقال دراسة متواضعة حول أهمية اللغة العربية وبداية نشأتها ومدى تطورها، وأيضا مكانتها التي صارت إليها بعد ظهور الإسلام، إذ أنها صارت لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، بل لغة الدين بوجه عام، وبهذا فهي لغة متميزة تنفرد بخصائصها التي لا توجد في لغات أخرى، فمن خلال دراستنا لهذا البحث تطرقنا إلى توضيح ماهية اللغة العربية وصلتها بالحضارة والثقافة الإنسانية، فهي الحامل للمادي لهذه الحضارة والوسيلة الفعالة التي تربط بين الأجيال المتعاقبة، إذ أن بوساطتها تنتقل الخبرات والإنجازات العلمية والثقافية والحضارية بشكل عام.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية- الحضارة - الإسلام - لغة الدين- الثقافة الإنسانية.

**The Arabic language and its role in building civilization**  
**Human culture is reality and prospects**

**Abstract :**

This course deals with the study of modest about the importance of the Arabic language and the beginning of its inception and the extent of its development, and also its position, which became after the advent of Islam, as it became the language of the Quran and the Hadith, but the language of religion in general, and in this they are distinct language to implement properties that don't exist in other languages, it is through our study of this research we touched on explaining what the Arabic language and its link with civilization, culture, humanity, the physical condition of this civilization and an effective means of linking successive generations, as a reason to produce the experiences and achievements of the scientific and cultural in general.

**Key words:** Arabic language- civilization- Islam- language of religion- human culture.

**مشكلة الدراسة:**

والبحث في هذا الموضوع يطرح الإشكالية التالية:  
ما هو الدور الحضاري الذي قامت به اللغة العربية؟ أو بالأحرى هل لها صلة تربطها بحضارة الإنسان وثقافته.

هل اللغة البشرية هي أساس الحضارة الإنسانية؟ فما هي مميزاتها ومجالاتها؟  
فما هو الارتباط بين لغة العرب وحضارتهم؟

**أهمية الدراسة:**

أهمية موضوع الدراسة تكمن في أهمية اللغة العربية وعن تراثها اللغوي الأصيل، ومحل ما تقدم منميزات وتزيد أنها لغة الدين والقرآن الكريم والعلم والأدب ولغة الوطن والعروبة، ففي إحيائها إحياء الدين، في إهمالها إهمال لهذه الشعائر المقدسة وتهاون في شأنها.  
وتظهر أهمية الدراسة كذلك، أنّ اللغة العربية لها أهمية كبيرة في الثقافة والتراث والأدب العربي، لأنها تعتبر جزءاً من الحضارة العربية.

**منهج الدراسة:**

لتحقيق أهداف الدراسة، اعتمدت على المنهج الوصفي الذي يصف الحقائق ويناقشها دون فلسفة، أو محاكمة أو إقحام المنطق في مفهوم اللغة العربية وعلاقتها بالحضارة والثقافة الإنسانية.

## نتائج الدراسة:

وفي الأخير، استنتجت أن اللغة العربية مقوم أساسي من مقومات للثقافة العربية الإسلامية وبالتالي فهي منبع الحضارة الإنسانية. وهي لغة الإسلام، والقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، مما ساهم ذلك في تعزيز قيمتها ومكانتها عند العرب والمسلمين.

## تهديد:

اللغة العربية هي اللغة السامية التي حفظت وجودها، وهي لغة عالمية وفي الوقت نفسه، تعتبر لغة مقدسة على اعتبار أنها لغة القرآن الكريم، حيث لا تتم الصلاة والعبادات الأخرى في الدين الإسلامي إلا بإتقان اللغة العربية، حيث عملت طويلا على نقل تاريخ وثقافة الحضارات العربية عبر الزمن، وفي هذه السياق، تعتبر من أهم العوامل التي حافظت على توحيد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج ... ويمكننا القول، أما تعد من أعز اللغات من حيث المادة اللغوية فهي لغة إنسانية حيث تتميز بنظام صوتي و صرفي ونحوي وتركيب، ولألفاظها مدلولات مختلفة ... وفي ظل هذا الاهتمام، كان لانتشار الدين الإسلامي تأثيرا مباشرا وغير مباشر في رفع شأن ومكانة اللغة العربية، حيث أصبحت لغة العلم، والحضارة والثقافة والآداب السياسية لأزمنة طويلة في الديار التي حكمها المسلمون، فقد تحولت من لغة تختص بقبائل الصحراء إلى أمة إسلامية قادت الحضارة لقرون متتالية.

## تاريخ اللغة العربية:

اللغة العربية ذات تاريخ طويل، ترتبط بداياته بتكون العربية في إطار اللغات الأفروآسيوية، ويمضي تاريخها من الجاهلية إلى عصر الحضارة الإسلامية لتصبح أهم لغات الحضارة على مدى عدة قرون، ثم كان على العربية بعد مرحلة من الانحسار أن تعبر عن قضايا الحضارة الحديثة إلى أن أصبحت من أهم اللغات في العالم المعاصر<sup>(1)</sup>.

## انحدارها من الساميات:

اللغة العربية إحدى اللغات السامية، واللغات السامية فرع من أسرة لغوية كبيرة، هي الأسرة الأفروآسيوية، إن اللغويين المحدثين يقسمون اللغات المختلفة إلى أسر، فأسرة اللغات الهندية الأوروبية تضم عددا كبيرا من اللغات الهندية والإيرانية والأوروبية، أما الأسرة التي تنتمي إليها العربية فهي الأسرة الأفروآسيوية، وتضم عدة أفرع بكل منها مجموعة لغات<sup>(2)</sup>.

وبناء على ما تقدم، فاللغات السامية هي فرع كذلك من الأسرة الأفروآسيوية، ويضم هذا الفرع إلى جانب العربية عدد من اللغات التي كان لها شأن في التاريخ الحضاري للشرق القديم والوسيط. وهي أخت اللغات التي كان يتكلم بها الكلدانيون والآشوريون في العراق والسريانيون والفينيقيون في الشام والحبشة فيما وراء الساحل الغربي من البحر الأحمر -بحر القلزم، ولها صلة عظيمة جدا بلغة قدماء المصريين.

وكانت هذه اللغات في العصور الأولى متشابهة بحيث يعتبرن كلهن لهجات لغة واحدة: «هي اللغة الأولى القديمة التي انصهرت في هذه اللغات من بعد»<sup>(3)</sup>.

«ومن هنا استطاع سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام أن ينتقل بين العراق والشام ومصر والحجاز

وأن يتفاهم مع جميع سكان تلك الأقطار، إذ لم يكن يومئذ يبين لغاتها من فرق إلا كما يوجد الآن بين لهجات العربية في المغرب ومصر والشام وسائر هذه البلاد».

### اللغة العربية قبل الإسلام :

كانت العربية قبل الإسلام لغة محلية، يقتصر انتشارها على النصف الشمالي من الجزيرة العربية، ولذلك تسمى باسم اللغة العربية الشمالية، وقد وصلت إلينا العربية الشمالية في نقوش قديمة، وعرفناها أيضا في الشعر الجاهلي، ثم في القرآن الكريم وحفظت لنا كتب اللغة ملامح من لهجاتها القديمة<sup>(4)</sup>.

يبين لنا د. عبد الغفار حامد هلال في كتابه أصل العرب ولغتهم بين الحقائق الأباطيل، حيث استنتج في بحثه الطويل في فقه اللغة العربية إلى أن اللغة العربية هي إحدى فروع الشجرة التي خرجت منها اللغات الهندية الأوروبية - فالعرب موجة متأخرة جدا من الموجات التي نزلت شبه الجزيرة من طريق بادية الشام حاملة معها لغتها القوقازية المتفرعة من المجموعة الهندية الأوروبية، ويرى أن ينسحب هذا الحكم على بقية اللغات السامية أخوات العربية<sup>(5)</sup>، فيقول:

«وإذا اعتبرنا اللغة العربية نموذجا لبقية اللغات السامية خرجنا بأن ما يسمونه مجموعة اللغات السامية هو أحد الفروع الرئيسية التي خرجت من هذه الشجرة، ثم تفرعت إلى فروع ثانوية كانت العربية أحدها<sup>(6)</sup>». ويرجع ذلك الاهتمام البالغ باللغة العربية - في حقيقة الأمر - إلى تلك المكانة التي صارت إليها بعد ظهور الإسلام، إذ أنها صارت لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، بل لغة الدين بوجه عام، وصار اهتمام العلماء بها عن رغبة قوية في معرفة أسرار تلك اللغة التي نزل بها القرآن، فسعوا إلى حفظ تراثها اللغوي والدفاع عنه، وكان الناس على عهد الرسول يسألون فيما صعب عليهم فهمه من ألفاظ القرآن، ولعد وفاته كانوا يرجعون إلى أهل العلم بحثا عن تفسير كلمة أو فهم معنى مستغلق، وكانوا لا يتحرجون من التنقيب في الشعر حتى يعبروا على ضالتهم ويصلوا إلى هدفهم، وتنقل المصادر عن ابن عباس، ترجمان القرآن، عبارات تؤكد هذا النهج، إذ ورد فيها قوله: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا إلى ذلك فيه. وانطلاقا من هذا، فالعربية ليست كما يدعي بعض اللغويين العرب، لغة متميزة تنفرد بخصائصها لا توجد في لغات أخرى، ومن جهة أخرى ومن جهة أخرى لا يمكن وصفها بالاعتماد على النظريات «العربية» التي بنيت لوصف لغات أوروبية، بل العربية لغة كسائر اللغات البشرية<sup>(7)</sup>. وضمن هذا الاهتمام، فاللغة العربية بصفتها «لغة» تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشترك معها في عدد من الخصائص (الصوتية والتركييبية والدلالية)، ومن البديهي تضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات. ونذكر هاهنا أيضا أنها بصفتها «عربية» تختص بمجموعة من الخصائص التي لا توجد في كل اللغات، وإما توجد في بعض اللغات. والأمر المؤكد هو كونها «عربية» لا يعني أنها تنفرد بخصائص لا توجد في أية لغة من اللغات، ومما لا شك فيه هو لا نكاد نجد ظاهرة في اللغة العربية إلا ونجد لها مثيلا في لغة أو لغات أخرى، هند أوروبية كانت أو غير هند أوروبية<sup>(8)</sup>.

فالإسلام هو شرعة هذه الأمة ومنهاجها كما أوحاه الله إلى رسول المبعوث إليهم رحمة منه وفضلا، يأخذون ما آتاهم، وينتهون عما نهاهم، يتخذون وحيه المجموع في كتابهم إماما، عرفوا وجه الحكمة فيما يأخذون وما يدعون أو لم يعرفوه، إيماننا وتسليما «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»<sup>(9)</sup>.

## تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً :

أما الحضارة (بفتح الحاء وكسرهما) فهي: -لغة- الإقامة في الحضر، والحضر خلاف البدو، وبهذا المعنى استعملها القطامي الشاعر في قوله، مفتخراً ببدواة قومه، مستخفاً بساكني القرى والمدن<sup>(10)</sup>:

فمن تكن الحضارة أعجبتة      فأأي رجال بادية ترانا !؟.

والمعنى الاصطلاحي للحضارة، هي على كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلاً فخلقاً، مادة وروحاً، دنيا وديناً.

فهي -إذا في إطلاقها وعمومها- قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان، وما صورت به علائقه بالكون وما وراءه، وهي في تخصيصها بجامعة من الناس أو أمة من الأمم -فهي تعد تراث هذه الأمة أو الجماعة على وجه الخصوص، الذي يميزها من غيرها من الجماعات والأمم<sup>(11)</sup>. وفي ظل هذا الاهتمام هي نظير المدينة، التي هي في أصل الاستعمال سكني المدن، والتي تقابل الكلمة الأوربية (Civilisation). وبناء على ما تقدم، فالحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران، زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم، في القلة والكثرة تفاوتاً غير منحصر، ويقع فيها عند كثرة التنفن في أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الضائع، ويحتاج كل صنف منها إلى القومة عليه، والممرة فيه<sup>(12)</sup>، وبقدر ما تزيد من أصنافها تزيد أهل صناعتها، ويتلون ذلك الجيل بها، ومتى اتصلت الأيام وتعاقت تلك الصناعات، حذق أولئك الصناعات في صناعتهم، ومهروا في معرفتها. وبناء على ذلك، فالعصار بطولها وانفساخ أمدتها وتكرر أمثالها تزيد استحكاماً ورسوخاً ... وهذه هي الحضارة<sup>(13)</sup>.

ويمكن القول، حينئذ أن الحضارة هي تفنن في الترف وإحكام الصانع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله<sup>(14)</sup>.

## مفهوم الحضارة في الإسلام :

ولقد عمد الإسلام إلى إقامة مفهوم كامل للحضارة: قوامه الحركة المادية والمعنوية في نفس الوقت وحياطة التقدم المادي بالأخلاق والتقوى وتوجهه إلى صالح الإنسانية وحماية المجتمعات من الفساد والانحراف.

فالحضارة التي أنشأها الإسلام جمع الروحية والمادية، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة، وقد رسمت حضارة الإسلام منهجاً ثابتاً قوامه النظرة الإنسانية وطابع التوحيد والعدل والإخاء واستصفت كل ما كان في تراث الأمم والحضارات القديمة فصهرت الجوانب الصالحة منه في بوتقتها، وطلت تقود العالم كله بسلاح الخلق والتقوى والرحمة والإخاء، ولم تستطع المؤثرات الطارئة أن تغير من خصائص الإسلام وقيمه الإسلامية، وهذا الترابط بين التقدم وبين المعنويات والماديات والمحاذير القائمة كالحدود والأخلاق والضوابط دون أن يفقد التقدم أخلاقيته أو تقواه، هو وحده نقطة الخلاف بين الحضارة في مفهوم الإسلام والحضارة في مفهوم الغرب، وهذه هي نقطة الاختلاف بين الحضارة في مفهوم الإسلام والحضارة في مفهوم الغرب<sup>(15)</sup>.

ويمكن القول حينئذ، أن الحضارة الغربية وريثة الأصول الإسلامية لم تلبث أن ارتدت إلى أصولها اليونانية الوثنية والرومانية العبودية، ووصلت بين الروح والمادة، والعقل والقلب والدنيا والآخرة وأعلت الجانب المادي وحده أعلاء الحامل واعتبره الأساس الوحيد لبناء الفكر والمجتمع، وانتقصت كل ما يتصل

بالدين والأخلاق والمعنويات والقيم الروحية وحررت الحضارة من ضوابطها وحدودها وهدفها الأصيل الذي يرمي إلى إسعاد البشرية عامة وليس إسعاد فئة خاصة أو أمة خاصة أو عنصر خاص<sup>(16)</sup>.

وبناء على ما أومأنا إليه أنفاً، فقد تتمثل مقومات الحضارة الإسلامية في عناصر أساسية أهمها: قامت الحضارة الإسلامية على أساس مفهوم الإسلام، وقد أمدتها القرآن بالروح والهدف ومؤشرات الحركة وضوابط العمل وأعطاهما القوة والتماسك، والموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد والترف معاً والتحرر من الجمود والتحلل معاً، والجدير بالملاحظة فقد اتسمت الحضارة الإسلامية بالسماحة والإنسانية والعالمية فقد حرصت على حماية حرية غير المسلمين واحترمت شعائرهم وفتحت أمامهم أبواب العمل، وقد تمثلت مفهومها أساسياً هو طابعها الأصيل: هو الجمع بين الدنيا والآخرة وبناء الحياة والعمل فيها على أساس من الأخلاق والتقوى والإخاء الإنساني والرحمة<sup>(17)</sup>، ولقد ربطت العالم بالدين والسياسة بالأخلاق. كما اتسمت بالبساطة والبعد عم التعقيد والصراع.

فالإسلام عبادة ومعاملة، وهو نظام مجتمع ومنهج حياة، فيه رحابة التقبل لكل جديد متى كان صالحاً، والتفتح على آفاق الأمم والحضارات يأخذ منها ويدع ويعطيها أيضاً<sup>(18)</sup>. ومن هنا نستنتج أن حضارة الإسلام كانت حضارة جامعة وحضارة وسطية ولها أساس ثابت مستقبل للمتغيرات، فلقد كرمت العلم وشرفت العقل ولم تنس تكامل القلب والعقل، واتسمت بطابعها المميز الذي لا ينصهر في الحضارات أو العقاد، وكذلك حافظت على مقوماتها الأصلية.

### اللغة العربية والحضارة :

إن الدور الحضاري الذي قامت به اللغة العربية، كما أن هناك كتباً تناولت هذا الموضوع بشيء من الدقة والأصالة، والشرح وبالحجة اليقين ... إنما الذي يجب أن يذكر هو دور اللغة العربية التاريخي الذي قامت به في إفريقيا وخارج الحدود العربية وغير إفريقيا باعتبارها لغة الدين الذي دانت به تلك الحكومات والممالك التي قامت في كثير من البلدان ولاسيما في إفريقيا والإمبراطوريات كإمبراطورية مالي وغانا، ومملكة سانغاي، وقد كانت اللغة العربية هي لغة الإدارة والتعليم فيها<sup>(19)</sup>، ومنذ ذلك الوقت وبدخول الإسلام إلى هذه الأماكن أصبحت تدرس في معظم أنحاء إفريقيا والعالم الإسلامي حيث يعيش أقوام غيرنا ناطقين بها ولكنهم أقبلوا على تعلمها نظراً لدورها الحضاري والديني ...<sup>(20)</sup>، ومع هذا فقد أدركت إفريقيا أهمية اللغة العربية كأداة اتصال بينها وبين العالم كله ما دامت قد أصبحت لغة رسمية غي هيئة الأمم المتحدة وما يتبعها من منظمات دولية أخرى. والجدير بالذكر، أن اللغة العربية تمتاز بتراتها الحضاري وكتابتها التي تزخر بالآلاف المخطوطات والكتب قديماً وحديثاً، كما أنها سجل لأرقى الحضارات التي عرفتها البشرية في السابق، وكما هو معلوم وشائع أصبحت اليوم لغة الدراسة والتعليم في الجامعات والكليات في أكثر فروع المعرفة، في حين أننا لا نجد لغة واحدة إفريقية يدرس بها في جامعاتها ما عدا اللغة العربية التي أصبحت لغة الدراسة في الجامعات العربية<sup>(21)</sup>.

### اللغة العربية وصلتها بالحضارات والثقافات الإنسانية:

إذا كانت اللغة وسيلتنا لإدراك العالم، فإن المعادلة تنقلب هنا ليصبح إدراكنا للعالم هو ما يتحكم بشكل أو بآخر في قضايا لغتنا، ونظرتنا إليها، ويحدد أفق انتظارنا، فاللغة العربية ترتبط بكيان المتلقي

العربي ارتباطا لا يضاها، لأنه نابع من اعتبارات دينية، وحضارية، ونفسية ... لأن اللّغة العربية هي لغة القرآن الكريم المعجزة الربانية الخالدة التي شرف الله بها أمة العرب، وكرمها لما أنزل آخر كتاب سماوي وهو كتاب ناسخ للكتب السماوية السابقة بلسانها. إن التشريف الذي حظيت به اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، جعل قديستها من قدسية القرآن ومكانتها من مكانته، فربط العرب بين اللسان العربي والأعمال الإيمانية<sup>(22)</sup>، حيث يقول الإمام الشافعي في هذا الشأن: «على كل مسلم أن يتعلم لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذکر فيها افترض عليه من التكبير، وأمّم به من التسبيح والتشهد وغير ذلك»، وهذا الفرض بالضرورة الحفاظ على هذه اللغة، والاعتناء بها لأن حب العربية من حب القرآن وحبهما من حب الله<sup>(23)</sup> (حيث يقول في هذا الشأن: «إن من أحب الله أحب رسوله المصطفى، ومن أحب الرسول أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عني بها وثأبر عليها وصرف عليها همته»:

أ. لغة القرآن الكريم: تكفل الله سبحانه باللغة العربية وبرعايتها وحفظها، فكان في حفظ القرآن

حفظ للغة العربية، وكل من «يؤمن بأن القرآن حقيقة خالدة مجبر على أن يؤمن بأن لغة القرآن -وهي العربية الفصحى- هي أيضا حقيقة خالدة، لأن خلودها مرتبط بخلوده وبقائها ببقائه»<sup>(24)</sup>، ويشهد على ذلك كون العربية هي اللغة «الوحيدة بين المجموعة السامية التي تثبتت على مر العصور في حين لم تثبت تلك اللغات»<sup>(25)</sup> التي عاصرتها أو تكونت بعدها.

ب. رمز العروبة والإسلام: فتعلم اللغة العربية أمر واجب على كل مسلم إذ «لا عروبة ولا إسلام لمن لا يحسن اللغة العربية يوقرها من أبناء العرب، وإذا حيت اللغة العربية حي معها الاعتزاز بالشخصية العربية، والتعلق بكتب التراث، وعلى رأسها القرآن والحديث وسير الأبطال والصالحين»<sup>(26)</sup>، ويدل هذا الارتباط بين العروبة والإسلام من أروع ما تفتقت عنه عبقرية الإسلام وهو وجه من وجوه إعجازه.

إن هذا الارتباط مكين بين لغة العرب وحضارتهم، وكل منهما مبني على الآخر، وبناءا عليه فإن «الحضارة لا تتأني لأحد إلا عن طريق اللغة ... الحضارة في نوع من التعريف الموجز، هي لغة وعن طريق اللغة يكون التفكير كله، ويكون التفاهم كله، ويكون التواصل كله، ويكون التفاعل بين العقول والأفكار، اللغة هي أضخم عملية حضارية، تنشئ الحضارة وتمثلها وتعبر عنها، وهي ذات رصيد حضاري لا حدود له، ولهذا فإن نمو لغتنا وازدهارها وقيامها بدورها الفكري هو معلم من معالم حياتنا الحاضرة، وطريق أساسي من طرق بناء المستقبل»<sup>(27)</sup>.

فحضارة العرب في كليتها مبنية على الكلمة وسحرها وبيانها، أو لنقل بالكلمة الواحدة إنها حضارة لغو، لغو لا قدح فيه، فلما كانت العربية شاملة لكل ميادين الحياة أخذت اللغة أيضا هذا الطابع الشمولي وهي ميزة أخرى لا تعدلها فيها لغات أخرى وإلى هذا يذهب صاحب كتاب دفاعا عن العربية، حيث يقول: «أما الحضارة العربية - الإسلامية التي تحملها وتحويها اللغة العربية فأنها عنيت بنواحي الحياة كلها بأسس معاني الإنسانية، فهي أولا حضارية روحية وأخلاقية. ثم إنها حضارة تشريع، ثم إنها حضارة فلسفة

وفكر متفتح، ثم إنها حضارة علمية درست الطبيعة والإنسان دراسة تجريبية، ثم إنها حضارة آداب وفنون جميلة، ثم إنها حضارة صناعة وتجارة. فاللغة العربية تحمل ثروة من الثقافة الإنسانية لا تنضب»<sup>(28)</sup>.

وبناء على ما أومأنا إليه يمكن القول: إن اللغة البشرية هي أساس الحضارة الإنسانية، فهي الحامل للمادي لهذه الحضارة والوسيلة الفعالة التي تربط بين الأجيال المتعاقبة، إن بوساطتها تنتقل الخبرات والإنجازات العلمية والثقافية والحضارية بشكل عام، فهي من ثمة الوسيلة التي تجعل الإنسان لا ينقطع عن الحياة بانتهاء أجله، وذلك لأن اللغة تعينه على الامتداد تاريخيا ليسهم في تعميق فكر الأجيال اللاحقة، وتشكيل وعيها الثقافي<sup>(29)</sup>.

### وحدة اللغة والثقافة :

والثقافة كما مر معناها مرارا هي مجموعة المعارف العقلية والشرعية واللغوية، هذه هي الثقافة الإسلامية التي تمثل مجموعة المعارف التي كانت العقيدة الإسلامية سببا في بحثها، ولم تكن هذه الثقافة إلا ثقافة شفوية آنذاك، والمهم هنا أمران: أحدهما أن الجانب المتعلق بالاعتقاد وفهمه كان جانبا واضحا وعلى عمقه بسيطا يفهمه القاضي والداني، فلم يكن المسلمون قد خاضوا في علم الكلام آنذاك ولا علم المنطق، ولم تكن الفلسفة وأفكارها قد طغت، بل كان جو علم النبي صلى الله عليه وسلم الذي حملته الصحابة هو الطاغى والسائد آنذاك، فضلا عن أن الجماهير الواسعة من الناس كانوا هم أهل اللغة ويفهمونها حق فهمها بالعمق والوضوح، فلم تنشأ فكرة التأويل بالنحو الذي أتى به أهل اللغة مع زيادات شرح بروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الألفاظ المتسعة في مدلولها مثل «الصرعة» و«الرقوب» و«المفلس» وغير ذلك<sup>(30)</sup>. والثقافة العربية الإسلامية عربية في لغتها، إسلامية في جذورها، إنسانية في أهدافها، وهي شأن كل ثقافة تتكون من مقومات أساس فكرية وروحية أهمها العقيدة وهي الإسلام، واللغة العربية وآدابها والتاريخ والتراث ووحدة العقلية والمزاج النفسي، وقد تأكد أنه لا يمكن لأية ثقافة من الثقافات أن تنمو إلا إذا كانت ذات صلة بدين من الأديان، فالدين هو الذي يكسب الحياة الاجتماعية معناها، ويمدها بالإطار الذي تصوغ فيه اتجاهاتها وأملها<sup>(31)</sup>. ومع ذلك فإن اللغة لا يمكن أن تعتمد كلياً على الجينات لأنها تتأثر تأثراً قويا بالثقافة، وفي الحقيقة فنحن نصبح عاجزين فعليا في ثقافة لتكلم لغة مختلفة ما لم نلجأ إلى الإشارة، وهناك ما قد يغري المرء بأن يعتقد أن اللغة هي آلية للحفاظ على سلامة الثقافة وإبقاء الأجنبي خارجها، وفي هذا الصدد كثير من الخصائص الإنسانية تعتمد بوضوح لا على الشفرة الجينية بل على الثقافة التي يتصادف أن نكون جزءا منها<sup>(32)</sup>. وضمن التوجه نفسه يطلق «ريتشارد دوكنز» على هذه الخصائص المحددة ثقافيا اسم «المذكرات» وهي تضم القصص والأغاني والمعتقدات والمخترعات والنظم السياسية والمطبخ وفي الحقيقة كل ما نعدده فعلا جزءا من الثقافة<sup>(33)</sup>. ولقد علمنا التاريخ الثقافي والحضاري للأمم والشعوب، أن في ازدهار اللغة ازدهار للحياة العقلية، وتقدما في مضمار العلوم والفنون والآداب، وأن في قوة اللغة قوة للأمة الناطقة بها، وأن اللغة تكتسب قوتها من إبداع أهلها بها، ومن تفوقهم في هذا الإبداع الذي يشمل نواحي الحياة العامة<sup>(34)</sup>، وبالعكس ذلك يكون في ضعف اللغة ضعف للأمة الناطقة بها، ويمكننا القول حينئذ أن هذا الضعف يسري إلى مفاصل المجتمع وإلى مرافق الحياة جميعا وفي هذا السبيل يكون التراجع الذي قد يؤدي إلى العجز الثقافي والحضاري وجمود الحياة<sup>(35)</sup>.

إن رصد ملامح الثقافة العربية من خلال المسألة اللغوية في الفكر العربي المعاصر يحملنا على استكشاف ثلاث أزمات كبرى اخترقت سلطة اللغة العربية خلال تلك الحقبة، اثنان منها انتهتا إلى توازن نسبي والثالثة استعصت وما ننفك تلقى بتحديات القاهرة، وثلاثتها هي أزمة اللغة العربية مع اللغات الأخرى، وأزمتها مع العلم اللغوي وأزمتها مع نفسها<sup>(36)</sup>.

كان رواد الفكر العربي المعاصر على وعي بأن اللغة العربي تحمل معها مجدا تاريخيا جليلا لأنها كانت في معظم القرون لغة الغالب وبفضل ذلك تعامل أهلها مع اللغات الإنسانية تعاملًا نبيلًا خلا من كل العقد الثقافية والمربكات النفسية، ولكن حركة الاستعمار بعد أن يتسنى من خلخلة الصلة بين الهوية الدينية والهوية اللغوية تفرغت بالكلية إلى ربط المعرفة العلمية باللغة الأجنبية: الانجليزية والفرنسية تخصيصًا وظلت العربية تقاوم داخل قلاع غدت كالرموز في تجسيد العلاقة المكينه بين الثقافة واللغة: جامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين<sup>(37)</sup>. وإذا نظر المرء خارج أوروبا، إلى الثقافة اللغوية التي اعتمد عليها الأوروبيون بشكل كبير ومفيد جدا فإن الحاجة لم تزل ماسة إلى كتابات وتفسيرات جديدة، فقد تمت في الواقع دراسة كثير من المؤلفات اللغوية الصينية والعربية والهندية بشكل واسع النطاق، ولكن هذه الدراسة كانت إلى حد كبير من زاوية مكانة هذه المؤلفات في التاريخ الثقافي والأدبي لهذه الشعوب نفسها<sup>(38)</sup>، ولكن المعالجة العلمية التي تربط الكتابات المتفرقة في هذا الميدان بالنظرية اللغوية الحالية وتطبيقاتها، وسوف تسد ثغرة واسعة في فهمنا لتاريخ العالم الثقافي<sup>(39)</sup>. وبناء على ما تقدم، فاللغة العربية مقوم أساس من مقومات الثقافة العربية الإسلامية، ذلك أن العربية ليست لغة وأداة فحسب، ولكنها لغة فكر أساسا، وحتى الشعوب والأمم التي انضوت تحت لواء الإسلام، وإن كانت احتفظت بلغاتها الوطنية، فإنها اتخذت من اللغة العربية وسيلة للارتقاء الثقافي والفكري، وأدخلت الحروف العربية إلى لغاتها فصارت تكتب بها<sup>(40)</sup>. والثقافة العربية الإسلامية ليست مجردة، فنحن لا نكتفي فيها بالبحث عن أصول الأشياء ولا عن حقائقها وحدها، ولا نبحث فيها بحثا مجردا، لأن الثقافة جزء من الإنسان، فإذا كان العقل يغذيها، فأنها لا تنبع من العقل وحده، وإنما تنبع في النفس البشرية، وتنبع في الأحاسيس وتنبع في الذوق، وتنبع أكثر من ذلك في الوجدان، بل هي أيضا تتصل بالجانب الأساس الذي ميز الله به الإنسان عن الحيوان، ألا وهو الضمير إن الثقافة تتصل بالضمير والضمير أعمق وأروع من العقل. ومن هنا نستنتج أن الضمير الإسلامي هو منبع الثقافة العربية الإسلامية، ولذلك فهي ثقافة الوجدان الإنساني. وانطلاقا من هذا التوجه، فيمكن القول على أن الثقافة العربية، هي ثقافة الأمة العربي التي هي أمة الإسلام الذي منه اكتسبت صبغتها، وحملت صفتها، واستمدت طبيعتها، فلم يكن لهذه الأمة كيان قائم الذات قبل الإسلام، وإنما كانت قبائل وعشائر لا تجمعها عقيدة، ولا يوحدتها إيمان برسالة سماوية حتى إذا بعث الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام، كان هو الدين هو الرسالة الخالدة للعرب<sup>(41)</sup>.

### العربية ومؤامرة التغريب:

مضت العربية حقبا طويلة تخدم التواصل والفكر والعلم والدين، إلى أن اصطدمت بحملات المؤامرة. والمؤامرة على العربية قديمة قدم المؤامرة على الدين، وقد لبست في بعض حلقاتها ثوب البحث العلمي، وهي صورة خادعة تجد لها ممن يلتم بخيوط المؤامرة استجابة ساذجة<sup>(42)</sup>.

ومن المعروف أن العربية كانت منحصرة في شبه الجزيرة قبل الإسلام، ثم بدأت تنتشر معه في كل اتجاه، اصطدمت مع لغات كثيرة أثرت فيها وتأثرت بها بعض التأثير، ولكنها سادت وعمت، وهي الآن تواجه صراعا شديدا بسبب ظهور جديد للحضارة والعلم الذي يفرض على العربية أن تستوعبه، وبسبب وجود لغات تنازعها البقاء، بعضها محلي وبعضها أجنبي، ولا بد أن تقاومها وتظهر عليها، وهي مطالبة بأن تتفوق على اللغات واللهجات، وتعتبر عن الحضارة والعلم، وأن تستعيد دورها في إطار الجامعة الإسلامية بعد أن سلبتها إياه الجامعة اللاتينية، وذلك بأن تستعيد مكانتها على السنة المسلمين ومط تفكيرهم<sup>(43)</sup>.

### تقول الأستاذة عائشة عبد الرحمن:

«ليست عقدة الأزمة في اللغة ذاتها، العقدة - فيما أنصو - هي أن أبناءنا لا يتعلمون العربية لسان أمة ولغة حياة، وإنما يتعلمونها معزل عن سليقتهم اللغوية: قواعد صنعة وقوالب صماء، تجهد المعلم تلقينا والتلميذ حفظا، دون أن تكسبه ذوق العربية ومنطقها وبيانها»<sup>(44)</sup>.

إن وجود لغة عليا للفكر والأدب والعلم، مع لهجات محلية للتعامل، ظاهرة طبيعية عرفتها العربية منذ قديمها الجاهلي، وتعرفها الدنيا في سائر اللغات الحية<sup>(45)</sup>.

فظلت اللغة العربية لغة الدين والدولة والعلم والتعليم إلى يومنا هذا.

الاستعمار الغربي والنهضة اللغوية الأولى :

تشكل عصور النهضة تغيرا، كان له كبير الأثر في إنهاء العقول من غفلتها، وفي إخراجها من ديار العصور السابقة التي عم فيها الجهل، وسيطرت العجمية وتفشت الأمية، في دار الإسلام والعرب من أديانها حتى أقصاها. وظهر قبس النهضة الأولى، منذ مطلع القرن التاسع عشر، وحدثت فيه تغيرات كثيرة سياسية واجتماعية وعقلية وفكرية وأدبية وعلمية<sup>(46)</sup>.

كانت اللغة العربية سلاح تلك الشعوب الذي جابهت به السيطرة الأوروبية التي عملت على عرقلة انتشار اللغة وهو الفكر والثقافة الإسلامية. وكان للطباعة والصحافة والمدارس والمكتبات والجمعيات والمجامع دور في تحرير الشعوب الإسلامية والعربية من الخمول والجمود الذين شل مظاهر الحياة. وحاولت طائفة من العلماء فرض اللغة العربية كأداة للتعبير في السياسة والقضاء والعلم والأدب، وأوصت بتقديم المعنى على اللفظ، فكان هذا الطور الأول لمحاولات انطلاق «النهضة اللغوية الأولى»<sup>(47)</sup>.

وهكذا حاول الاستعمار محاربة العربية، بلهجاتها الشعبية للوصول إلى تمزيق نسيج الأمة، وفك وحدة اللغة والمزاج والفكر والفعل، وليجعل من الأمة الإسلامية عقليات متضاربة بدلا من عقلية واحدة.

فكان هذا الاتجاه الاستعماري يحاول إحلال لغته محل العربية. وقد كانت «الجزائر» بحكم سبق الاستعمار إليها، حقل التجربة في غزو الاستعمار لغرب العالم الإسلامي، ومصر في قلب المشرق، حيث كانت ميدانا لتجربة تمزيق الوحدة اللغوية.

### نموذج من أبطال الجزائر: «الشيخ عبد الحميد ابن باديس»:

لقد اجتاز هذا الزعيم الروحي، بمواطنيه، بحر اليأس، ونقلهم إلى الشاطئ الآخر ... فرسم بذلك منعطفا حادا في تاريخ المجتمع الجزائري، في ظل ذلك الاستعمار الرهيب.

يقول المفكر الإسلامي الجزائري الكبير «مالك بن نبي»: إن الجزائر ما قبل ابن باديس، كانت

البطولات فيها تتمثل في «جرأة الفرد» في «قوة رجل»، فلم تكن حوادثها تاريخا بل قصصا ممتعة، «ولم تكن صيحاتها صيحات شعب بأكمله، وإنما كانت مأساة ضمير لصاحبه، لا يصل صدها إلى الضمائر الأخرى فيوقظها من نومها العميق». ويعتبر أن معجزة الحياة في الجزائر قد بدأت بصوت «عبد الحميد ابن باديس»، الذي أيقظ «المعنى الجماعي»، وحوّل مناجاة الفرد إلى حديث الشعب.

أحيا «ابن باديس» روح القرآن في قلوب المسلمين، في الوقت الذي كان الاستعمار قد أجهز على هذه القلوب طامحا إلى فرنستها. وكان المبشرون يلقنون المسلمين أنهم أوروبيون مسيحيون في أصولهم، وأن العروبة والإسلام أجنبيان عنهم!!! ولكن ما لاحظته المستشرق الفرنسي «ماسينيون» الضالع مع الاستعمار، أنه كانت -رغم هذا كله- تسود الجزائر عاطفة بدت له غريبة جدا، تلك هي طموح المسلمين إلى أن ينفذوا بدينهم إلى عقول الفرنسيين وأرواحهم. وقد لاحظ أن كتابا من الجزائريين -كانوا يجيدون اللغة الفرنسية إجادة تامة- راحوا يستخدمونها في بث الدعاية في فرنسا، المعرضين بحكم ظروفهم لخطر الخروج عن أصول الدين، بل لكي يُدخلوا إلى الدين الإسلامي من يستطيعون من الفرنسيين، وقد وفقوا فعلا إلى غرضهم، حيث دخل في الإسلام بعض الفرنسيين من الرجال والنساء.

لقد ناضل الشعب الجزائري طويلا، وتحمل من أفانين التعذيب والفتك والتدمير ما جعله من أعظم شعوب العالم صبرا على المكاره وشجاعة وثباتا وتفانيا ... ذلك أن قيم العروبة والإسلام، والمبادئ العالية التي كان قد أجهزها في الصدور، الإمام عبد الحميد ابن باديس وصحب الميامين، قد أثمرت الآن ... فكان الثوار - قادة وجنودا - هم أولئك الذين تشربوا مبادئه فأشربت نفوسهم صلابة وعزما ومضاء.

وحقيقة «عبد الحميد ابن باديس» أن يوصف، بصنيعه الهادئ المستمر على ممر السنين إذ كان الشعور وشحن الهمم، بأنه - كما عبر الدكتور محمود قاسم\* - هو «الرجل السهل الممتنع الذي بدأ ينحت في الصخر نحت خرير الماء الهادئ، حتى أتى على الصخر وأزاله من طريق هذه الأمة»<sup>(48)</sup>. وفي مجال اللغة العربية، جاهد الإمام عبد الحميد ابن باديس في سبيل أن تكون العربية في مكانها الشرعي في الجزائر، إذ هي لسان دينها ووعاء قرآنها وكان يرى أن اللغة أقوى في توحيد الأمة من العرق والدم، وفي هذا المجال يقول: «... تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد وتكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد، فليس الذي يكون الأمة ويربط أجزائها ويوحد شعروها، ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد.

ويطيب لنا أن نقول بأن الأمة العربية قد أنجبت على ترابها أبطالاً ونوابغ لعبوا دورا رائعا في الجهاد المسلح وفي الصراع الحضاري، وكانت مسيرتهم وما تزال ضوءا يكشف للأجيال عظمة هذه الأمة العربية التي أنجبتهم.

لطالما تميّزت الأمم والحضارات على مرّ الأزمان والعصور بلغاتها الخاصّة بها، والتي اعتبرت ركنا أساسيا من الأركان التي تقوم عليها أي ثقافة، وبالتالي هي مظهر مهم من مظاهر الاختلاف بين الأمم تتباهى وتفتخر بمزايا لغتها، وتحرص دوما على تعليمها للأجيال الصاعدة، فضلا عن نشرها بين الأجانب ممن لا يتقنونها، فهي بوابة التعرف على الحضارات، والتمازج بين الأمم والشعوب في شتى أصقاع الأرض.

## مميزات اللغة العربية ومكانتها :

لكل أمة ثقافة تخصها، وتتصل بغيرها من الثقافات وتتفاعل معها وتزداد بهذا التفاعل ثراءً وعمقا وحيوية وثقافة الأمة هي هويتها التي تميزها بما تنتظمه من العقيدة والأعراف والأدب والعلم والعلاقات الإنسانية الداخلية والخارجية<sup>(49)</sup>.

يقول الدكتور مازن المبارك في كتابه النفيس (اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي): «إن الأمة التي تهمل لغتها أمة تحتقر نفسها وتفرض على نفسها التبعية الثقافية، وإن التعليم بغير العربية يلقي في نفوس الطلاب أن لغتهم القومية غير ذات نفع لهم، وأنها لا تصلح للعلم والبحث العلمي، وسيؤدي ذلك إلى وجود حجاب بينهم وبين لغة و ثقافة وتراث أمتهم»<sup>(50)</sup>.

إن الثقافة الإسلامية ليس غايتها تهذيب الفرد أو الجماعة في بيئة معينة وإنما ترمي إلى تثقيف الجنس البشري بأكمله، والدين الإسلامي غايته الإنسان في كل مكان يشجعه لتحسين ذاته، وترقية أحواله وإعلاء شأنه في جميع مجالات الحياة الحرة الكريمة<sup>(51)</sup> هذه هي روح العقيدة الإسلامية التي أرادها الله عز وجل لعباده الصالحين والتي جاءت رحمة للعالمين في مختلف مجالات السلوك والعلم. زيادة على ما تتسم به اللغات بشكل عام فإن للغة العربية من المميزات ما يؤكد رجحانها على وسواها.

أما مميزات فتكمن في كونها لغة التنزيل إذ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)﴾<sup>(52)</sup>.

وما اختارها من الله عز وجل لتكون لغة آخر رسالة سماوية لبني البشر إلا دليل على رجحانها، وقدرتها على حمل المعاني الإلهية، توصيلها إلى بني آدم بلسان عربي وصفه الله تعالى بالإنابة، إذ قال تعالى في سورة أخرى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾<sup>(53)</sup>، وفي هذه الآية تشديد على إنابة العربية. وفي فضل العربية قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عليكم بالعربية فإنها تثبت العقل، وتزيد المروءة». وفي رجحان العربية على سواها من لغات العالم قال الفراء: «لقد وجدنا للغة العرب فضلا على لغة جميع الأمم اختصاصا من الله تعالى، وكرامة أكرمهم بها»<sup>(54)</sup>. وفي منزلتها عند الله وجوب المثابرة عليها قال الثعالبي: «إن من أحد الله أحب رسوله المصطفى، ومن أحل النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي لها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثأبر عليها، وصرف همته عليها» ومضى قائلا «ومن هداه الله إلى الإسلام، وشرح صدره للإيمان اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات»<sup>(55)</sup>. وفي أصلها وريقها على غيرها وخصائصها قال جريجي زيدان: «إنها إحدى اللغات السامية، وأرقاها مبنى واشتقاقا وتركيبا، وهي أرقى لغات العام»<sup>(56)</sup>.

قال البيروني عن اللغة العربية المقدسة: «والهجو بالعربية خير إلي من المدح بالفارسية» وكما يقول غيره: «لئن أهجى بالعربية خير من أن أمدح بغيرها».

زد على ما تقدم فإن اللغة العربية تتسم بالسعة إذ يقول فيها أحد العلماء: «إن لسان العرب أوسع الألسنة، وأكثرها ألفاظا ولا يستطيع الإحاطة بها غير نبي»<sup>(57)</sup>.

يقول «الطاهر بن عاشور»: «ومزية القراءات من هذه الجهة عائد إلى أنها حفظت على أبناء العربية

ما لم يحفظه غيرها وهو تحديد كفيات نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق، بتلقي ذلك عن قراءة القرآن الكريم من الصحابة بالأسانيد الصحيحة<sup>(58)</sup>، وإذا كان من أهم وظائف اللغة العربية التعبير عن العالم الإنساني فردا ومجتمعاً، باطنا وظاهراً فإنه تبعاً لذلك - يقتزن تمام اللغة بتمام الأصوات الإنسانية الممكنة، وتمام المخارج الصوتية<sup>(59)</sup>، ويتحدث الأستاذ «الدكتور عثمان أمين» عن «مزايا اللغة العربية» ويقدم شهادتين من مستشرقين عن تلك «المزايا» فيقول: «من الإنصاف أن نبادر فنقرر بأن العلماء الفرنسيين ليسوا كلهم من علماء الاستعمار، وليسوا كلهم من المتعصبين على الإسلام، بل إن منهم منصفين ذوي نزاهة، أشادوا بالعربية أيها إshade، ويكفي هنا أن نذكر اثنين من نبهائهم المعاصرين، ممن بذلوا في تنوير مواطنهم جهود مشكورة هما: «لوي ماسينيون»، و«هنري لوسل»<sup>(60)</sup>.

فقد أظهرتنا بحوث الأستاذ لوي ماسينيون: على أن اللغة العربية قد امتازت بخصائص قل أن نجد لها مثيلاً في اللغات الأخرى، وأبرز ماسينيون في بحوثه ومحاضراته فكرة تبدو جديدة بالقياس إلى آراء المستشرقين السابقين، وهي أنه - في حين أن اللغات الهندو-أوروبية إنما جعلت للتعبير عن نظام العالم الخارجي، نجد اللغة العربية وكأنها هي لغة التأمل الداخلي، تأمل الفكر والروح، وكأنها هي مجعولة لكي يتذوق أصحابها مقصداً من المقاصد الإلهية<sup>(61)</sup>. ولما كانت العربية هي المصدر الوحيد لدى العرب للوصول إلى الفعل الإلهي، فقد أحبها أهلها حباً راسخاً عميقاً، ومن هناك كان للعرب الفضل في استكشاف رموز الجبر وصيغ الكيمياء والمسلسلات الحسابية ثم إن اللغة العربية لغة الغيب والإيحاء، تعبر بجمل قصيرة مركزة عما لا تستطيع اللغات الغربية أن تعبر عنه إلا في الجمل الطويلة الفضاضة، «اللغة العربية لغة وعي، ولغة شهادة و ينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن، للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية»<sup>(62)</sup>.

ويسرنا أن نوه هنا بمقال الأستاذ الفرنسي المستشرق «هنري لوسل»، نشره في جريدة «لوموند Le Monde» بعنوان: «اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية تزودان الدارس بنظرة جديدة إلى العالم» فكتب لوسل داعياً إلى تعليم اللغة العربية في المدارس الفرنسية، مبيناً أن هذه اللغة تيسر الملائمة السمعية مع اللغات الأخرى، فقال: «إن التلميذ أو الطالب يجد في العربية معاني لغوية تختلف اختلافاً كبيراً عن معاني الفرنسية أو اللاتينية، أو أي لغة أوروبية، وعن طريقها يتعرف المتعلم إلى عقلية العرب حيث يجد نفسه أولاً أمام الأبجدية العربية، وربما كان فيها في بادئ الأمر موضع للنقد، وسرعان ما يجد لها جاذبية خاصة»<sup>(63)</sup>. أود في الختام أن أذكر بعض النتائج التي توصلت إليها أثناء معالجاتي لهذا البحث، وقد حصرتها في النقاط الآتية:

1. لقد امتازت اللغة العربية أنها لغة الوحي والقرآن والوعاء والقالب الذي يحفظ ثقافة العرب وإبداعهم.
2. يعد نزول القرآن معجزة السماء والرسالة العالمية من الله للبشر بهذه اللغة الشيء الأهم الذي أبرز مكانتها حيث حملت اللغة العربية أفضل وسيلة لنقل أسمى المعاني في هذا الكتاب العظيم، كما أنها حفظت بحفظه عبر الأزمان.
3. كون اللغة العربية اللغة الحضارية الأولى في العالم لوقت طويل.

4. مساعدة اللغة العربية على استمرار الثقافة العربية بين الفئات المختلفة، والمحافظة على الاتصال بين الأجيال.
  5. حظيت الحضارة العربية والإسلامية بمكانة مرموقة بين حضارات العالم، بفضل لغتها التي مكنتها من نشر ثمار إبداع العلماء، والفلاسفة، والمفكرين، وغيرهم الكثير، فكانت لغة الضاد هي لغة العلم والمتحدث الرسمي به.
- إن اللغة العربية تمتاز بتراثها الحضاري، وهي رمز العروبة والسلام ، وهي ذات رصيد حضاري لا حدود له، ولهذا فإن نمو لغتنا وازدهارها وقيامها بدورها الفكري هو طريق أساسي من طرق بناء المستقبل. وبهذا فهي تحمل في طياتها ثروة من الثقافة الإنسانية.

الهوامش:

- (1) د. محمود فهمي حجازي، ود. النغمات القاضي، وعبد الحميد السيوري ود. عبد الحكيم راضي في «العربية نصوص ودراسات» القاهرة، 1979، ص 5.
- (2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (3) أنور الجندي، «الفصحى لغة القرآن» الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت-لبنان، 1402هـ - 1982م، ص 22.
- (4) محمود فهمي حجازي وآخرون، المرجع السابق، ص 07.
- (5) عبد الغفار حامد هلال، «أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل» دار الفكر العربي، ملتزم الطبع والنشر، القاهرة، 1417هـ - 1997، ص 8-9.
- (6) المرجع نفسه، ص 9.
- (7) عبد القادر الفاسي الفهري، «اللسانيات واللغة العربية»، (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر، ط 4، 2000، ص 56.
- (8) عبد القادر الفهري، المرجع السابق، ص 56.
- (9) سورة الأنعام، الآية 153.
- (10) محمد محمد حسين، «الإسلام والحضارة الغربية»، دار الفرقان، بيروت، ب ط، ب ت، ص 5.
- (11) المرجع نفسه، ص 6.
- (12) ابن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، المجموعة الأولى، ص 656.
- (13) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (14) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 304.
- (15) أنور الجندي، «الحضارة في مفهوم الإسلام»، دار الأنصار، لبنان، ب ط، ب ت، ص 06-07.
- (16) أنور الجندي، «الحضارة في مفهوم الإسلام»، المرجع السابق، ص 08.
- (17) أنور الجندي، «الحضارة في مفهوم الإسلام»، المرجع نفسه، ص 08.
- (18) أنور الجندي، «الحضارة في مفهوم الإسلام»، المرجع نفسه، ص 09.
- (19) محمد وطاس. أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، ص 266.
- (20) محمد وطاس، نفس المرجع، ص 266.
- (21) المرجع نفسه، ص 267-268.

- (22) حافظ إسماعيل علوي، «اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة»، (دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته) دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، طرابلس، ط 1، 2009، ص 73-74.
- (23) أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ص 2.<sup>0</sup>
- (24) عبد العلي الودغيري، «اللغة والدين والهوية»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م، ص 20.
- (25) إبراهيم السامرائي، اللغة والحضارة، الطبعة 1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977، ص 149.
- (26) محمد محمد حسين، «مقالات في الآداب واللغة»، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ص 13.
- (27) شكري فيصل، «قضايا اللغة العربية، بحث في الإطار العالم للموضوع»، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريف، العدد 26، السنة 1407هـ - 1987، ص 01.
- (28) فاضل الجمالي، «دفاعا عن العربية» نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1996، ص 23.
- (29) أحمد حساني، «دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات»، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 04، الجزائر، ص 2000، ص 72.
- (30) هيثم جمعة هلال، علي بن أبي طالب (حياته - عصره - خلفته وأعماله)، الطبعة 1، وهران، الجزائر: دار العزة والكرامة للكتاب، 1436هـ - 2015م، ص 227.
- (31) عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، الطبعة 2، إيسيسكو: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1436هـ - 2015م، ص 15.
- (32) محمد محمد حسين، المرجع السابق، ص 12.
- (33) محمود السعران، «علم اللغة مقدمة للقارئ العربي»، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، د ت، ص 19.
- (34) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (35) عبد العزيز بن عثمان التويجري، «حاضر اللغة العربية» مع الترمجتين الإنجليزية والفرنسية، التصنيف والتوضيب والسحب في مطبعة الأيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، د ط، 2013، ص 7.
- (36) عبد العزيز بن عثمان التويجري، «حاضر اللغة العربية»، المرجع نفسه، ص 7-8.
- (37) عبد السلام المسدي، «التفكير اللساني في الحضارة العربية»، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 3، 2009، ص 11.
- (38) روبنز «موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة د. أحمد عوض، ص 12.

- (39) روبنز، المرجع نفسه، ص 12.
- (40) 40<sup>0</sup> - عبد العزيز بن عثمان التويجري، «حاضر اللغة العربية» مع الترجمتين الإنجليزية والفرنسية، المرجع السابق، ص 15-16.
- (41) 41<sup>0</sup> - المرجع نفسه، ص 17.
- (42) 42<sup>0</sup> - ميخائيل نعيمة، «بين العامية والفصحى» (الأعمال الكاملة)، دار العلم للملايين - بيروت، ط 1، مارس 1973، ص 356..
- (43) 43<sup>0</sup> - المرجع السابق نفسه، ص 356.
- (44) 44<sup>0</sup> - عائشة عبد الرحمن، «لغتنا والحياة»، دار المعارف، مصر، د. ط، 1969، ص 187.
- (45) 45<sup>0</sup> - عائشة عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 93.
- (46) ريمون طحان، دنيز بيطار طحان، «اللغة العربية وتحديات العصر»، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 25.
- (47) ينظر: المرجع نفسه، ص 25.
- \* في كتابه «الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية»، دار المعارف بمصر، 1968.
- (48) الشيخ عبد الحميد ابن باديس، نوابغ العرب، دار العودة - بيروت، 1976.
- (49) حسني عبد الجليل يوسف، «اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة»، 2005.
- (50) فداء ياسر الجندي، «العرب والعربية في عصر الثورة الحاسوبية»، دار الفكر المعاصر، 2003م، دمشق، د. ط، ص 125.
- (51) حسين الحاج حسن، «حضارة العرب في صدر الإسلام» - مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - ط 2، 1426 هـ - 2006 م.
- (52) سورة الشعراء، الآية : 192-195.
- (53) سورة النحل، الآية : 103.
- (54) إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1978، ص 10.
- (55) أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، المرجع السابق، ص 02.
- (56) أنور الجندي، اللغة العربية بين حمائها وخصومها، مطبعة الرسالة، مصر، ص 09.
- (57) محمد عطية الأيراشي، لغة العرب نهض بها، دار الكتاب العربي، مصر، ص 123.
- (58) الطاهر بن عاشور، «التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 م، ص 1-51.

## اللغة العربية ودورها في بناء الحضارة والثقافة الإنسانية واقع وآفاق

- (59) عباس محمود العقاد، «اللغة الشاعرة»، مكتبة غريب، مصر .
- (60) حسني عبد الجليل يوسف، اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة ، ص 29 .
- (61) المرجع نفسه، ص 29.
- (62) عثمان أمين، «فلسفة اللغة العربية»، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1970 م، د. ط، ص ص 8-9.
- (63) ينظر: عثمان أمين، المرجع السابق، ص 30.

## قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- (1) إبراهيم السامرائي، اللّغة والحضارة، الطبعة 1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977م.
- (2) إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1978.
- (3) ابن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، المجموعة الأولى.
- (4) أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.
- (5) أحمد حساني، «دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات»، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 04، الجزائر، 2000.
- (6) أنور الجندي، «الحضارة في مفهوم الإسلام»، دار الأنصار، لبنان، بدون طبعة، بدون تاريخ.
- (7) أنور الجندي، «الفصحى لغة القرآن»، الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت - لبنان، 1402 هـ - 1982 م.
- (8) أنور الجندي، اللغة العربية بين حماتها وخصومها، مطبعة الرسالة، مصر.
- (9) حافظ إسماعيل علوي، «اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة»، (دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، طرابلس، ط 1، 2009.
- (10) حسني عبد الجليل يوسف، «اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة»، 2005.
- (11) حسين الحاج حسن، «حضارة العرب في صدر الإسلام» - مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - ط 2، السنة 1426 هـ - 2006 م.
- (12) روبنز «موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة د. أحمد عوض.
- (13) ريمون طحان، دنيز بيطار طحان، «اللغة العربية وتحديات العصر»، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- (14) شكري فيصل، «قضايا اللغة العربية، بحث في الإطار العالم للموضوع»، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريف، العدد 26، السنة 1407 هـ - 1987.
- (15) الشيخ عبد الحميد ابن باديس، نوابغ العرب، دار العودة - بيروت، السنة 1976.
- (16) الطاهر بن عاشور، «التحرير والتنوير»، الدار التونسية للنشر، تونس، السنة 1984 م.
- (17) عائشة عبد الرحمن، «لغتنا والحياة»، دار المعارف، بمصر، د. ط، السنة 1969.
- (18) عباس محمود العقاد، «اللغة الشاعرة»، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، مكتبة غريب، مصر، دون تاريخ.
- (19) عبد السلام المسدي، «التفكير اللساني في الحضارة العربية»، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 3، 2009.
- (20) عبد العزيز بن عثمان التويجري، «حاضر اللغة العربية» مع الترجمتين الإنجليزية والفرنسية، التصنيف والتوضيب والسحب في مطبعة الأيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، دون طبعة، 2013.
- (21) عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، الطبعة 2، إيسيسكو: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1436 هـ - 2015 م.

- (22) عبد العلي الودغيري، «اللغة والدين والهوية»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م.
- (23) عبد الغفار حامد هلال، «أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل» دار الفكر العربي، ملتزم الطبع والنشر، القاهرة، 1417هـ - 1997.
- (24) عبد القادر الفاسي الفهري، «اللسانيات واللغة العربية»، (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر، ط 4، 2000.
- (25) عثمان أمين، «فلسفة اللغة العربية»، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1970 م، دون طبعة.
- (26) فاضل الجمالي، «دفاعا عن العربية» نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1996.
- (27) فداء ياسر الجندي، «العرب والعربية في عصر الثورة الحاسوبية»، دار الفكر المعاصر، 2003، دمشق، دون طبعة.
- (28) محمد عطية الأيراشي، لغة العرب نهض بها، دار الكتاب العربي، مصر.
- (29) محمد محمد حسين، «الإسلام والحضارة الغربية»، دار الفرقان، بيروت، ب ط، ب ت.
- (30) محمد محمد حسين، «مقالات في الآداب واللغة»، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
- (31) محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامّة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصّة.
- (32) محمود السعران، «علم اللغة مقدمة للقارئ العربي»، دار النهضة العربية، بيروت، بدون طبعة، دون تاريخ.
- (33) محمود فهيم حجازي، ود. النغمات القاضي، وعبد الحميد السيوري ود. عبد الحكيم راضي في «العربية نصوص ودراسات» القاهرة، 1979.
- (34) ميخائيل نعيمة، «بين العامية والفصحى» (الأعمال الكاملة)، دار العلم للملايين - بيروت، ط 1، مارس 1973.
- (35) هيثم جمعة هلال، علي بن أبي طالب (حياته - عصره - خلافته وأعماله)، الطبعة 1، وهران، الجزائر: دار العزة والكرامة للكتاب، 1436هـ - 2015م.

# تعليمية الترجمة بين الحضور وتعدد الوسائط

جامعة تلمسان الجزائر

أ.د. عبد القادر سلامي

باحثة دكتوراه - المركز الجامعي بمغنية- الجزائر

أ. مريم منصوري

## مستخلص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على أهم المعايير التي يجب أن تُعتمد في تعليمية الترجمة سواءً أكان ذلك حضورياً أم عن بُعد باعتماد وسائط، لذا نسعى إلى الإجابة على الإشكالية التالية: ما ضوابط تعليمية الترجمة عموماً؟ وكيف يُمكن للوسائط التّقنيّة أن تُسهل تعليميتها عن بعد؟ وللإجابة عن الإشكالية نترج في عرض المادّة المعرفيّة التي تخدم المداخلة وتُجيب عن الإشكالية بوضوح من خلال الوقوف أولاً على ماهية المصطلحات المهمّة في المداخلة؛ وهي: التّعليم، والتّعليميّة، والترجمة، وبعدها تفصيل الحديث عن تعليمية الترجمة الحضورية، وفي المقابل تعليمية الترجمة الافتراضية باستعمال وسائط متعدّدة. وقد أسفرت هذه الدّراسة على أنّ تعليمية الترجمة يجب أن تعتمد منهاجاً معيّناً تسير عليه مراعية الطّرائق المناسبة والوسائل التّعليميّة المساعدة والمناسبة لمستوى الطلبة، مع ضرورة إسناد هذه المهمة إلى أهل الاختصاص؛ لتحقيق مخرجات مرضية وتكوين طلبة مميّزين لأداء مهام الترجمة باحترافية، وهذا الأمر ينطبق أيضاً على تعليمية الترجمة عن بُعد، فهي الأخرى تحتاج إلى تخطيط وتنظيم في عرض المادّة التّعليميّة مراعية لمستوى الطّلبة، واعتماد برنامج يُسهل العمليّة التّعليميّة التّعليميّة من قبل المختصين، مع سهولة استخدام الوسائل التّقنيّة المعتمدة وتوفرها لدى الجميع. وهو ما عمدنا إل التفصيل فيه وفق منهج وصفي استقرائيّ يستتق تعليمية الترجمة في شقيّها الحضور والافتراضي على السّواء، مدلّين لأهمية كل منهما في التلقين والتّحصيل.

الكلمات المفتاحية: التّعليم، التّعليميّة، الترجمة، تعدّد الوسائط.

## Face-to-Face and Multimedia Translation Didactics

Mr. Dr. Abdel Qader Salami

### Abstract:

This research paper aims to identify the most important criteria that must be adopted in teaching translation face -to-face then online, So we seek to answer the following problematic: What are translation precepts in general? How can technological media facilitate its distant learning? To answer this problematic, we present the cognitive material which serves this paper and answers the question of the problematic clearly by 1) explaining the important terminology of this paper, i.e., didactics, translation, etc. then giving details of face-to-face translation didactics, then virtual teaching of translation by using multimedia. The study results showed that the translation didactics has to follow a determined methodology that takes into account relevant teaching modes and means suitable for student level. This should be assigned to specialists of the domain to achieve satisfying learning outcomes and training distinguished students to perform professional translation. Similarly, this applies to virtual translation teaching. The latter also needs planning and organizing in presenting the teaching material in accordance with student level and adopting a curriculum that facilitates the teaching and learning process by specialists and making use of technological means that should be made available. This is what we have intended to elaborate on according to a descriptive and inductive approach that investigates the teaching of translation in both its present and virtual parts, pointing to the importance of each of them in indoctrination and achievement.

**Keywords:** education, didactics, translation, multimedia

## مقدمة:

إنّ تعليميّة الترجمة ليست بالأمر الهين أو السهل، إذ لها ضوابطها وبرامجها، وأساليبها، وطرائقها، ووسائلها، وتحتاج إلى تخطيط وتسيير محكم؛ لتحقيق الغاية المنشودة، لذا فإنّ أمرها يجب أن يُسند إلى من يملك ناصية العلم ويسلك في أدائها مسلك أصحاب الرسائل وذوي الأخلاقيات. ونظرًا للتطورات التي شملت كلّ ميادين الحياة، مسّ هذا التطور حتى الميدان التربوي التعليمي في جوانب عدّة، وأصبح التّعليم يتم حضورياً وعن بُعد باعتماد وسائل تقنية، وتعليميّة الترجمة من بين المقاييس التي أصبحت تدرّس عن بُعد باعتماد وسائط متعدّدة، بعدما كانت تتم حضورياً فقط. ولعلّ الظروف الصحيّة التي أحاطت التي عايشتها المنظومة التعليميّة في ظل الجائحة وتبعاتها النكراء، وهي ظروف عالمية استثنائية، كان لها دور في انفتاح العمليّة التعليميّة الواسع على الوسائط التّواصلية المتعدّدة، فأصبح الجمع بين التّعليم في بعده الحضوريّ والافتراضيّ ضرورة حتميّة دون أن تكون أيّ طريقة بديلة عن الأخرى، وإمّا يفضيان إلى بعضهما بعضا ويتكاملان، مع التوصية باعتمادهما طريقتين تسيران جنباً إلى جنب في تعليميّة الترجمة على وجه الخصوص لما بينهما من تداخل وتلازم. وتهدف هذه الدّراسة إلى تسليط الضوء على أهمّ الأساليب التي يجب أن تُراعى في تعليميّة الترجمة الحضورية والافتراضية بمراعاة خصوصية المعلّم والمتعلّم على حدّ سواء، بالإضافة إلى مراعاة برنامج تقديم المادّة العلميّة وأهمّ الوسائل التعليميّة المتاحة والمناسبة لأطراف العمليّة التعليميّة. ونعالج هذا الموضوع باتّباع المنهج الوصفي التي يتّخذ من التحليل أداة إجرائية، و بما يكفل في عرض المادّة العلميّة وفق الخطة التالية:

- تعريف التّعليم والتّعليميّة.
  - مفهوم الترجمة وعوامل نجاحها.
  - الترجمة الحضورية وبعتماد وسائط متعدّدة.
  - خاتمة بأهمّ النتائج المتوصّل إليها.
- أولاً- تعريف التّعليم والتّعليميّة لغة واصطلاحاً:**
- أ- مفهوم التّعليم:**
- أ- لغة:**

التّعليم من علم، «يقال: علّم المتعلّم العلمَ تعليماً فتعلّمه؛ أي علّمه وأتقنه. وتعلّم، بصيغة الأمر، علّم. والمعلّم: خلاف المجّهل والمعلّم: من يتّخذ مهنة التّعليم. والمعلّم: الملهّم الصّواب والخير. والعلم: نقيض الجهل، وقيل في حدّه: معرفة المعلوم على ما هو عليه، فاعترض بلزوم الدّور، فقيل العلم صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض؛ وعلى هذا، فهو الجزم المطابق للحق؛ وقياسه قياس العلم والعلامة، والدليل على أنّها من قياس واحد قراءة بعض القراء: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾<sup>(1)</sup>، قالوا: يرادُ به نُزول عيسى عليه السّلام، وإنّ بذلك يُعلّم قرُب السّاعة. ومن الباب: العالمون، وذلك أنّ كلّ جنسٍ من الخلق فهو في نفسه معلّم وعلم». <sup>21</sup>

**ب- اصطلاحاً:**

يرى علماء النفس والتّربية أنّ التّعليم المفضي إلى التعلّم هو ذلك التّغيير الذي يحدث في سلوك الإنسان، وفي معاملاته مع الآخرين وفي اتصالاته بهم، وفي اكتسابه مهارات جديدة وتتمية أخرى سابقة. والعمل على إنماء ما لديه من خلفيات معرفية، سواء كانت غريزية أو مكتسبة.

ومما تقدم نصل إلى نتيجة وهي أن التعلم تغيير في السلوك، وفي الخبرات السابقة، فيضيف عليها أشياء، أو يعدل بعضها حتى يتحسن سلوك الإنسان. فالتعلم إذن تحسّن<sup>32</sup> وتحصيل واكتساب معرفة عن موضوع أو مهارة عن طريق الدراسة أو الخبرة. كما أنه يكتسب عن طريق التعلم المستمر- نسبيا - في الميل السلوكي، وهو نتيجة لممارسة معززة.<sup>43</sup>

يتبين مما سبق أن التعلّم والتعلّم والاكْتِساب مفاهيم تشترك في معنى العِلْم واكتساب المعرفة والحثّ على تحصيلها.

## 2- مفهوم التعلیمیة: أ- لغة:

التعلیمیة مصدر صناعي قياسي، زيد في آخره حرفان هما ياء مشددة بعدها تاء مربوطة. ليصير بعد زيادة الحرفين اسماً دالاً على معنى مجرد (حسي) لم يكن يدلّ عليه قبل الزيادة. وهذا المعنى المجرد جديد هو مجموع الصفات الخاصة بذلك اللفظ نحو: إنسان فإنها اسم معناه الأصلي «الحيوان الناطق» فإذا زيد في آخره الياء المشددة وبعدهما تاء التأنيث المربوطة صار الكلمة إنسانية وتغيّرت دلالتها تغييراً كبيراً؛ إذ يراد منها في وضعها الجديد معنى مجرداً يشمل مجموعة الصفات المختلفة التي يختصّ بها الإنسان كالشفقة والرّحمة والمعاونة والإيثار والعمل النافع، ولا يراد الاقتصار على معناه الأوّل وحده ومثل: الاشتراكية والأسد والأسدية، والتقدّم والتقدّمية، وليس للمصدر الصناعي صيغ أخرى على صيغة الصيغ<sup>(5)</sup>.

## ب- اصطلاحاً:

التعلیمیة دراسة علمية محتويات التدريس ومواقف التعلّم والتعليم التي يخضع لها المتعلّم، بمعنى أنّها تدرس كلّ ما يتعلّق بالتعلّم والتعليم والتعلّم من أجل المتعلّم، فهي دراسة تصوغ نماذج ونظريات تطبيقية معيارية للوصول إلى الأهداف المرجوة. والتعلیمیة علم جديد ومتشعب، يحتاج إلى العديد من الكتب المتخصصة لتنظيمه وتقنيته، يهدف إلى الانتقال به من الجانب النظري إلى الجانب العلمي وذلك عن طريق الممارسة الميدانية، ليتحوّل بعدها إلى مهارات في سلوك المتعلّم والطّالب على حدّ سواء<sup>(6)</sup>.

لقد تعدّدت تعاريف التعلیمیة وذلك بحسب كلّ عالم والمنظور الذي يراه منها. فهي من منظور «لاند»: جزء من البيداغوجيا؛ حيث يتخذ هذا الجزء موضوعات، أمّا العالم «لايف» فهي في رأيه كلّ فعل أو خطوة يكون موضوعها التثقيف بوساطة التعلّم على أنّ معظم الدّارسين المهتمّين بهذا الحقل لجأوا إلى التّمييز في التعلیمیة بين نوعين أساسيين يتكاملان فيما بينهما بشكل كبير وهما:<sup>(7)</sup>

## التعلیمیة العامّة:

وتهتمّ بكلّ ما هو مشترك وعمّ في تدريس المواد جميعها، أي القواعد والأسس العامّة التي يتعيّن مراعاتها دون الأخذ بخصوصيات هذه المادّة أو تلك بالحسبان، فاهتمامها ينصب على القوانين العامّة التي تتحكم بالمنهاج، والتي تتعلّق بمختلف المواد الدّراسية.

## التعلیمیة الخاصّة (تعلیمیة المواد):

وتهتمّ بكلّ ما يخصّ تدريس مادّة من مواد التكوين أو الدّراسة من حيث طرائقها ووسائلها والأساليب الخاصّة بها. ولأنّه وجد تداخل بين الاختصاصيين فلا بدّ أن تتكافل كلّ الجهود في علوم التّربية والتعلّم من أجل النهوض بهذا الأخير (التعلّم) أو بالبيداغوجيا كلّها.

وبذلك يُمكن القول: إنَّ التَّعليمية العامَّة تُمثل الجانب التَّوليدي للمعرفة (أين يتم توليد القوانين والنَّظريات والمبادئ والتَّعميمات العامَّة للعملية التَّعليمية)، ومُثل تعليمية المواد الجانب التَّطبيقي لتلك المعرفة، أين يتم تطبيق تلك القوانين والمبادئ والتَّعميمات بمراعاة خصوصية المادَّة<sup>86</sup>.

### 3- مفهوم الترجمة وعوامل نجاحها:

لئن ارتبطت الترجمة بمعانٍ لغويةٍ أهمُّها: سيرة فَرْدٍ من الناس أو تاريخ حياته أو تفسير الكلام وشرحه أو التفسير لِمَا عَجْمٌ واستُغْرِبَ<sup>97</sup>؛ فإنَّ المنظرين والكتَّاب المترجمين يتفقون على أنها تعني من حيث الاصطلاح: «نقلُ كلامٍ أو نصٍّ من لغةٍ إلى أخرى». فابنُ المُفَّع (ت142هـ) عند ابنِ النَّدِيم (ت438هـ) أحدُ الثَّقَلَة مِنَ الفَارِسِيِّ إلى العَرَبِيِّ.<sup>108</sup> يُعدُّ عادل زعيتر أحدُهم في العهد الحديث. والنقل من لغةٍ إلى أخرى هو -في حقيقة الأمر- نقل نص من لغةٍ إلى نص في لغةٍ أخرى، مما يستدعي وجود نصين: نص الأصل أو (الأصل) ونص الترجمة أو (الترجمة) بمعنى النص المترجم.

إن اللغة التي يكتب بها نصُّ الأصل، تسمى «لغة الأصل»، واللغة التي ينقل إليها نص الأصل تسمى «لغة الترجمة». «وليس أيُّ نقلٍ لنصٍّ في لغةٍ ما إلى نصٍّ في لغةٍ أخرى هو الترجمة، إذ إنَّ للنقل قواعدَ محدَّدة لا بدَّ من أن نراعيها، وإلاَّ فقدنا الحقَّ في تسمية النص المترجم ترجمة.»<sup>116</sup>

لقد وضع الجاحظ (ت255هـ) الصفات الواجب توافرها في التُّرْجَمَان، حيث قال: «ولا بُدَّ للتُّرْجَمَانِ من أن يكونَ بَيَّاناً في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلمَ الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغيابة، ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الصَّيْمَ عليهما؛ لأنَّ كلَّ واحدة من اللغتين تجذبُ الأخرى، وتأخذ منها، وتعتزُّ عليها، وكيف يكون تمكُّن اللسان منهما مجتمعين فيه كتمكُّنه إذا انفردَ بالواحدة، وإمَّا له قوَّةٌ واحدة، فإنَّ تكلم بلغةٍ واحدة استغرعت تلك القوَّةَ عليهما، وكذلك إنَّ تكلمَ بأكثرَ من لغتين، على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات، وكلِّما كان البابُ من العلم أعمق وأضيق، والعلماءُ به أقلَّ، كان أشدَّ على المترجم وأجدر أن يُخطئ فيه، ولن تجدَ البتَّةَ مترجماً يفي بواحد من هؤلاء العلماء.»<sup>127</sup>

لقد رسم الجاحظ معالم نظرية متكاملة للترجمة ما زالت صالحة حتى يومنا هذا، وتقوم على:

1. الإلمام الكامل باللغتين المنقولة والمنقول إليها، وما يتصل بهما من نحو وإعراب.
2. الإلمام بموضوع الترجمة.
3. ضرورة البيان والتبيين، والمراجعة والتدقيق وتلافي الخطأ.
4. عُسْر ترجمة الشَّعر بل استحالة ذلك؛ فمتى تُرجم الشعر العربي فقد وزنه وسرَّ جماله.
5. ترجمة كتب الدين عويصة، وتستلزم شروطاً خاصة والخطأ فيها أضرُّ.
6. أهمية اللفظ، أي ما ينتظم بالألفاظ من الكلام، واستهداف القارئ.<sup>138</sup>

فالجاحظ وإن كان لا يلغي مبدأ الترجمة في شيء؛ إلاَّ أنه يعتقد أنَّ أكثر المترجمين مراساً قد يجد نفسه عاجزاً أمام بعض المصطلحات و التعابير التي لا يجد لها مقابلاً مطابقاً أو مكافئاً، فيضطر إمَّا إلى إهمالها في حالة العجز المطلق، أو الدوران حول معناها، أو شرحها ملاحظ على هامش الترجمة والتي يعدُّها بعضهم دليل ضعف؛ في حين يفترض في المترجم الجيِّد أن يكون في مستوى فكري لا يقلُّ عن مستوى

مؤلف النص الأصلي، وأن تتساوى معرفته بالموضوع معرفة المؤلف، وبانعدام هذا الشرط يسهل الوقوع في سوء فهم النص ويجعل الاطمئنان إلى عدم ضياع المرامي الدقيقة للنص عبر الترجمة أمراً غير مؤكد.<sup>149</sup> فالمترجم «لا يؤدي أبداً ما قال، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيقها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل، ويجب على الجري، وكيف يقدر على أدائها، وتسليم معانيها، والإخبار عنها على حقاها وصدقها، إلا أن يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصاريح ألفاظها، وتأويلات مخرجها، مثل مؤلف الكتاب وواضعه»<sup>150</sup>، عارفاً بـ «أبنية الكلام، وعادات القوم، وأسباب تفاهمهم».<sup>161</sup> وهو أمر أكدّه «جورج مونان» بعده بقرون ومبرزاً دور الثقافة في عملية الترجمة، بقوله: «ونحن نرى أن الترجمات كالتساء، فلكي تكون كاملة وافية، يجب أن تكون أمينة وجميلة معاً. ومن المؤكد أن هذه المثالية صعبة المنال، ولكنها المثالية التي يؤكدّها الجميع»<sup>172</sup>، الأمر الذي لا يحول دون تقديم النصح للمترجمين المجيدين، فلكي نترجم فإن معرفة اللغة وحدها لا تكفي، بل يجب أن نضيف إليها البلد الذي يتحدث هذه اللغة وعاداته وأخلاقه وحضارته وثقافته، وذلك عن طريق اتصالات مباشرة في البلد نفسه الذي يتحدث هذه اللغة.<sup>183</sup>

غير أنه «بدلاً من القول بأن كل شيء يمكن ترجمته أو أن كل شيء يتعذر ترجمته، فإنه يتعين علينا أن نبدأ بحصر منهجي لكل الوقائع غير القابلة للترجمة ووصفها في مدونة معينة».<sup>194</sup> وهذا التصنيف المنهجي يشكل في الوقت نفسه تصنيفاً لصعوبات الترجمة، والإلمام بهذه الصعوبات يشكل إحدى الخطوات الأولى لحلها والمتمثلة في البحث عن المنهج الأفضل أو الأسلوب الأمثل في الترجمة. والهدف الأول من وضع المناهج والأساليب هو تقنين عملية الترجمة بغية تضييق هوامش الخطأ فيها والارتقاء بهذا الفرع من فروع المعرفة إلى مستوى الرصانة العملية. ولا تشكل الحالات التي أمكننا إحصاؤها عن تعذر الترجمة، وهي حالات خاصة جداً، من الناحية العملية عقبات يصعب تجاوزها أو اتخاذها حجة دامغة لاستحالة الترجمة.<sup>205</sup> وهي بلا شك حالات نادرة، بسبب العقبات الناشئة عن اختلاف البنية النحوية لبعض اللغات إننا لا نجانب الصواب إذا رأينا في الإجابة على هذا السؤال ما رآه جورج مونان.<sup>216</sup> ويرى بعض الدارسين المحدثين أنه كان لحركة الترجمة أثرها في ازدهار الحضارة العباسية، إلا أن التراجم إجمالاً لم تخل من بعض الشوائب. فالإيهام في النصوص كان شائعاً والتفسير السيء مألوفاً. وقد يكون مردُّ هذا إلى التعابير التقنية في لغة الضاد، أو إلى النقل عن غير الأصل، أو إلى جهل بعضهم اللغة المترجم منها وإليها، أو كليهما معاً، علماً بأن الترجمة في تلك الأيام كانت تتم غالباً من السريانية، والترجمة السريانية بدورها عن اليونانية.<sup>227</sup> على أن الترجمة عملية شبه مستحيلة<sup>238</sup> خاصة إذا قام عليها غير المختص من الأفراد أو المجامع، غير المطلع من لغة بل لغات تتماثل فيها الكلمات مع بعضها بعضاً في اللغات المختلفة، فمثلاً يوجد فرق كبير، في الإنجليزية، بين الكلمتين «ape» (قرود كبير الحجم كالغوريلا)، و«monkey» (قرود صغير الحجم)، بينما توجد كلمة واحدة في اللغة الفرنسية للتعبير عنها، وهي «singe».<sup>249</sup>

فهل يستتبع هذا القول بأن متحدثي الإنجليزية يفهمون الفارق بين القرود الصغيرة والكبيرة بدرجة أكبر من متحدثي الفرنسية؟

من واقع تجربة (ر. ل. تراسك) فإن الأمر ليس بالبديهي؛ لأننا «نرى أن العديد من متحدثي الإنجليزية

ليس لديهم أي فكرة عما يميز هاتين المجموعتين من الحيوانات، ولذلك فهم يستخدمون كلمتي «ape» و «monkey» بالتبادل دون النظر إلى ما تعنيه كل منهما بدقة».<sup>2520</sup>

على أن هناك حالات أخرى أكثر تعقيداً، حين تعرض مجموعات من المعاني يتم تقسيمها في اللغات المختلفة إلى كلمات متباينة تماماً، تعبر الكلمات الإنجليزية «road» (طريق)، «street» (شارع)، «way» (ممر أو طريق) عن المعاني نفسها التي تعبر عنها الكلمات الفرنسية الخمس الآتية: «route»، «rue»، «chemin»، «voie»، «chaussée»، ولكن لا تماثل الكلمات الإنجليزية أيّاً من الكلمات الفرنسية، ينطبق الأمر ذاته على الكلمات الإنجليزية «hard» (صعب)، «harsh» (قاس)، «rough» (خشن) والكلمات الفرنسية «dur»، «rê»، «che»، «rude»، «àpre»، «rigoureux»، وبالمثل الكلمات الإنجليزية «large» (واسع)، «big» (كبير)، «great» (عظيم)، «grand» (فخم) و الكلمات الفرنسية، نحو «grand»، «gros»، وهكذا.<sup>2621</sup>

فإذا كان هذا حال ترجمة تميل نحو العُسر بين لغتين، يتحدثانها بلدان تتشابه تقاليد مجتمعاتهما وتتقاسمان الخلفية الثقافية نفسها، فإلى أي مدى تبلغ صعوبة الترجمة بين لغتي مجتمعين تتباين عاداتهما وخلفياتهما الفكرية على نحو ما هي عليه الفرنسية والعربية أو الإنجليزية والعربية؟

### ثالثاً- الترجمة الحضرية وبعتماد وسائل متعدّدة:

الترجمة مثلها مثل كل التخصصات، تعددت مجالاتها وتنوعت، ومن بين هذه التخصصات نجد «تعليمية الترجمة»، ويسعى أهل الاختصاص إلى تهيئة الظروف الملائمة والوسائل المساعدة لنجاح عملية تعليمها، وقد طُرحت أسئلة عديدة حول هذا الفرع -تعليمية الترجمة- وهي الأسئلة نفسها التي طُرحت بخصوص تعليمية اللغات كما سُنشير فيما سيأتي، ونظراً للتطور الحاصل بفضل الوسائل الإلكترونية أصبحت الترجمة تعتمد على وسائل متعدّدة وتتم عن بعد، بعدما كانت تعتمد على الحضور وعلى وسائل جدّ محدودة، كل هذا نعالجه في عنصرين أساسيين، هما:

### أ- تعليمية الترجمة:

يُقصد بتعليمية الترجمة تعليم عملية النقل اللغوي والمعنى وتحويل الخطابات لجمهور متعلمين لا يُتقنون اللغة الأخرى إتقاناً جيداً.<sup>(27)</sup> بمعنى أن معلّم الترجمة يُساعد المتعلّم على إتقان عملية تحويل الخطابات من لغة إلى أخرى. وتبنى تعليمية الترجمة بشكل عام على العلاقة بين المعلّم (Formateur) والمتعلّم (Apprenant) العلاقة الجيدة التي تهدف لتحسين المعارف المكتسبة (Connaissances) الخاصة بالكفاءة الترجمة، والتي تعتمد على فهم المترجم الجيد للغة الأصل والقدرة على التحرير باللغة الهدف (Savoir faire du traducteur) مع معرفة كلتا الثقافتين المنقول منها والمنقول إليها<sup>(28)</sup>. ووضعت اللبّات الأولى لتعليمية الترجمة خلال ستينات وسبعينات القرن الماضي، وتميزت هذه المرحلة بالبدايات الأولى لهذا الفرع، وكانت الطريقة والمنهجية المعتمدة في تدريسها جدّ محدودة، وقد أشارت «جان دانسان» إلى ذلك بقولها: كان يُقال للمتعلّمين أمام انعدام المنهجية البيداغوجية الصارمة والتدريجية بشكل صريح (افعلوا كما أفعل)، وهذه الترجمة جيدة وتلك سيئة)، وكانت الطريقة الفريدة المنتهجة هي الطريقة المتماشية مع الهدف الوحيد المتمثل في ترجمة مقتطفات من نص ما من الحصة الأولى إلى غاية الحصة الأخيرة، ومن البكالوريا إلى الأستاذية<sup>(29)</sup>.

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن تعليمية الترجمة في ذلك الزمن أو في بداياتها لم تكن تعتمد منهجية معينة ومعايير علمية وضوابط يتبناها «معلم الترجمة» أو وسائل يستعين بها، بل كانت مقتصرة على ترجمة بعض النصوص، ثم محاولة النسخ على منوالها. وبعد ذلك أصبحت تعتمد بيداغوجية معينة تتخذها مساراً لإنجاح عملية تعليم الترجمة في مستويات عدة، باعتماد مناهج وطرائق معينة وكذلك الاستفادة من العلوم الأخرى في عملية التقييم، وتحديد الأهداف المبتغاة من كل حصة تعليمية، وهو ما أشارت إليه جل الدراسات وسطرته تحت مكونات الترجمة، ونعرض هذه المكونات في العناصر التالية<sup>(30)</sup>:

### تعليمية مادة دراسية:

بالنسبة لتدريس مادة الترجمة فإن المطلوب هو معرفة ماذا ندرس؟  
أي: ما هي المواد المقترنة بتدريس الترجمة، وما هو المحتوى التدريسي.

### المنهج والطريقة:

وتنشغل تعليمية الترجمة في هذا المستوى بالإجابة عن السؤال: كيف ندرس؟ (أي المناهج والطرائق).

### الاستفادة من العلوم الأخرى:

ففي عملية التقييم يمكن الاستفادة والاستعانة بطرائق التقييم في علم النفس واللسانيات...

### تحديد الأهداف والتي تبنى عادة على الأركان التالية:

- التحضير المسبق للدرس.
  - تسطير الأهداف داخل قاعة التدريس.
  - الترابط بين الاختبار ونوعية التعليم والتقييم.
- فأهم خطوة هو تحديد -مدرس الترجمة- للهدف المبتغى من درسه بمراعاة مستوى طلابه والوسائل المتاحة لديه، وكذلك اتخاذ التقييم معياراً أساسياً في كل حصة لمعرفة مستوى المتعلمين ومدى تجاوبهم مع الحصة.

وترتبط تعليمية الترجمة عند (إ. لافو) بوظيفتين هما<sup>(31)</sup>:

### الوظيفة التفسيرية:

ويتم تكوين المترجم في المصطلحية والمعجمية والنحو.

### وظيفة المراقبة:

ويتعلم فيها الدارس وظيفة النقل.

وفيما يخص الوظيفة التفسيرية» فمهمتها إعداد كفاءة اللغّة التي يفتقر لها جمهور دارسي الترجمة في اللغّة المنقول منها، ومقابلتها بالكفاءة الحاصلة في اللغّة المنقول إليها، إذ يشترط في دارس الترجمة أن ينهج هذا النهج تحقيقاً لمبدأ من مبادئ التعليميّة، وهو التدرج من السهل إلى الصعب، ويحصل هذا الأمر بالتحويل إلى اللغّة التي نقلت إليها الملكة، أما «وظيفة المراقبة» فينتج عنها تقويم الكفاءة اللغوية وشحذ كفاءة الترجمة القائمة على التحويل الصحيح، ولا يحصل هذا الأمر إلا بالفهم. فاللغّة المنقول إليها على هذا الأساس هي دعامة عمل المترجم لسهولة النقل<sup>(32)</sup>.

أما عن مجال البحث في تعليمية الترجمة فتشير الدراسات العلمية إلى أنه خلال انعقاد مؤتمر كوبنهاجن للسانيات التطبيقية سنة (1972م)، اقترح «جيمس هولمز» تفرد البحث العلمي بتخصص الترجمة ومن خلالها تعليميتها، وفي سنة 1999 حددت (هورتاد وألبير) مجالات تعليمية الترجمة، وهي: تقويم الترجمة، وتعليمية الترجمة، والترجمة في حقل تعليمية اللغات، وتعليمية اللغات وتعليم الترجمة المهنية، ولا يمكن البحث في مجال تعليمية الترجمة إلا من خلال تعليمية اللغات<sup>(33)</sup>. ولتدريس الترجمة أهداف عدة لخصتها «كريستين دوريو» (C. Durieux) في النقاط التالية<sup>(34)</sup>:

- تدريس لغة أجنبية ما: يتخذ استعمال الترجمة في هذه الحالة منحى لغوياً، حيث تصبح نقطة تلاقي لغتين مختلفتين يتسنى عبرها إبراز الفوارق بينهما.
- تكوين أساتذة اللُّغة: إنّ تكوين أساتذة اللُّغة يندرج في إطار العملية التعليمية التعلّمية للُّغة، وتوجد
- أيضاً الترجمة كأداة تُساهم في تكوين مدرسي اللُّغة.
- تكوين مترجمين مهنيين: فالهدف درس الترجمة ليس الترجمة في حدّ ذاتها، وإنما اكتساب الكفاءات
- اللسانية والمعارف المختلفة التعلّم
- تكوين مكونين في الترجمة: في هذا الإطار ضرورة حتمية تفرض نفسها وهي حصر الفئات المستهدفة أثناء تعليمية الترجمة.
- ونظراً إلى عدم إمكان تدريس الترجمة بأكملها نظر المختصون إلى انتقاء محكم للعناصر الضرورية باعتماد مدونة كبيرة، وكان الاختيار في ظل البنيوية يتم بالتخفيض القائم على الاقتصاد اللغوي، في حين تلجأ المقاربة التواصلية إلى خيار تخفيض حجم المدونة وتحديد مضمونها وجعلها تناسب حاجات المتعلّم.
- وبناءً على ذلك، لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار مجموعة من العناصر التي لا يمكن أن تحقق التفاعل الأمثل إلا وفق منهجية محددة والتي تشتمل على المسائل الآتية<sup>(35)</sup>:
- التحميل اللساني للمادة المدروسة، والبلاغية منها: وذلك بغية بناء استراتيجية للتعلّم عبر الممارسة اللغوية المختصة وليس من خلال تلقين قضايا اللغة.
- اختيار المادة التعليمية: على المعلّم اختيار المادة التي تناسب تلاميذه والتي يحتاجونها في حياتهم وفق مستواهم والوقت المقرّر لذلك، مستعيناً في ذلك بنتائج الدراسات اللسانية الإحصائية لاختيار المسائل اللغوية التي يجب إتقانها لتدريسها وفق الهدف المحدّد.
- التدرج في تعليم المادة اللُّغوية: وهو أمرٌ يخدم الاكتساب اللغوي ويتماشى مع طبيعته؛ لذلك فعلى معلّم اللغة أن يحسن اختيار المادة التعليمية التي سيدرسها على مراحل كما وجب عليه التدرج في المسائل التي سوف يتطرّق إليها.
- عرض المادة اللُّغوية، والبلاغية منها: وهو موضوع الدرس، ويُراعى تقديم المادة بصورة واضحة ومختلف وسائل عرضها كالكاتب، و السبورة، و التسجيل وهذه المنهجية على علميتها ليست صارمة وهي تشتمل على تحديد شكل اللُّغة ومراحل تعميمها، و ترتيب هذه المراحل، غير أن

وحدات العرض يجب أن تخضع لتقسيم الوقت بين الوحدات، كما تخضع لتطوير إدراك اللغة والتعبير بها، على أن التحصيل التربوي تحكمه عدّة عوامل نفسية وأخرى اجتماعية واقتصادية، ترجع إلى طبيعة الفروق الفردية أو إلى طبيعة التّوجيه الذي قد يحیی الرغبة في الدّراسة أو النّفور منها، وهو ما يؤثّر على نوعيّة التّحصيل سلباً أو إيجاباً<sup>(36)</sup>.  
وانطلاقاً ممّا سبق نستنتج أنّ تعليميّة التّرجمة تحتاج إلى مخطّط واضح يُسطره مدرس هذا المقياس لخصوصيته، بالاستعانة بوسائل تساعد في مهمته مراعيّاً الهدف من درسه ومستوى المتعلمين، ولا يتأتّى ذلك إلا بالتّخطيط واتباع مناهج واضحة، والتّنظيم، والتّدرج في عرض المادّة.

### 2- تعليمية الترجمة عن بعد:

نظراً للتّطور المستمرّ الذي يشهده العالم بفضل انتشار الوسائل التكنولوجيّة والتّقنيات الحديثة، مسّ هذا التّطور حتى ميدان التّرجمة بمختلف تخصصاته، وأصبح يعتمد على وسائط متعدّدة في تحقيق الأهداف المبتغاة والمنشودة، ويُعرّف (Gal breath) الوسائط المتعدّدة بأنّها: «برامج تمزج بين الكتابات والصّور الثابتة والمتحرّكة والتّسجيلات الصّوتية والرّسومات الخطيّة لعرض الرّسالة، وهي التي يستطيع المُستخدم أن يتفاعل معها مستعيّاً بالكمبيوتر»<sup>(37)</sup>. وتحتوي برامج الوسائط المتعدّدة الكمبيوترية على مجموعة من العناصر المتفاعلة والتي تعمل في منظومة متكاملة تهدف إلى تحقيق الأهداف الاتّصاليّة والتّعليميّة، والتّعبير عن الموضوعات بصورة أفضل بتوظيف إمكانيات جهاز الكمبيوتر<sup>(38)</sup>.

وما يهمنا في مداخلتنا الوقوف على خصائص وكيفيّة الاستعانة ببعض الوسائط المتعدّدة في تحقيق أهداف تعليميّة التّرجمة عن بعد، ويكون ذلك مبنياً على ضوابط وأسس لاختيارها، ونذكر هذه الأسس والمعايير في النقاط التّاليّة<sup>(39)</sup>:

- مناسبة الوسائط للأهداف التّعليميّة: ينبغي مواءمة الوسيلة للهدف المتطلب تحقيقه من تدريس التّرجمة.
  - ملاءمة الوسائط لخصائص المتعلمين: مناسبتها لقدراتهم العقليّة والمعرفيّة.
  - صدق المعلومات: ينبغي أن تكون المعلومات التي تقدّمها الوسائط صادقة ومطابقة للواقع وأن تُعطي صورة متكاملة عن الموضوع.
  - مناسبة الوسائط للمحتوى: تُسهّم عمليّة تحديد ووصف محتوى الدّرس في كيفيّة اختيار الوسيلة التّعليميّة الملائمة لذلك المحتوى.
  - اقتصاديّة؛ بمعنى أنّها ينبغي أن تكون غير مكلفة والعائد التّربوي منها مناسب لتكلفتها.
  - إمكانيّة استخدامها مرات متعدّدة: يجب أن تتميّز الوسائط بإمكانية استخدامها أكثر من مرّة.
  - المتانة في الصّنع ومراعاة السّمات التّقنيّة والفنيّة وتحديد الأجهزة المتاحة ومناسبتها للتّطور العلمي والتّكنولوجي وتعرّف خصائصها وإمكانيّة زيادة قدرة المتعلّم على التأمّل والملاحظة من خلالها، وأن تكون سهلة التّعديل أو التّغيير بما يتناسب وطبيعة الموضوع.
- والسؤال الذي يُطرح في هذا المقام هل تعليميّة التّرجمة عن بعد تراعي هذه الأسس؟  
الإجابة عن هذا السؤال يتطلّب بحثاً آخر بالاستعانة باستبانات موجهة إلى الطّلبة وأخرى موجهة

إلى معلمي الترجمة؛ لتكون الدراسة أكثر دقة، فنحن في مداخلتنا أشرنا إلى أهم ما يجب مراعاة عند تدريس الترجمة.

وبذلك، تتطلب تعليمية الترجمة عن بعد أيضًا برنامجًا معينًا لنجاح العملية التعليمية بالاستعانة بوسيلة من الوسائط التعليمية الحديثة، من خلال برمجة جملة من المقاييس التي تخدم الغرض والهدف المنشود نظريًا، ثم تطبيقًا باستثمار الجانب النظري؛ لأن الترجمة في حقيقتها هي ممارسة.

### الخاتمة:

توصلنا بعد معالجتنا لمسألة: «تعليمية الترجمة بين الحضور وتعدّد الوسائط»، إلى جملة من النتائج نعرضها في النقاط التالية:

- \* يجب أن تتوفر مجموعة شروط في الترجمان، وهي: الإلمام بموضوع الترجمة، والإلمام باللّغة الأصل وباللّغة المنقول إليها. وهو ما ينطبق على معلّم الترجمة يجب أن يكون ملهمًا بحوثيات اللّغات المترجم منها والمترجم إليها، مع ضرورة التّفقه في طرائق التدريس وأساليبه، وشروط اختيار الوسائط التعليمية وملاءمتها لمستوى المتعلمين من جهة، وانسجامها مع المحتوى المعرفي المخصّص من جهة أخرى.
- \* إنّ ضوابط تعليمية الترجمة سواءً أكانت حضورية أم عن بعد يجب أن تتم وفق برنامج معيّن يُسهل عمليتها، وتتبع المنهاج، واختيار الطرائق المناسبة للموضوع، والاستعانة بجملة من الوسائل التعليمية أمر ضروري؛ لنجاح العملية ولتخريج طلبة لهم كفاءة الترجمة الاحترافية، وهذه الأمور لا تقتصر على تعليمية الترجمة الحضورية، بل حتى تعليميتها عن بعد تشترط نظامًا متسلسلاً في عرض المادّة وفق منهاج، وكلّ ذلك بمراعاة لمستوى المتعلمين، ويتم ذلك من قبل متخصصين في الميدان؛ لضمان نجاح تعليمية الترجمة وجودتها.
- \* إنّ اعتماد الوسائط المتعدّدة في تعليمية الترجمة تخضع لضوابط ومعايير معينة، إذ يجب أن تكون ملائمة للأهداف التعليمية التي يسطرها معلّم الترجمة المختصّ أولاً؛ لضمان نتائج ذات جودة عالية.

## الهوامش:

- (1) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ من الآية 61 من سورة الزخرف.
- (2) ينظر: ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ-1979م، 4/109-110، مادة(علم)، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، دت، 4/155، مادة(علم)، وإبراهيم أنيس و آخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، دت، 2/624، مادة (علم).
- (3) 2- ينظر: محمد وطاس، الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، الجزائر، 1988م، ص20.
- (4) ينظر: دوجلاس براون، أسس تعلّم اللغة وتعليمها، ترجمة عبده الراجحي وعلي، أحمد شعبان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994م، ص25.
- (5) سمير محمد كريت، منهاج المعلم والإدارة التربوية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دب، ط 1، 1998 م، ص22.
- (6) علي عوينات، التعليمية البيداغوجية، الملتقى الوطني حول تعليمية المواد في النظام الجزائري، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة الجزائر، أفريل 2010 م، ص6.
- (7) محمد المباشري، الخطاب الديدكائتي بالمدرسة الأساسية بين التصور والممارسة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 2002 م، ص 20.
- (8) ينظر: عبد القادر لورسي، المرجع في التعلیمیة: الزّاد النفیس والسّند الأنیس في علم التّدريس، جسور للنشر والتّوزيع، الجزائر، دط، 2016م، ص 27، 28.
- (9) ينظر: الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 3، بيروت، 1984م، 5/1928، مادة (رجم)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 4/84، مادة (ترجم).
- وابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1956م، 12/229، مادة(رجم). والمعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، دت، 1/83، مادة (ترجم).
- (10) ابن النديم، الفهرست، تحقيق مصطفى الشويبي، تونس: الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م. ص 523.
- (11) ينظر: أسعد مظفر الدين حكيم، علم الترجمة النظري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، دط، 1989م، ص40.
- (12) الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد بن هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1969م، 76/1-77.
- (13) ينظر: محمد الديدواوي، الترجمة والتواصل: دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، دط، 2000م، ص84-87. والجاحظ، الحيوان، 1/74-79.
- (14) ينظر: إنعام بيوض منور، الأساليب التقنية للترجمة: دراسة نقدية مقارنة لأساليب الترجمة من منظور الأسلوبية المقارنة لـ «فيني ودارليني، وتطبيقاتها على الترجمة الأدبية في ترجمات كتاب «النبی» لجران

- خليل جبران، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الترجمة في جامعة الجزائر، 1992م، ص2.
- (15) الجاحظ، الحيوان، 76-75/1.
- (16) المرجع نفسه، 78/1.
- (17) 12-جورج مونان، علم اللغة والترجمة، علم اللغة والترجمة، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم ومراجعة أحمد فؤاد عفيفي، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2002م، ص105.
- (18) المرجع نفسه، ص51.
- (19) المرجع نفسه، ص33.
- (20) إنعام بيوض، الأساليب التقنية للترجمة، ص4.
- (21) جورج مونان، علم اللغة والترجمة، ص51. و. ل. تراسك، أساسيات اللغة، ترجمة رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002م، ص53-54.
- (22) جبرا جميل، جبرا، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، دط، ص96-97.
- (23) في حالات أخرى تكون الترجمة صعبة أو حتى مستحيلة، وهي بلا شك حالات نادرة، بسبب العقبات الناشئة عن اختلاف البنية النحوية لبعض اللغات. ينظر: جورج مونان، علم اللغة والترجمة، ص51. و. ل. تراسك، أساسيات اللغة، ص53-54.
- (24) ر. ل. تراسك، أساسيات اللغة، ص69.
- (25) المرجع نفسه، ص70.
- (26) ر. ل. تراسك، أساسيات اللغة، ص69-70.
- (27) سعيدة كحيل، تعليمية الترجمة المصطلحية، الممارسات اللغوية، المجلد 2، العدد 1، 88، 89.
- (28) أحلام حال، تعليمية مواد اللغة العربية وطرائق تعليمها بين الألسن النظرية والإجراءات التطبيقية- واقع تعليمية المواد واستراتيجيات تفعيلها اليوم، مقال ضمن الكتاب الجماعي: تعليمية مواد اللغة العربية وطرائق تعليمها- بين الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، ط1، 2020م، ص34.
- (29) ينظر: الأزهر بوغمبوز، تعليمية الترجمة: دراسة حالات وحلول بديلة، أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الترجمة- عربي- فرنسي، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2008م، ص44، 45.
- (30) ينظر: محمدي رياحي نادية، من التعلیمیة إلى الترجمة، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة وهران، قسم الترجمة، -2009 2010م، ص4، 5.
- (31) سعيدة كیحل، تعليمية الترجمة المصطلحية، ص89.
- (32) المرجع نفسه، ص89.
- (33) ينظر: المرجع نفسه، ص89.
- (34) ينظر: ابتسام لیلی بن عیسی، إسهامات لغة الاختصاص في تعليمية الترجمة، رسالة بحث لنيل شهادة دكتوراه في الترجمة، جامعة وهران 1--، أحمد بن بلّة، معهد الترجمة، -2016 2017، ص78.

## تعلیمیة الشَّرْجَمَة بین اکْضور وتعدو الوسائط

- (35) ينظر: بلجيلالي خيرة: المقاربة التواصلية وأثرها في ترقية الدرس التداولي، مجلة عجمان للدراسات والبحوث، المجلد 17، العدد 1 / 142-143.
- (36) ينظر: عبد الرحمن العيسوي، علم النفس بين النظرية والتطبيق، دط، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1984م، ص 198.
- (37) لؤي الزعبي، الوسائط المتعدّدة، منشورات الجامعة الافتراضية السّوريّة، الجمهوريّة العربيّة السّوريّة، دط، 2020م، ص 7.
- (38) ينظر: لؤي الزّعبي، الوسائط المتعدّدة، ص 28.
- (39) ينظر: بناني شهرزاد، المتعلّم وتكنولوجيا الوسائط المتعدّدة- بحث في شروط الإدماج الناجح، مقال ضمن الكتاب الجماعي: تعليمية مواد اللّغة العربيّة وطرائق تعليمها - بين الأسس التّظريّة والإجراءات التّطبيقيّة، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، ط 1، 2020م، ص 218، 219.

## المصادر والمراجع:

\*القرآن الكريم

- (1) ابتسام ليلي بن عيسى، إسهامات لغة الاختصاص في تعليمية الترجمة، رسالة بحث لنيل شهادة دكتوراه في الترجمة، جامعة وهران 1-، أحمد بن بلّة، معهد الترجمة، 2016- 2017.
- (2) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، دت.
- (3) الأزهر بوعمبوز، تعليمية الترجمة: دراسة حالات وحلول بديلة، أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الترجمة- عربي- فرنسي، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2008م.
- (4) أحلام حال، تعليمية مواد اللغة العربية وطرائق تعليمها بين الألسن النظرية والإجراءات التطبيقية- واقع تعليمية المواد واستراتيجيات تفعيلها اليوم، مقال ضمن الكتاب الجماعي: تعليمية مواد اللغة العربية وطرائق تعليمها- بين الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، ط1، 2020م.
- (5) أسعد مظفر الدين حكيم، علم الترجمة النظري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، د ط، 1989م.
- (6) إنعام بيوض منور، الأساليب التقنية للترجمة: دراسة نقدية مقارنة لأساليب الترجمة من منظور الأسلوبية المقارنة لـ «فيني ودارليني، وتطبيقاتها على الترجمة الأدبية في ترجمات كتاب «النبي» لجبران خليل جبران، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الترجمة في جامعة الجزائر، 1992م.
- (7) بلجيلالي خيرة: المقاربة التواصلية وأثرها في ترقية الدرس التداولي، مجلة عجمان للدراسات والبحوث، المجلد 17، العدد 1.
- (8) بناني شهرزاد، المتعلم وتكنولوجيا الوسائط المتعددة- بحث في شروط الإدماج الناجح، مقال ضمن الكتاب الجماعي: تعليمية مواد اللغة العربية وطرائق تعليمها - بين الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، ط1، 2020م.
- (9) الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد بن هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1969م.
- (10) جبرا جميل، جبرا، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، دط، دت.
- (11) جورج مونات، علم اللغة والترجمة، علم اللغة والترجمة، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم ومراجعة أحمد فؤاد عفيفي، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2002م.
- (12) الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984م.
- (13) دوجلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة عبده الراجحي وعلي، أحمد شعبان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994م.
- (14) ر. ل. تراسك، أساسيات اللغة، ترجمة رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002م، ص 53-54.

- (15) سعیده كحیل، تعلیمیة الترجمة المصطلحيّة، الممارسات اللّغويّة، المجلد 2، العدد 1.
- (16) سمیر محمد كريت، منهاج المعلم والإدارة التربويّة، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، دب، ط 1، 1998م.
- (17) عبد الرحمن العيسوي، علم النفس بين النظرية والتطبيق، دط، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1984م.
- (18) عبد القادر لورسي، المرجع في التعلیمیة: الزّاد النفيس والسّند الأنيس في علم التّدريس، جسور للنشر والتّوزيع، الجزائر، د ط، 2016م.
- (19) علي عوينات، التعلیمیة البيداغوجية، الملتقى الوطني حول تعلیمیة المواد في النظام الجزائري، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربويّة، جامعة الجزائر، أبريل 2010 م.
- (20) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ-1979م.
- (21) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، دت.
- (22) لؤي الزعبي، الوسائط المتعدّدة، منشورات الجامعة الافتراضيّة السّوريّة، الجمهوريّة العربيّة السّوريّة، دط، 2020م.
- (23) محمد الديدواوي، الترجمة والتواصل: دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، دط، 2000م.
- (24) محمد وطاس، الوسائل التعلیمیة في عملية التعلّم عامة وفي تعليم اللغة العربيّة للأجانب خاصة، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، د ط، الجزائر، 1988م.
- (25) محمد المباشري، الخطاب الديداكتيكي بالمدرسة الأساسيّة بين التّصور والممارسة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 2002 م.
- (26) محمدي رياحي نادية، من التعلیمیة إلى الترجمة، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة وهران، قسم الترجمة، 2009-2010م.
- (27) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1956م.
- (28) ابن النديم، الفهرست، تحقيق مصطفى الشومي، تونس: الدار التونسيّة للنشر والمؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985م.

# وصف الكرم بين مسلم بن الوليد وأبي تمام [دراسة نقدية مُوازنة]

أستاذ مساعد - كلية اللغة العربية  
جامعة أم درمان الإسلامية

د. عبدالله موسى سليمان أيّوب

## ملخص البحث:

هذا بحث مختصر في وصف صفة الكرم عند كل من الشاعر مسلم بن الوليد، والشاعر أبي تمام العباسيين، يهدف إلى الموازنة بينهما، وإبراز أماكن الجودة والرداءة في وصف الكرم عندهما. ابتدأه الباحث بمقدمة بيّن فيها أصالة الدراسة، وأهدافها، ومنهجها، ومحتوياتها، ثم عرّف بإيجاز عن الشاعرين اللذين تقوم الدراسة على شعرهما، وهما: مسلم بن الوليد الأنصاري، وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي. ثم عرّف الباحث صفة الكرم بمدلوليها اللغوي والاصطلاحي، مع ذكر تعلّق العرب عامة بهذه الصفة الحميدة الجميلة، وأنها تمثّل الأصالة العربيّة. ثم باشر الباحث دراسته بذكر صفة الكرم خاصّة عند كل من مسلم بن الوليد وأبي تمام؛ حيث جعلها مكاناً للتقدير والاهتمام، فوصف كل منهما بمدوحه بهذه الصفة في كثير من الأحيان. وبعد ذلك أتى الباحث بنماذج لكل منهما في وصف الكرم، ووازن بينهما من حيث التعبير عن معاني صفة الكرم، وذلك بعد الشرح والتحليل لكل نموذجين، ثم يُصدر حكمه النقديّ في ذلك. ثم ختم الباحث دراسته بذكر ما توصل إليه من أهمّ النتائج التي أهمّها: أنّ ممدوحِي مسلم بن الوليد وأبي تمام بالغوا في البذل والعطاء، حتّى ولو أدّى ذلك فقد مهجهم وأرواحهم. ادّعى الشاعران أنّ صفة الكرم لصيقة بممدوحيه لا تنفك عنهم. أنّ وراء احتجاب الممدوح أملاً كبيراً وليس خيبة رجاء. وأخيراً زيّل الباحث دراسته بالهوامش والمصادر والمراجع.

## Description of generosity between Muslim bin Al- Waleed and Abu Tammam

Abdalla Mosa Suliman Ayoub

### Abstract:

This is a brief research in describing the trait of generosity for the Poet Muslim bin Al Waleed, and the poet Abi Tammam Abbasis and aimed to balance between them, and to highlight places of quality and want to describe generosity with them both.

The researcher started with an introduction between the authenticity of the study, its objectives, and its purposes, and its contents, and then briefly introduced the poets in which the study is about.

The researcher then defined generosity linguistically and terminally, with mentioning the attachment of the Arabs generally to that beautiful trait and that it describes Arabic authenticity.

Then, the researcher proceeded to mention the characteristic of generosity, especially with each of the poets: Muslim bin Alwaleed and Abu Tammam; Where the researcher for appreciation and attention, they described each of them often.

The researcher then came with two models in the description of generosity, and balancing them in terms of expressing the meanings of, after explanation and analysis of all two models, and then issued his monetary judgment.

Then the researcher concluded the study by mentioning its most important results: that the praises of bin Al Waleed and Abi Tammam were very good and giving, even if this has led to the loss of their souls and lives. The poets claimed that generosity description of their praises and that behind the protagonist of their praises is great hope and not disappointed.

Finally, the researcher concluded the research by adding footnotes, sources and references.

## مقدمة:

الحمد لله الذي الإنسان وعلمه البيان، وصلى الله على من كان حُجَّةً في البلاغة والفصاحة والتَّبيان، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا لُنُصرة دينه كالبُنيان، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وبعد:

فإنَّه لما كانت صفة الكرم من الصِّفات العربيَّة الأصيلَّة، وكان الشعراء يتنافسون في وصفِ مَنْ يتَّصف بها بأروع الصفات وأجملها؛ فإنَّ الباحث أراد أن يكشف عن بعض هذه الروعة وبعض هذا الجمال عند بعض الشعراء، وذلك إبرازًا لأصالة اللغة العربيَّة؛ إذ إنَّ اللغة تكون أصليَّة بأصالة قومها الناطقين بها، وتكون هامشيَّة بهامشيَّهم كذلك. وكان العصر العبَّاسي أكثر العصور ارتقاءً بأداب اللغة العربيَّة؛ حتَّى سمَّاه الباحثون (العصر الذَّهبي للأدب العربيِّ)، وهو - كذلك - العصر الَّذي ابتكر فيه الشعراء كثيرًا من المعاني في سبيل الوصول إلى أهدافهم في أيِّ غرض من أغراض الشعر العربيِّ؛ فلهذا اختار الباحث من هذا العصر شاعرين مدَّاحين متفوقين، ليوافق بينهما في التعبير عن معاني صفة الكرم، ويكشف عن تفوُّق أحدهما على صاحبه، أو مساواتهما، وذلك في مثال يأخذه شعرهما. وهذا الشاعران هما: مسلم بن الوليد الأنصاري، وحبیب بن أوس الطائي.

وإنَّما تمَّ اختيار هذين الشاعرين العلمين لينال هذا البحث شيئًا من الجِدِّيَّة والأصالة والانتظام؛ وذلك لأنَّ الكلام يتأصل بأصالة قائله.

## أهداف الدراسة:

- إبراز قدرة اللغة العربيَّة على التعبير عن معنى واحد بشتَّى الأساليب والطرق.
- تطوير مادة النقد الأدبي من النظريَّة التقليديَّة إلى العمليَّة المحكَّمة.
- الإسهام في الحركة النقديَّة في الأدب العربي، والارتقاء بالذوق الفنِّي في النقد.
- فتح طريق عمليٍّ للنقد وإعمال فكر الناقد، وبعث روح الحياديَّة فيه عند إصدار الحكم النقدي.

## مكونات الدراسة:

- مقدمة.
- التعريف بمسلم بن الوليد وأبي تمام.
- التعبير عن صفة الكرم عند مسلم بن الوليد وأبي تمام، ونقدتهما في ذلك.
- خاتمة.
- هوامش الدراسة.
- المصادر والمراجع.

## منهج الدراسة:

اتبَّع الباحث في هذه الدراسة ( المنهج الوصفيِّ التحليليِّ ) حيث يقوم بإيراد معنى من معاني الكرم من كلِّ من الشاعرين، ثم يقوم بالتحليل والموازنة بينهما، ومن ثمَّ يصدر حكمه النقديِّ، ويفعل ذلك في مثال أخذه من الشاعرين. ويتمنَّى الباحث أن يكون قد أسهم ببحثه المتواضع هذا في الحركة النقديَّة في الأدب العربيِّ. ونسأل الله الإعانة والتوفيق.

## توطئة : التعريف بصريع الغواني وأبي تمام: صريع الغواني:

هو أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري مولى أسعد بن زرارة الخزرجي ويعرف بصريع الغواني ، وهو كوفيّ نزل بغداد ، وكان مَداحًا مجيداً مفوَّهاً بليغاً ، مدح هارون الرشيد والبرامكة. والرشيد سماه صريع الغواني<sup>(1)</sup>. ولد مسلم بن الوليد في الكوفة في العقد الخامس من القرن الثاني الهجري ترجيحاً من واقع أحداث حياته وارتباطها بمناسبات معينة ، فهو عَبَّاسِيّ المولد . ومدينة الكوفة على عهده جمعت بين النقيضين من علم ودين وتقوى من جانب، ومن خلاعة ومجون وزندقة وانحراف من جانب آخر، غير أنّ بيت مسلم كان بيت علم ، ومن ثَمَّ نشأ مسلم نشأة بعيدة نوعاً ما عن التطرف والتورط والانزلاق الذي غرق فيه إخوانه وأترابه. لقد أخذ من اللذة الماديّة بنصيب ، ولكن ليس إلى الحدّ الذي ينظمه في سلك المتطرفين الغالين في المجون من أمثال أبي نواس وبقية عصابة المجان<sup>(2)</sup>.

عاش مسلم في أوّل أمره حياة طيِّبةً ، ثمّ نفذ ما عنده من قوة ومال بسبب شجاعته وكرمه، فتراكت عليه المصائب والكوارث ، وصارت تنخر عظامه حتى جاء ميعاد رحيله ، ووافته المنيّة في سنة ثمانٍ ومائتين من الهجرة المشرفة .

على أنّ محمد بن شاكر الكتبي يخالف معظم الباحثين ، وقرّر في كتابه «فوات الوفيات» أنّ مسلماً توفي سنة مائتين فقط من الهجرة<sup>(3)</sup>.

### أبو تمام:

هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجّ بن يحيى بن مروان بن مر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدي بن عمرو بن الغوث بن طيئ<sup>(4)</sup>.

ولد في قرية « جاسم »<sup>(5)</sup> في إقليم دمشق في آخر خلافة هارون الرشيد سنة تسعين ومائة من الهجرة المشرفة ( 190هـ )<sup>(6)</sup>. وهناك رواية أخرى قائلة بأن ولادة أبي تمام كانت سنة ثمان وثمانين ومائة من الهجرة المشرفة ( 188هـ ) وقد رجحها بعض الباحثين اعتماداً على أنّ هذه الرواية تنسب إلى ابنه تمام الذي يقول : « وُلِدَ أبي سنة ثمان وثمانين ومائة »<sup>(7)</sup>. ويرجح الباحث الرواية الأولى ، معتمداً على رواية عون بن محمد الكندي<sup>(8)</sup> الذي سمع من أبي تمام نفسه يقول : « مولدي سنة تسعين ومائة »<sup>(9)</sup>.

اختلف المؤرّخون في تاريخ وفاة أبي تمام ، ولم يكن هذا الاختلاف في أيام أو أسابيع أو أشهر ؛ بل في سنوات ، وتكاد المصادر تجتمع على أنّ وفاته كانت بين سنتي ( 228 هـ - 232 هـ ) يقول ابن خلكان : توفيّ بالموصل في سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وقيل : إنّه تُوفِّيَ في ذي القعدة ، وقيل : في جمادى الأولى سنة ثمانٍ وعشرين ، وقيل : تسع وعشرين ومائتين ، وقيل في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين<sup>(10)</sup>. وقد أرخ ابنُ نَفْطويه وغيره وفاة أبي تمام بسامراء سنة ثمان وعشرين ومائتين<sup>(11)</sup>.

### التعبير عن الكرم عند الشعراء:

الكرم اسم جامع لأنواع الخير والشرف والفضائل ؛ فهو اسم جامع لكل ما يُحمَد . يُقال: كَرَّمَ السحابُ إذا جاد بالغيث ، والكرم ضد اللؤم<sup>(12)</sup>. وترادف كلمة ( الكرم ) في اللغة كلمة ( الجود ) ؛ فهما تدلان على معنى واحد وهو الإعطاء والبذل، وقيل هناك فرق بينهما ؛ فالجوادُ - على قولٍ من يُفرَّقُ بينهما - هو الذي

يُعطي مع السؤال ، والكرِيمُ هو الذي يُعطي من غير سؤال<sup>(13)</sup> . والكرم فضيلة وسجية وأصل من أصول الأخلاق يتحوّل بها الإنسان من الأثرة إلى الإيثار، وهو كذلك شيمة تُعزّي إلى مكارم الأخلاق ، وطبيعته تُضاف إلى محاسن الطباع والأعراق .

وقد مدح الله تعالى إبراهيم - عليه السلام - وأشاد بكرمه وسخائه عند ما جاءته الملائكة مبشرين ، فظنهم ضيوفاً من البشر فأسرع إلى الذبيحة : ﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرُمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴾<sup>(14)</sup> ، وكان إبراهيم - عليه السلام - أول من سنّ القرى<sup>(15)</sup> ؛ فكان جديراً أن يُلقب بأبي الضيفان . وقد أشار إلى ذلك أبو تمام - مشيداً بذلك - عند ما قال : [ من الكامل ]

لِلْجُودِ سَهْمٌ فِي الْمَكَارِمِ وَالْتِقَى      مَا رَبُّهُ الْمُكْدِي وَلَا الْمَسْهُومُ  
وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ حَبَا      وَقَرَى خَلِيلَ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ<sup>(16)</sup>

وفي ذلك يقول الثعالبي : « أبو الضيفان ، هو إبراهيم - عليه السلام - ؛ لأنه أول من قرى الضيف ، وسنّ لأبنائه العرب القرى ، وكان إذا أراد الأكل بعث أصحابه ميلاً إلى ميل يطلبون ضيفاً يواكله<sup>(17)</sup> ، وعند ما سئل : بم اتّخذك الله خليلاً ؟ أجاب : بثلاث ... وما تغدّيت ولا تعشيت إلا مع ضيف<sup>(18)</sup> .

وكذلك مدح الله أصحاب رسول الله r بما اتّصفوا به من صفة الكرم والإيثار ، وأخبر بأن ذلك كان سبباً لفوزهم وفلاحهم في الآخرة فقال عزّ من قائل : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ جُيُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكُلُوا مِنْهُمْ حِصَصًا وَمَنْ يُؤْتِ شَحًّا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(19)</sup> . وربط رسول الله r صفة الكرم بالإيمان عند ما قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيْفَهُ . قالوا : يا رسول الله ، وما كرامته ؟ قال : جائزته الصّيافة ثلاث ليالٍ ، فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ »<sup>(20)</sup> .

أما العرب عامة فقد شغفوا أيضاً بالكرم ، ولم يقتصرُوا - مع تعاقب العصور - على مظهر واحد من مظاهره ، وكذلك لم يكتفوا بما تعارف عليه الناس من مظاهر ؛ بل وجدنا الأجواد منهم يتسابقون إلى ابتكار أساليب ووسائل تدلّ على كرمهم وسخائهم ؛ فتعدّدت المظاهر ، وتوسّعت المفاهيم ؛ فتضخّم القاموس ليشمَل الكرم الداخليّ التابع من النفس المتعاطفة مع الآخرين ، بعد أن كان الاهتمام في المقام الأول بالعبارة الماديّة ؛ ولذلك تجد صاحب المخصص يُعرّف الكرم والكرِيمَ بقوله : « الكرم ضد اللؤم الذي هو شحّ النفس ، والكرِيمُ الصّفوح الواسع الخلق<sup>(21)</sup> . وقد عبّر كثيرٌ من الشعراء عن مدى حبّهم ورغبتهم في مجيء الضيف ليقيموا بضيافته في معرض فخرهم بكرمهم ؛ فقد عبّر أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي عن حبه لقدم الضيف فقال : [ من الوافر ]

بِنَفْسِي مَنْ عَدَا صَيْفًا عَزِيْرًا      عَائِي وَإِنْ لَقِيْتُ بِهِ عَدَابًا  
يَنَالُ هَوَاهُ مِنْ كَبْدِي كَبَابًا      وَيَشْرَبُ مِنْ دَمِي أَبَدًا شَرَابًا<sup>(22)</sup>

ويظهر الشغف بالضيافة جلياً في فخر بعض الشعراء بكرمهم حينما يصوّرون معاناتهم للجوع بسبب إيثارهم لضيوفهم على أنفسهم ، يقول ابن طباطبا العلويّ مفتخرًا : [ من الخفيف ]

إِنَّ إِيْتَارِي الضُّيُوفَ بِنَفْسِي      وَمِيبِي عَالَى الطَّوَى هُوَ فَخْرِي  
لَيْتَ صَيْفِي أَقَامَ يَأْكُلُ لَحْمِي      دَهْرَهُ وَالشَّرَابُ مِنْ دَمِ نَحْرِي  
وَلَهُ مِنْهُ عَلَيَّ وَقَضُّ      بَعْدَ هَذَا إِذْ رَاحَ عَنِّي بِشُكْرِي (٢٣)

وأما مسلم بن الوليد وأبو تمام ، فهما من الشعراء الذين عُنا أشدَّ العناية واهتموا بصفة الكرم ، كما مرَّ بنا في ترجمة مسلم من أن سبب افتقاره في آخر عمره هو السخاء وكثرة الإعطاء ، وكما مرَّ بنا في هذا المبحث من إشادة أبي تمام بكرم إبراهيم الخليل - عليه السلام - ؛ فَحَرِيُّ بِهِمَا أَنْ يَجْعَلَ صِفَةَ الْكِرْمِ وَالجُودِ مَكَانَ مَذْحٍ وَإِشَادَةٍ وَإِعْجَابٍ فِيمَنْ يَرِيَانِ أَنَّهُمْ مُسْتَحَقُّونَ لِلْمَدْحِ؛ فقد أشاد مسلم بكرم ممدوحه داود بن زيد بن حاتم ، فمدحه بهذه الخصلة ، فقال: [من البسيط]

تَجُودٌ بِالنَّفْسِ إِذْ أَنْتَ الضَّنِينُ بِهَا      وَالجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الجُودِ (٢٤)  
وأشاد أبو تمام بسخاء ممدوحه المعتصم ، فقال : [ من الطويل ]

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ      لَجَادَ بِهَا ، فَلَيْتَقِيَ اللَّهَ سَائِلُهُ (٢٥)

يخاطب مسلم ممدوحه داود قائلا : تجود بنفسك في الوقت الذي يستأثرها الجواد الكريم السخي ويخل بها؛ إذ هي أنفَس ما عنده . وأما أنت يا داود فتجود بها سخاء ، مع أنها أعظم ما تملك ؛ فبذلك بلغت أقصى مكانٍ يستطيع أن يصله الجواد الكريم .

ويحذر أبو تمام سائلي المعتصم أن يسأله في كلِّ وقت ؛ لأنه لا يرد سائلاً مهما كانت حالته المادية؛ فلو لم يكن يملك شيئاً غير روحه وقت السؤال ، لأعطى سائله روحه حتى لا يردّه من غير عطاء . وأما من حيث الجودة فقد أجاد الشاعران في مدح صاحبيهما بالكرم والسخاء حتى بالغوا في مدحهما، غير أن الباحث يرى أن قول أبي تمام أكثر جودةً من قول مسلم ، من ناحية التخصيص والتعميم ؛ فداود (ممدوح مسلم) لا يجود بنفسه إلا عند الضرورة ، وذلك في مقام الحرب ( إذ أنت الضنين بها ) ، بمعنى : في وقت الحاجة إليها، وهذا لا يكون إلا في الحرب . وأما المعتصم ( ممدوح أبي تمام ) فيجود بروحه لأتفه الأسباب ، وهو ألا يرد سائلاً ؛ لذا قال أبو تمام : فَلَيْتَقِيَ اللَّهَ سَائِلُهُ . فكما ترى أن دفع النفس في الحرب شيء عادي ومطلوب ، وأما دفعها لمجرد ردِّ سائل فلا يتأتى إلا عند من شدَّ وبالغ في السخاء . ولم يكن مسلم بن الوليد وأبو تمام بأول من جاء بمثل هذا المعنى ؛ فقد سبقهما إليه علقمة ابن عبدة الفحل حيث قال : [ من الطويل ]

تَجُودٌ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ مِثْلَهَا      فَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ تَطِيبُ (٢٦)  
وقال علي بن الجهم : [ من الوافر ]

طَلَبْتُ هَدِيَّةً لَكَ بِإِحْتِيَإِي      عَلَى مَا كَانَ مِنْ حِسِّي وَبَسِّي

فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ شَيْئًا نَفِيسًا      يَكُونُ هَدِيَّةً أَهْدَيْتُ نَفْسِي (٢٧)  
بينما يرى أبو الغمر المدني كاتب الحسن بن زيد<sup>(28)</sup> ، أنه من الإسراف بذل النفس والسخاء بها، ويصرح بأنه بخيل بنفسه ؛ فلا يجود بها مهما كلف الأمر ودعت الحاجة قائلاً : [ من الطويل ]

إِنِّي بَخِلْتُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِهَا      وَلَسْتُ بِأَمَالٍ أَقْدِيهَا مِنَ الْبُخْلِ (٢٨)

ولأبي تمام في مثل هذا المعنى - مع المبالغة - قوله : [ من الطويل ]

وَلَوْ قَصَّرْتَ أَمْوَالَهُ عَن سَمَاحَةٍ  
وَأَنَّ لَمْ يَجِدْ فِي قِسْمَةِ الْعُمْرِ حِيلَةً  
لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرِ بِرَبِّهِ  
وَأَسَاهُمْ مِنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ<sup>(30)</sup>

فلو لم يستعمل لفظ « لو » في هذا المقام ، لكان ذلك من المبالغة التي تخرج إلى حد الغلو؛ فيوم القيامة لا ينتفع المرء إلا بأعماله ، حتى إنه ليفر من أمه وأبيه ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَدِيقِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾<sup>(31)</sup>.

وقال مسلم يمدح يزيد بن يزيد : [ من البسيط ]

لَا يَسْتَطِيعُ يَزِيدٌ مِنْ طَبِيعَتِهِ  
عَنِ الْمَنِيَّةِ وَالْمَعْرُوفِ إِحْجَامًا<sup>(32)</sup>

وقال أبو تمام يمدح المعتصم : [ من الطويل ]

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَانَهُ  
دَعَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ<sup>(33)</sup>

يقول مسلم : إن طبيعة يزيد الشجاعية والسخائية لا تسمح له بالإعراض عن الصفات الحميدة ، التي تنطوي في المروءة والمعروف ، ويقول أبو تمام : إن كف المعتصم - من كثرة الإعطاء - أصبحت طبيعتها أن تكون مبسوطة دائماً ؛ فإذا أراد قبضها لا تطيعه أنامله ؛ لما تعودت عليه من البسط والإعطاء . أما من حيث الجودة ، فيرى الباحث أن قول مسلم أجود ؛ لأنه لم يقصر طبيعة ممدوحه على خصلة معينة ، وإنما زعم أن طبيعته موافقة لكل خصال الخير المنطوية تحت المروءة ومنها الكرم . وأما أبو تمام ، فقد قصر ممدوحه على خصلة كريمة واحدة ، هي الكرم وكثرة الإعطاء . هذا من الناحية الأخلاقية ، وأما من الناحية الدينية فقد أثبت أبو تمام للمعتصم مخالفة ربانية ، وهي المبالغة في الإعطاء المنتهية إلى الإسراف ، الذي نهى الله عنه في قوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾<sup>(34)</sup>؛ فتجاوز حد الوسطية الذي أمر الله عز وجل به .

وقد فضل الآمدي قول أبي تمام على قول مسلم ، مع أنه يرى أن مسلماً أوّل من جاء به وابتكره؛ فيرى أن أبا تمام أخذ معناه من مسلم ، فكشفه وأحسن اللفظ وأجاده<sup>(35)</sup>؛ ولكن الذي يبدو للمتلقّي أن بيت مسلم ليس شعراً ؛ وإنما هو تقرير بارد مباشر ؛ ذلك أن مسلم بن الوليد ينقل الفكرة كما هي ، ولا يضيف عليها من الشعر إلا الوزن . أما أبو تمام فيعبر بصورة شعرية ، أي يوحي بأن ممدوحه كريم بفطرته ، حتى كأن الكرم طبيعي فيهِ ... وكلّ تعبير بالصورة يفتح أفق الحساسية والتأمل ، بحيث لا يعود المعنى شيئاً محدداً منتهياً ، وإنما يصبح شيئاً يتفتح ويتسع<sup>(36)</sup>.

وقال مسلم يمدح يزيد بن يزيد : [ من البسيط ]

تَرَى الْعَفَاةَ عُكُوفًا حَوْلَ حُجْرَتِهِ  
يَقُولُ " لَا " وَ" نَعَمْ " فِي وَجْهِ حَمْدِهِمَا  
مَنِيَّةٌ فِي يَدَيْ هَارُونَ يَبْعَثُهَا  
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ آبَاءَ إِذَا ذُكِرُوا  
لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ فِي يَدِهِ  
يَرْجُونَ أَرْوَعَ رَحْبِ الْبَاعِ بَسَامًا  
كَلْتَاهُمَا مِنْهُ قَدْ تَمْضِي لِمَا رَامَا  
عَلَىٰ أَعَادِبِهِ إِنْ سَامَىٰ وَإِنْ حَامَا  
وَأَكْرَمِ النَّاسِ أَخْوَالًا وَأَعْمَامَا<sup>(37)</sup>

وقال أبو تمام يمدح عمر بن طوق التغلبي: [ من الكامل]

يُعْطِي عَطَاءَ الْمُحْسِنِ الْخَصْلِ النَّدَى      عَفْوًا وَيَعْتَذِرُ اعْتِدَارَ الْمُذْنِبِ  
وَمَرْحَبٌ بِالرَّائِرِينَ وَبِشْرُهُ      يُغْنِيكَ عَنْ أَهْلِ لَدَيْهِ وَمَرْحَبِ  
يَغْدُوا مُؤَمَّلُهُ إِذَا مَا حَطَّ فِي      أَكْنَافِهِ رَحْلَ الْمُكَلِّ الْمُغْلَبِ  
سَلِسَ اللَّبَانَةَ وَالرَّجَاءَ بِبَابِهِ      كَتَبَ الْمُنَى مُمْتَدَّ ظِلُّ الْمَطْلَبِ  
بَحْرٌ يَطْمُ عَلَى الْعُقَاةِ وَإِنْ تَهَجَّ      رِيحُ السُّوَالِ مَمَّوَجِهِ يَغْلُوبِ  
وَالشُّوْلُ مَا حُلِبَتْ تَدْفَقُ رِسْلُهُ      وَتَجِفُّ دِرْتُهَا إِذَا تَمَّ تُحْلَبِ<sup>(٣٨)</sup>

يقول مسلم: إذا بدا يزيد بن يزيد، ترى السائلين قد عكفوا حول حجرته، ليصيبوا من نواله الغزير وكرمه الفياض؛ إذ هو وسيع الصدر عند الإعطاء، فلا يمل سؤال السائلين مهما كثرا، وبسأم عند الإعطاء ليدل تبسّمه على رضاه التام عن صنعه، موجّهاً لفظتي (لا، ونعم) في وجه يُحمد بهما فيه، فمثلاً يقول (لا) عندما يقال له: «قلل من الإنفاق لتحافظ على مالك»، ويقول (نعم) عندما يُسأل: هل تشعر بارتياح في قلبك عندما تُعطي وينفذ ما بيدك؟ وحتى المال الذي لا يشعر أو لا يعقل سواء أكان جماداً أو حيواناً أو نباتاً، فإنه أحسّ بإهلاكه له من شدة الإنفاق فتظلم منه طالباً الإنصاف. ويقول أبو تمام: إن عمر بن طوق يعطيك - بلا سؤال - عطاء المحسن الخصل، أي الكثير الإعطاء، ويعتذر لك بالتقصير كما يعتذر المذنب إذا ارتكب ذنباً. وهو مستعد دائماً لاستقبال الزوار، ومستبشر بهم، حتى إن تبسّمه فقط يغنيك عن الترحيب، ناهيك عن جوده وكرمه. وإذا ما حطّ السائل رحله لديه يغدو سهلاً قضاء الحوائج، بمعنى: أن حوائجه وآماله تكون سهلة المنال وقريبة التحقيق إذا ما أتى إليه؛ لأنّ ظلّ الآمال عنده ممتدّ يسع كلّ السائلين وذوي الآمال الكثيرة، فهو كالبحر الذي ارتفع وأروى كلّ ما حوله من النبات والجنّات؛ فإذا هيّجت الريح أمواجه أغرقها، فكذلك عمر بن طوق إذا هاج أغنى جميع السائلين وذوي الآمال، وهو كلما أخذ منه تشجّع للإعطاء فزاد، كالتأفة التي كلما حُلبت درّ لبنها أكثر مما هو عليه، وإذا لم تُحلب جفّ ضرعها. فوجه الشبه بين هاتين المقطوعتين لكلّ من مسلم وأبي تمام تكمن في ما يلي:

1. إن كلّاً من ممدوحيهما يُغني العفاة السائلين بعطائه الجمّ الكثير؛ فممدوح مسلم عود السائلين الإعطاء، حتى عكفوا على باب حجرته، وكذلك ممدوح أبي تمام يُحيط به السائلون كالبحر تحيط به الجنان، فمعناهما في هذا متقاربان غير أنّ معنى أبي تمام أجد؛ لأنّ ممدوحه يُعطي سائليه من غير سؤال، وممدوح مسلم لا يُعطي إلا بعد السؤال بدليل قوله: «أروع رحب الباع» فلا تعرّف سعة باع الشخص إلا بعد كثرة الأسئلة، وتحمله لتلك الأسئلة.
2. ارتياح النفس ورضاها عند الإعطاء، الذي يظهر في قول مسلم: «أروع رحب الباع بسّاما» وقول أبي تمام: «وبشْرُهُ يُغْنِيكَ ...».
3. انفراد مسلم بادّعائه توجيهه ممدوحه كلّاً من الأمر والنهي الوجهة الإيجابية (يقول لا ونعم في وجه حمدهما)، وكذلك انفراد بادّعائه أنّ المال يتظلم ويطلب الإنصاف من يزيد بن يزيد لكثرة إتلافه من أجل الإنفاق.
4. انفراد أبو تمام بادّعائه أنّ سائل ممدوحه بمجرد أنّ حطّ رحله عنده تكون آماله وحوائجه سهلة التحقيق، وكذلك انفراد بادّعائه أنّ ممدوحه يزيد في الإعطاء بعد كلّ أخذٍ (والشّول ما حلبت ...)

قال أبو نواس في هذا المعنى : [ من مجزوء الرمل ]

بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَبِي وَيَصِيحُ<sup>(٣٩)</sup>  
فهو يُشبهه قول مسلم : « تظلم المال والأعداء في يده » ، إلا أن ابن الأثير يُثني على قول مسلم ،  
ويُقبِّح قول أبي نواس مصنفاً إيَّاه من التشبيه البعيد القبيح ؛ فيرى أن المعنى حسنٌ ولكن التشبيه قبيح<sup>(40)</sup>.

ومن أحسن ما قال أبو نواس في هذا المعنى : [ من مجزوء الرمل ]

يَتَّ أَعْدَائِي كَانُوا لِأبي إِسْحَاقَ مَالاً<sup>(٤١)</sup>

وقال المتنبي : [ من البسيط ]

تَوَقَّه فَمَتَى مَا شِئْتَ تَبَلَّوهُ فَكُنْ مُعَادِيَهُ أَوْ كُنْ لَهُ نَشَباً<sup>(٤٢)</sup>

وقال مسلم : [ من البسيط ]

كَذَلِكَ الْعَيْثُ يُرْجَى فِي تَحْجِبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْفِراً عَنِ وَابِلِ الْمَطْرِ<sup>(٤٣)</sup>

وقال أبو تمام : [ من البسيط ]

لَيْسَ الْجَبَابُ مِقْصِدٌ عِنْدَ لِي أَمَلَا إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ<sup>(٤٤)</sup>

يُخَلِّ لمن قرأ بيت كل من مسلم وأبي تمام ، أن كلاً منهما وقف في باب صاحبه ولم يفتح له ؛ فكان ينبغي أن يُعدَّ ذلك عيباً من عيوب الممدوح ، ولكن سرعان ما أعرض كل منهما عن ذم صاحبه ، جاعلاً هذا التصرف - الذي ينبغي أن يكون ذمّاً - في معرض المدح ، مشبهاً تحجب صاحبه عنه بتحجب السماء وقت نزول المطر ؛ وكذلك كل يدعي أن صاحبه احتجب عنه لكي يشاق إلى الإعطاء ؛ فيكون العطاء عندئذٍ ألد وأجمل ؛ لأنه حصل له بعد شوق وهيام. وربما يدل هذا على أن الممدوح من عاداته أنه لا يرد سائلاً مهما كانت حالته المادية ، فيحتجب عن السائل عندما يكون سيء الحال حتى يدبر أمره ؛ فإن قصداً هذا كان معناهما في غاية الجودة والجمال. ويروى أن أبا تمام مرَّ برجل يقال له مخنث يقول لآخر : جئتُك أمس فاحتجبت عني. فردَّ عليه قائلاً: « السماء إذا احتجبت رُجِّي خيرها » فأخذ أبو تمام هذا المعنى وضمَّنه في بيته سالف الذكر<sup>(45)</sup>. وفي أخبار أبي تمام : أن عبدالله بن طاهر حجبه ذات مرة ؛ فاستعطفه أبو تمام بأبيات أولها : [ من البسيط ]

صَبْرًا عَلَى الْمَطْلِ مَا لَمْ يَتْلُهُ الْكَذِبُ وَلِلْخُطُوبِ إِذَا سَامَحَتْهَا عَقِبُ<sup>(٤٦)</sup>

وزاد ابن نباتة على هذا المعنى<sup>(47)</sup> فقال وأحسن : [ من الوافر ]

وَلَوْ كَانَ الْجَبَابُ بَعِيرٍ نَفَعِ لَمَّا اِحْتِاجَ الْفُؤَادُ إِلَى جَبَابِ<sup>(٤٨)</sup>

وقال مسلم يمدح يزيد بن مزيد : [ من البسيط ]

يُصِيبُ مِنْكَ مَعَ الْأَمَالِ صَاحِبُهَا حَلِماً وَعِلْماً وَمَعْرُوفًا وَإِسْلَامًا<sup>(٤٩)</sup>

وقال أبو تمام : [ من المنسرح ]

لَسْتُ مِنَ الْعَيْسِ أَوْ أَكْلَفَهَا وَخَدًّا بُدَاوِي الْمَرِيضِ مِنْ وَصِيهِ

إِلَى الْمُصْفَى مَجْدًا أَبِي الْحَسَنِ أَنْ صَعْنَ انْصِياعَ الْكُدْرِي فِي قَرْبِهِ

تُرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ عِلْمِهِ وَمِنْ آدِبِهِ<sup>(٥٠)</sup>

يقول مسلم : إذا أتى صاحبُ الآمال ليزيد بن مزيد يجد - مع آماله - منافعَ أخرى هي: الحلم

الذي يتعلّمه من خلقه ، والعلم الذي يجده من خلال مخاطبته ، وكلّ أنواع المعروف التي دعا إليها الإسلام. ويشرح الأعلام الشنتمري قول أبي تمام قائلاً : « يقول : أنا متبرئ من العيس حتى أكلّفها سيراً يشفي من صدري الهموم ، ويذهب عدم الفقر والوصب والوجع ، ثم قال أكلف السير فتتصاع ، أي تأخذ مسرعةً إلى أبي الحسن الذي قد صفى وعدّب من العيوب لمجده وشرفه انصياح القطا الكدري في نهوضه »<sup>(51)</sup>.

فالشاعران اتّفقا في وصف ممدوحيهما بإعطاء الزيادة على الآمال ، إلا أنّ قول مسلم أجود؛ لأنّ ممدوحه زاد على الآمال أربعة أشياء ، في حين أنّ ممدوح أبي تمام لم يزد غير واحدٍ من الخصال وهو الأدب. ومن نظائر هذا المعنى قول عتيبة بن مرداس : [ من الطويل ]

فَتَى تَكْتُرُ الْأَمْوَالَ تَحْتَ عِجَانِهِ إِذَا أَكْثَرَ النَّاسُ النَّدَى وَالتَّكْرُمَا  
تَرَاهُ كَمَا الْبَحْرُ يَدْفَعُ مِلْحَهُ لِيُورِدَهُ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ مُفْعَمَا<sup>(52)</sup>

وقال مسلم - ولم يذكر من قال فيه - : [ من الطويل ]

أَخْ لِي يُعْطِينِي إِذَا مَا سَأَلْتَهُ وَلَوْ لَمْ أُعْرَضْ بِالسُّؤَالِ ابْتِدَانِيَا<sup>(53)</sup>

وقال أبو تمام يمدح الحسن بن رجا : [ من الكامل ]

وَرَأَيْتَنِي فَسَأَلْتُ نَفْسَكَ سَبِيهَا لِي نُمُّ جُدَّتْ وَمَا انْتَبَرَتْ سُؤَالِي<sup>(54)</sup>

يقول مسلم : إنّ له آخاً من طبيعته أنّه يعطيه إذا سأله ، وإذا كان يومٌ ولم يبادر فيه مسلمٌ بالسؤال، فإنّه يبتدئ مسلمًا بالإعطاء من غير أن ينتظر سؤاله . ويخاطب أبو تمام الحسن بن رجا قائلاً : لما رأيتني طالبت نفسك بإعطائي قبل أن يصدر مني سؤال؛ فأنت مثل السحاب الذي يوجد بغيبه من غير أن يطلب أو يسأل. فهذا معني من الشعارين يدل على أروع الكرم وأجزل العطاء ؛ فممدوحا مسلم وأبي تمام يعطيان من غير أن يحوجا السائل إلى السؤال، فهذا كرم يأتي من وجهين : وجه حسيّ هو بذل المال والمعروف ، ووجه معنويّ هو رفع ذل السؤال عن السائل. على أنّ قول أبي تمام أجود من قول مسلم ؛ لأنّ ممدوح مسلم تارة يعطي بسؤال ، وتارة يعطي بغير سؤال، أمّا ممدوح أبي تمام فإنّ عطاءه في كلّ الأحيان بغير سؤال . قال أبو العتاهية في هذا المعنى : [ من المتقارب ]

وَأَنَا إِذَا مَا تَرَكْنَا النَّوَا لَ فَلَمْ نَبْغْ نَائِلُهُ يَبْتَدِينَا  
وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَبْغْ مَعْرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَبْتَغِينَا<sup>(55)</sup>

وقال منصور النمري : [ من الوافر ]

رَأَيْتُ الْمُصْطَفَى هَارُونَ يُعْطِي عَطَاءً لَيْسَ يَنْتَظِرُ السُّؤَالَ<sup>(56)</sup>

وقال مسلم يمدح يعقوب بن سعدان : [ من الكامل ]

أَعْطَيْتَنِي حَتَّى مَلَكَتْ مَدَى الْغِنَى بِنْدَاكَ وَالرَّاجِيكَ لَيْسَ يَخِيبُ<sup>(57)</sup>

وقال أبو تمام يمدح الحسن بن سهل : [ من الطويل ]

بَرِئْتُ مِنَ الْأَمَالِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ لَدَيْكَ وَإِنْ جَاءَتْكَ حُدْبًا لَوَاعِبَا<sup>(58)</sup>

يخاطب مسلم يعقوب بن سعدان قائلاً : أعطيتني عطاءً كثيراً جزيلاً حتى بلغت ذروة الغنى ؛ فمن يعتمد على عطائك ، فإنك لا تخيب ظنّه ولا تقطع رجاءه . ويقول أبو تمام : إنّهُ قد تبرأ من أماله - على كثرتها - عند الحسن بن سهل ، فعندما أتى الحسن كانت تحيطه آمال لا يحدها حدٌ ، ولكن سرعان ما بلغه الحسن هذه الآمال حتى أصبح بريئاً منها بكثرة عطاء الحسن له .

فبلوغه جميع آماله يكون قد وصل إلى أقصى حد في الغنى؛ فيشترك مع مسلم من حيث إن كلاً من ممدوحيهما أعطى صاحبه حتى بلغ ذروة الغنى. غير أن مسلماً خاطب ممدوحه خطاباً مباشراً ( أعطيتني ... ) فتفوق عليه أبو تمام بإيتائه هذا المعنى في صورة جميلة. على أن قول أبي تمام قد يحتمل ذمًا إن قلب المعنى؛ فقد يفهم من قوله أن صاحبه لا يرجى لتحقيق الآمال؛ فلذا تبرأ منها عند ما جاءه. وقريب من هذا قول المتنبي: [ من البسيط ]

أَرْجُو نَدَاكَ وَلَا أَحْشَى الْمَطَالَ بِهِ يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا<sup>(٥٩)</sup>

فهذه نماذج من اشتراك المعاني بين مسلم بن الوليد وأبي تمام، في صفة الكرم التي كانت من أهم أدوات المدح عندهما، فقد كان كلُّ منهما يحاول جاهداً أن يصف ممدوحه بكل ما يدل على سخائه وكرمه الفياض، وذلك إما لكون هذه الصفات موجودة في الممدوح حقيقة؛ فثبر تعجب الشاعر ويعبر عن ذلك لسائنه مترجماً عما في القلب، وإما أن يكون الشاعر يريد أن يستثير بها ممدوحه حتى يُعَدِّق عليه العطاء إغداً. وقد وفق الشاعران في كثير من هذه المعاني، غير أنه قد يكون أحدهما أكثر توفيقاً من الآخر في معنى ما؛ فقد كان الإحسان والإساءة سجلاً بينهما، كما رأى القارئ ذلك في هذا البحث. ومما توصل إليه الباحث هنا: أنه لا يمكن أن يفضل الشاعر على غيره تفضيلاً مطلقاً في أي معنى من المعاني، مهما كانت درجة فحولته؛ لأنه إن أصاب وأجاد في موضع، فإنه قد يخفق في موضع آخر، فالكمال لله وحده.

### أهم نتائج الدراسة:

وختاماً يذكر الباحث أهم النتائج التي توصل إليها في هذا البحث المختصر، وهي كما يلي:  
1- بالغ الشاعران في وصف ممدوحيهما بصفة الكرم، حتى وإن كان الأمر يتطلب بذل المهج والأرواح، كما في قول مسلم بن الوليد:

تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ أَنْتَ الصَّنِينُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وقول أبي تمام:

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوجِهِ لَجَادَ بِهَا ، فَلَيْتَنِي اللَّهُ سَائِلُهُ

2- يدعي كلُّ من الشاعرين أن الكرم صفة أصلية طبيعية في ممدوحه لا تنفك عنه أبداً، ويظهر ذلك في قول مسلم بن الوليد:

لَا يَسْتَطِيعُ يَزِيدُ مِنْ طَبَعَتِهِ عَنِ الْمَنِيَّةِ وَالْمَعْرُوفِ إِحْجَامًا

وقول أبي تمام:

تَعَوَّدَ بَسَطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَانَهُ دَعَاها لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنْامِلُهُ

3- إن ممدوح كلِّ من الشاعرين يعطيك زيادة على ما تتأمل، كما في قول مسلم بن الوليد:

يُصِيبُ مِنْكَ مَعَ الْأَمَالِ صَاحِبُهَا حِلْمًا وَعِلْمًا وَمَعْرُوفًا وَإِسْلَامًا

وقول أبي تمام:

لَسْتُ مِنَ الْعَيْسِ أَوْ أَكْلَفَهَا      وَخَدًّا يُدَاوِي الْمَرِيضَ مِنْ وَصِيهِ  
إِلَى الْمُصْفَى مَجْدًا أَبِي الْحَسَنِ أَنْ      صَعَنَ انصِياعَ الْكُدْرِيِّ فِي قَرِيهِ  
تَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ      نَأْخُذُ مِنْ عِلْمِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ

4- إن احتجاب الممدوح في بعض الأحيان أمل كبير، وليس خيبة رجاء، يظهر ذلك في قول مسلم ابن

الوليد:

كَذَلِكَ الْعَيْثُ يُرْجَى فِي تَحَجُّبِهِ      حَتَّى يُرَى مُسْفِرًا عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ<sup>(٤٣)</sup>

وقول أبي تمام:

لَيْسَ الْحِجَابُ مُقْصِدًا لِي أَمَلًا      إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ<sup>(٤٤)</sup>

وهذا حسن تعليل جميل لاحتجاب الممدوح.

5- صريع الغواني يُعَدُّ من التقليديين في كثير من معانيه، نسبة لمعاني أبي تمام.

6- معاني أبي تمام أبعَدُ عُمُقًا من معاني صريع الغواني، ولعل ذلك راجع إلى العامل الزماني بالنسبة لهما.

7- صريع الغواني أكثر مصداقية من أبي تمام، على أن كلاهما عديم المصداقية في كثير من الأحيان.

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلّم تسليمًا كثيرًا

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

## الهوامش:

- (1) أبو بكر أحمد بن علي ( الخطيب البغدادي ) - تاريخ بغداد - تحقيق : بشار عوّاد معروف - دار الغرب الإسلامي - ط 1 - 1422هـ - 2001م - ج 15 - ص 116.
- (2) مصطفى الشكعة - الشعر والشعراء في العصر العباسي - دار العلم للملايين - بيروت لبنان - ط 1 / 1979م - ص 229.
- (3) محمد بن شاكر الكتبي - فوات الوفيات - تحقيق : إحسان عباس - دار صادر بيروت - د . ت - ج 4 - ص 136.
- (4) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق : إحسان عباس - دار صادر بيروت - 1398هـ - 1978م - ج 2 - ص 11.
- (5) « جاسم » : اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ . انظر : ياقوت بن عبدالله الحموي - معجم البلدان - دار صادر - 1397هـ - 1977م - ج 2 - ص 94.
- (6) عبدالقادر بن عمر البغدادي - خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب - تحقيق : عبدالسلام محمد هارون - مكتبة الخانجي القاهرة - ط 4 - 1418هـ - 1997م - ج 1 - ص 357.
- (7) عبد القادر البغدادي - تاريخ بغداد - ج 9 - ص 162.
- (8) محمد بن عون الكندي : عالم إخباري ، حدّث عن مصعب الزُبيريّ ، وحكى عنه الصولي والحكيمي . توفي ببغداد سنة ( 290هـ ) انظر : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - تحقيق : بشار عوّاد معروف دار الغرب الإسلامي - ط 1 - 2003م - ج 6 - ص 791.
- (9) أبوبكر محمد بن يحيى الصولي - أخبار أبي تمام - تحقيق : خليل محمود عساكر ، ومحمد عبده عزام ، ونظير الإسلام الهندي - دار الآفاق الجديدة / بيروت - ط 3 - 1400هـ - 1980م - ص 272.
- (10) ابن خلكان - وفيات الأعيان - ج 2 - ص 17.
- (11) الذهبي - سير أعلام النبلاء - ج 11 - ص 67.
- (12) الجوهري - الصحاح - مادة : [ ك ر م ] .
- (13) أبو هلال العسكري - الفروق اللغوية - تحقيق وطباعة : مؤسسة النشر الإسلامي - ط 1 - 1412هـ - ص 171.
- (14) الذاريات - الآيات [ 24 - 26 ] .
- (15) محمد بن الحسن بن محمد بن علي - التذكرة الحمدونية - تحقيق : إحسان عبّاس - دار صادر / بيروت - ط 1 - 1996م - ج 2 - ص 359.
- (16) أبو تمام - ديوانه بشرح الخطيب التبريزي - تحقيق : محمد عبده عزام - دار مامعارف - ط 5 - د.ت - ج 3 - ص 292.
- (17) أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري - ثمار القلوب في المضاف إليه والمنسوب - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصريّة - صيدا / بيروت - ط 1 - 1424هـ - 2003م - ص 204.

## وصف الكرم بين مسلم بن الوليد وأبي تمام - [دراسة نقدية موازنة]

- (18) أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي المحلّي - المستطرف في كل فن مستظرف - مكتبة الجمهورية العربية - د . ت - ج 1 - ص 181 .
- (19) الحشر - الآية [ 9 ] .
- (20) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - المعجم الأوسط - تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد - دار الحرمين / القاهرة - نشر سنة 1415هـ - ج 3 - ص 251 .
- (21) أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي ( ابن سيده ) - المخصص - تحقيق : خليل إبراهيم جفال - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط 1 - 1417هـ - 1996م - مادة : [ ك ر م ] .
- (22) أبو منصور الثعالبي - لباب الآداب - تحقيق : أحمد حسن لبيح - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ط 1 - 1417هـ - 1997م - ص 215 . ( لم أجد لمحمد بن عبد الجبار العتبي ديواناً ) .
- (23) شعر ابن طباطبا العلوي - تحقيق : د. شريف علاونة - دار المناهج للنشر والتوزيع - عمان الأردن - د . ت - ص 155 .
- (24) صريع الغواني - ديوانه - تحقيق: الدكتور سامي الدهان - دار المعارف - ط 3 - د. ت - ص 164 .
- (25) أبو تمام - ديوانه - ج 3 - ص 29 .
- (26) علقمة بن عبدة - ديوانه ( بشرح الأعلام الشنتمري ) - تحقيق : د. حنا نصر الحتي - دار الكتاب العربي / بيروت - ط 1 - 1414هـ - 1993م - ص 30 .
- (27) علي بن الجهم - ديوانه - تحقيق : خليل مردم بك - دار الآفاق الجديدة / بيروت - ط 2 - 1400هـ - 1980م - ص 150 .
- (28) هو الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب ، كان من الأشراف النابهيين ، شيخ بني هاشم في زمانه ، استعمله المنصور على المدينة خمس سنين ، توفي سنة : 168هـ . انظر : الزركلي - الأعلام - ج 2 - ص 191 .
- (29) ورد البيت في بهجة المجالس ، ولم أجد لأبي الغمر المدني ديواناً مطبوعاً . انظر :- الإمام أبو يوسف عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي - بهجة المجالس وأنس المجالس - تحقيق : محمد مرسي الخولي - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ط 2 - 1981م - ج 2 - ص 481 .
- (30) أبو تمام - ديوانه - ج 1 - ص 309 .
- (31) عبس - الآيات : [ 34 - 37 ] .
- (32) صريع الغواني - ديوانه - ص 65 .
- (33) أبو تمام - ديوانه - ج 3 - ص 29 .
- (34) الإسراء - الآية : [ 29 ] .
- (35) الموازنة ج 1 - ص 83 .
- (36) الباحث أدونيس - الثابت والمحول ( بحث في الإبداع والإبداع عند العرب ) - دار العودة / بيروت - ط 1 - 1977م - ج 2 - ص 194 .
- (37) صريع الغواني - ديوانه - ص 64 .
- (38) أبو تمام - ديوانه - ج 1 - ص 101 - 105 .

- (39) أبو نواس - ديوانه - تحقيق: بهجت عبدالغفور الحديثي - دار الكتب الوطنية / أبو ظبي - ط 1 - 2010م ص 260 .
- (40) ابن الأثير - المثل السائر - تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد - المكتبة العصرية / بيروت - نشر عام : 1995م - ج 1 - ص 348 .
- (41) أبو نواس - ديوانه - ص 334 .
- (42) المتنبي - ديوانه - ص 98 .
- (43) صريع الغواني - ديوانه - ص 321 .
- (44) أبو تمام - ديوانه - ج 4 - ص 446 .
- (45) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني - تحقيق: سمير جابر - دار الفكر / بيروت - ط 2 - د . ت . - ج 16 - ص 428 .
- (46) أبو تمام - ديوانه - ج 4 - ص 446 .
- (47) أبو منصور الثعالبي - تحسين القبيح وتقبيح الحسن - تحقيق: نبيل عبدالرحمن حياوي - دار الأرقم بن أبي الأرقم / بيروت - د . ت . - ص 33 .
- (48) هذا البيت ذكره الثعالبي منسوباً إلى ابن نباتة ، ولم أجده في ديوانه بنسختي المطبعة اللبنانية ، ودار إحياء التراث العربي . انظر: المرجع السابق ، والصفحة السابقة .
- (49) صريع الغواني - ديوانه - - ص 67 .
- (50) أبو تمام - ديوانه - ج 1 ص 270 - 271 .
- (51) الأعلام الشنتمري - شرح ديوان أبي تمام - تحقيق: إبراهيم نادن - منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية - ط 1 - 1425هـ - 2004م - ج 2 - ص 228 .
- (52) هذان البيتان وردا في كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين ، ولم أجد لقاتلها ديواناً مطبوعاً . انظر : الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين - الخالديان - المكتبة الإلكترونية الشاملة - قسم كتب الأدب - ص 32 .
- (53) صريع الغواني - ديوانه - ص 346 .
- (54) أبو تمام - ديوانه ج 3 - ص 78 .
- (55) أبو العتاهية - ديوانه - دار بيروت للطباعة والنشر - طبع سنة : 1406هـ - 1986م - ص 452 .
- (56) منصور النمري - ديوانه - جمع وتحقيق: الطيب العشاش - دار المعارف للطباعة / دمشق - طبع سنة : 1401هـ - 1981م - ص 118 .
- (57) صريع الغواني - ديوانه - ص 120 .
- (58) أبو تمام - ديوانه - ج 1 - ص 145 .
- (59) المتنبي - ديوانه - ص 18 .

## المصادر والمراجع :

- (1) القرآن الكريم .
- (2) أخبار أبي تمام - أبو بكر محمد بن يحيى الصولي - تحقيق : خليل محمود عساكر ، ومحمد عبده عزام ، ونظير الإسلام الهندي - دار الآفاق الجديدة / بيروت - ط 3 - 1400هـ - 1980م .
- (3) الأشباه والنظائر - الخالديان - المكتبة الإلكترونية الشاملة - قسم كتب الأدب
- (4) الأعلام - الزركلي - دار العلم للملايين - ط 15 - 2002م .
- (5) الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - تحقيق : سمير جابر - دار الفكر / بيروت - ط 2 - د . ت .
- (6) بهجة المجالس وأنس المجالس - الإمام أبو يوسف عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي - تحقيق : محمد مرسي الخولي - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ط 2 - 1981م .
- (7) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق : بشار عواد معروف - دار الغرب الإسلامي - ط 1 - 2003م
- (8) تاريخ بغداد - أبو بكر أحمد بن علي ( الخطيب البغدادي ) - تحقيق : بشار عواد معروف - دار الغرب الإسلامي - ط 1 - 1422هـ - 2001م .
- (9) تحسين القبيح وتقبيح الحسن - أبو منصور الثعالبي - تحقيق : نبيل عبدالرحمن حياوي - دار الأرقم بن أبي الأرقم / بيروت - د.ت .
- (10) التذكرة الحمدونية - محمد بن الحسن بن محمد بن علي ( ابن حمدون ) تحقيق : إحسان عباس ، بكر عباس - دار صادر / بيروت - ط 1 - 1996م .
- (11) الثابت والمحوّل ( بحث في الإتياع والإبداع عند العرب ) - الباحث أدونيس - دار العودة / بيروت - ط 1 - 1977م .
- (12) ثمار القلوب في المضاف إليه والمنسوب - أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - صيدا / بيروت - ط 1 - 1424هـ - 2003م .
- (13) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - عبدالقادر بن عمر البغدادي - تحقيق : عبدالسلام محمد هارون - مكتبة الخانجي القاهرة - ط 4 - 1418هـ - 1997م .
- (14) ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي - تحقيق: محمد عبده عزام - دار مامعارف - ط 5 - د.ت .
- (15) ديوان أبي العتاهية - دار بيروت للطباعة والنشر - طبع سنة : 1406هـ - 1986م .
- (16) ديوان أبي نواس ( برواية الصولي ) تحقيق : بهجت عبدالغفور الحديثي - دار الكتب العلمية / أبو ظبي - ط 1 - 1431هـ - 2010م .

- (17) ديوان علقمة بن عبدة ( بشرح الأعلام الشنتمري ) - تحقيق : د. حنا نصر الحثّي - دار الكتاب العربي / بيروت - ط 1 - 1414هـ - 1993م .
- (18) ديوان عليّ بن الجهم - تحقيق : خليل مردم بك - دار الآفاق الجديدة / بيروت - ط 2 - 1400هـ - 1980م .
- (19) ديوان المتنبي - دار بيروت للطباعة والنشر - طبع سنة: 1403هـ - 1983م .
- (20) ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري - تحقيق: الدكتور سامي الدهان - دار المعارف - ط 3 - د. ت .
- (21) سير أعلام النبلاء - الإمام الذهبي - تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وحسين الأسد - مؤسسة الرسالة - ط 1 - 1401هـ - 1981م .
- (22) شرح ديوان أبي تمام - الأعلام الشنتمريّ - تحقيق: إبراهيم نادن - منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية - ط 1 - 1425هـ - 2004م - ج 2 - ص 228 .
- (23) شعر ابن طباطبا العلوي - تحقيق: د. شريف علاونة - دار المناهج للنشر والتوزيع - عمان الأردن - د. ت .
- (24) شعر منصور النمري - جمع وتحقيق : الطيّب العشاش - دار المعارف للطباعة / دمشق - طبع سنة 1401هـ - 1981م .
- (25) الشعر والشعراء في العصر العبّاسي - مصطفى الشكعة - دار العلم للملايين - بيروت لبنان - ط 1 / 1979م .
- (26) الصحاح - إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق : أحمد عبدالغفور عطّار - دار العلم للملايين / بيروت - ط 4 - 1407هـ - 1987م
- (27) الفروق اللغوية - أبو هلال العسكري - تحقيق وطباعة : مؤسسة النشر الإسلامي - ط 1 - 1412هـ
- (28) فوات الوفيات - محمد بن شاكر الكتبي - تحقيق : إحسان عباس - دار صادر بيروت - د. ت .
- (29) لباب الآداب - أبو منصور الثعالبي - تحقيق : أحمد حسن لبيح - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ط 1 - 1417هـ - 1997م .
- (30) المثل السائر - ابن الأثير - تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد - المكتبة العصرية / بيروت - نشر عام : 1995م .
- (31) 31. المخصص - أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي ( ابن سيده ) - تحقيق : خليل إبراهيم جفال - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط 1 - 1417هـ - 1996م .
- (32) المستطرف في كلّ فن مستظرف - أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد الأبهسي المحلي - مكتبة الجمهورية العربية - د. ت .

## وصف الكرم بين مسلم بن الوليد وأبي تمام - [دراسة نقدية موازنة]

(33) المعجم الأوسط - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد - دار الحرمين / القاهرة - نشر سنة 1415هـ.

(34) معجم البلدان - ياقوت بن عبد الله الحموي - دار صادر - 1397هـ - 1977م.

(35) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري - تحقيق: السيد أحمد صقر - دار المعارف - ط 4 - د. ت .

(36) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان - تحقيق: إحسان عباس - دار صادر بيروت - 1398هـ - 1978م.